شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة
تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت
علم وخبر 287/ 2009

العدد الثامن والأربعون، السنة الرابعة، جمادى الأولى ١٤٣٥ - آذار ٢٠١٤

المدير المسؤول
خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي
أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط
علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد
دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية
تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٥٠٠ ل.س. - العراق: ٤٠٠٠ دينار - مصر: ١٧ جنيه - السودان: ٢٠ جنيه
المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار
- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال
تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي
03/725246 - 01/544955
ص.ب: 25/5141
www.saraer.org/shaaer
shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهريّة تعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة — ولكم في القدس عِبرة.. ..... الشّيخ حسين كوراني ٦

تحقيق — اليهوديّة والوهّابيّة: المشتركات العقائديّة ..... إعداد: "شعائر" ٨

مراقبات — أعمال شهر جمادى الأولى ..... إعداد: "شعائر" ١٣

أحسن الحديث — فرادة المنهج القرآني في الأخلاق ..... العلّامة السّيّد الطّباطبائيّ ١٦

سورة "محمّد" صلّى الله عليه وآله ..... إعداد: سليمان بيضون ١٩

أيام الله — مناسبات شهر جمادى الأولى ..... إعداد: صافي رزق ٢١

وقال الرسول — بطونهم آلهتُهم، ونساؤهم قِبلتهم ..... إعداد: محمّد ناصر ٢٤

حدود الله — مسائل في تعقيب الفرائض ..... الشّيخ محمّد أمين زين الدّين ٢٥

يزكّيهم — منهج العلّامة الطّباطبائيّ في التّزكية ..... آية الله السّيد الطّهرانيّ ٢٦

الملف — أسماء الزّهراء عليها السّلام: دلالاتٌ نبويّة، وأسرارٌ إلهيّة ٢٧

استهلال: الصّلاة على الصّدّيقة الكبرى عليها السلام ..... عن الإمام العسكريّ عليه السلام ٢٨

التّسمِيَة: أهمّيتها عموماً، وفي الأولياء بالخصوص.. العلّامة السّيّد القزويني ٢٩

تسعة أسماء للزّهراء عليها السلام ..... إعداد: أسرة التّحرير ٣٠

أعلام

اليهوديّة والوهابيّة
تحقيقٌ في المشتركات العقائديّة

لولا دعاؤكم — حِرزٌ جليل، ودعاءٌ عظيمٌ نبيل ..... عن الإمام الصّادق عليه السلام ٤٣

صاحب الأمر — لا يخلو الزّمان من حجّة ..... العلّامة السّيّد شبّر ٤٤

محتويات العدد

كتاباً موقوتا — صلاة الاستسقاء ..... الإمام الخميني قدس سره — ٤٦

يذكرون — سورة القدر: حِرزٌ ودواء ..... إعداد: "شعائر" — ٤٧

حوارات — مع سماحة السّيّد عبد الكريم القزوينيّ ..... إعداد: أسرة التّحرير — ٤٨

فكر ونظر — النّظر بالدّنيا، بدلاً من النّظر إليها ..... ابن ميثم البحرانيّ — ٥٢

حقيقةُ العُجْب ..... الشّيخ محمّد تقيّ الآمليّ — ٥٥

أعلام — المرجع الشّيخ محمّد أمين زين الدّين ..... إعداد: سليمان بيضون — ٥٧

كلمة سواء — الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ..... إعداد: "شعائر" — ٦١

وصايا — وصيّة للفقيه الشّيخ الشّيرازيّ ..... إعداد: ياور أميري — ٦٢

مرابطة — التّكفيريّون يُعلنون الحربَ على الإسلام ..... إعداد: "شعائر" — ٦٤

وثائق — "الشّذَرات العامليّة" ..... "مركز الفقيه العامليّ" — ٦٦

دوائر ثقافية ..... — ٦٧

موقف — شرح حديث (معرفة النّفس) ..... المحدّث الحرّ العامليّ — ٦٨

فرائد — عند العمل تُسكَبُ العبرات ..... إعداد: "شعائر" — ٦٩

قراءة في كتاب — "إلى الطّليعة المؤمنة" ..... قراءة: سلام ياسين — ٧٠

بصائر — كلامٌ في الرِّقّ والاستعباد ..... العلّامة السّيّد الطّباطبائيّ — ٧٢

مصطلحات — الكبائر ..... "مركز المعجم الفقهيّ" — ٧٤

مصطلحات — العمل ..... الشّيخ حسن المصطفويّ — ٧٥

مفكّرة — حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر ..... إعداد: جمال برو — ٧٦

إصدارات — عربية، أجنبية، دوريات ..... إعداد: ياسر حمادة — ٧٩

أيّها العزيز — لا تَظْلِم النّبيَّ الأعظم! ..... الإمام الخميني قدس سره — ٨٢

بسملة

وَلكم في القُدسِ عِبرَة..

■ الشيخ حسين كوراني

«..إنّ عددَ عمليّات الهَدْم زادَ بمقدارِ النّصفِ تقريباً»
وكالة «فلسطين اليوم»
٢٠١٤/٢/٧م

يحفلُ المشهدُ السّياسيُّ الرّاهنُ في العالمِ العربيِّ بالمفارقاتِ والغَرائبِ..

أشدُّ هذه المفارقاتِ مَضاضةً ما يَجري في القدس.. وكلِّ فلسطين!

تكمنُ المفارقةُ في أنّ بعضَ الدّماءِ التي تُراقُ داخلَ العالمِ العربيّ، يَكفي لوقفِ العدوانِ الصّهيو - أميركيّ المتواصلِ - ضدَّ البشريّة بأَسْرِها - من خلالِ التّنكيلِ بأهلِنا في فلسطين.

لن أقفَ لتصويرِ المفارقاتِ عندَ الأعدادِ الهائلةِ من الأسرى، ولا عندَ المجازرِ اليوميّة، أو الجدارِ البغيضِ الشّاهدِ على تَدَنّي المفاهيمِ الإنسانيّةِ في عالَمِ الألفيّةِ الثّالثة، ولا عندَ اشتراكِ القريبِ والبعيدِ في حصارِ غزّة، ولا عندَ عمليّاتِ التّخريبِ باسمِ البناءِ حولَ المسجدِ الأقصى وتحتَ قواعده، أو محاولاتِ تَدْنيسِه المتكرّرة، ولا عندَ قطعِ الأشجارِ ومصادرةِ الأراضي.

سأقفُ هنا بالتّحديدِ عند «**هَدْمِ بيوتِ المَقدسيّين وغيرهم**» من أبناءِ فلسطين!

بتاريخ ٧ شباط ٢٠١٤م أوردتْ وكالةُ أخبار «فلسطين اليوم» ما يلي:

«حذّرتْ وكالاتُ إغاثةٍ في الضّفّةِ الغربيّةِ المحتلّةِ والقدسِ المحتلّة، اليومَ الجمعةَ من تصاعدِ عمليّاتِ الهَدْمِ التي تقومُ بها إسرائيل للمَباني الفلسطينيّة بالتّزامنِ مع إجراءِ مفاوضاتِ سلامٍ تدعمُها الولاياتُ المتّحدة».

وفي تحديدِ ارتفاعِ وتيرةِ هَدْمِ بيوتِ الفلسطينيّين وتشريدِهم، جاء في الخبرِ نفسه:

«وقال بيانٌ صادرٌ عن ٢٥ منظّمة إغاثة إنّ عددَ عمليّاتِ الهَدْمِ زادَ بمقدارِ النّصفِ تقريباً، كما زادَ تشريدُ الفلسطينيّين بنسبة ٧٥ بالمائة تقريباً، في الفترةِ من يوليو/تموز ٢٠١٣ عندما بدأتْ محادثاتُ السّلامِ إلى نهايةِ العامِ مقارنةً بنفسِ الفترةِ من عام ٢٠١٢».

علامةُ إنسانيّةِ الإنسان، وإسلامِ المُسلِم، شعيرةُ حَمْلِ همِّ المظلوم، وإلّا فليسَ بإنسانٍ أو مسلم.

هل نُعِدُّ الجوابَ ليومِ العرضِ الأكبرِ حينَ نُسأل: ماذا فعلتُم عندما هُجِّرَ هؤلاء من بيوتِهم وهُدِمَت فوقَ أثاثِها، واستغاثوا..

إنّه السّؤالُ المُلِحُّ والتّحدّي الكبيرُ العريضُ، فماذا نحنُ فاعلون؟

***

يتواصلُ هَدْمُ بيوتِ المَقدسيّين بالخصوص، وسائرِ الفلسطينيّين، في خطٍّ بيانيٍّ تَصاعديٍّ، في مناخٍ عسكريٍّ وسياسيٍّ ترسمُ معالمَه الخطوطُ العريضةُ التّالية:

١- **عسكريّاً**، «إسرائيل» الآن، في أسوأِ مراحلِها التي مرّتْ بها منذَ بدأَ تَكَوُّنُ «**الغدّة السّرطانيّة**» التي تمثّلُها. أفقدتْها «حربُ تمّوز» كلَّ مقوّماتِ القدرةِ المصطنَعة التي كانتْ تَتفرّعَن بها على «نواطير» المحميّاتِ الاستعماريّةِ وغيرِهم. جيشُها الذي كانَ يُقالُ إنّه لا يُقهَر أصبحَ اليوم مقهوراً، ﴿..مَذْءُومًا مَّدْحُورًا..﴾ الأعراف:١٨.

٢- **سياسيّاً**: لأوّلِ مرّةٍ في التّاريخِ يرفعُ الاتّحادُ الأوروبيّ صوتَه في وجهِ «إسرائيل»! بلغَ رفعُ الصّوتِ المَدى بالحديثِ مؤخّراً داخلَ الكنيست عن حرمانِ الفلسطينيّين من «الماء»!

وتتوجّسُ «إسرائيل» في نفسها أشدَّ الذُّعرِ ممّا تحملُه التّطوّراتُ الوئيدةُ الواثقةُ في مصر، ولا تُخفي ارتباكَها ممّا يحملُه الغدُ التّركيُّ باعتبار «تركيا» المتنفّسَ الأبرزَ لها حتّى اليوم.

***

و﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ آل عمران:١٩٦. لا يَغُرَّنَّكَ استبشارُ اليهودِ بجَهْرِ بعضِ نواطيرِ الأميركيّ في المنطقةِ بانفتاحِهم على «إسرائيل». ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ آل عمران:١٩٧. لا تَغُرَّنَّكَ بهجةُ «بني قريظة» العصر بيَهودِ مكّة، واعتبار «دار النّدوة» – اليوم، أنّ العدوّ الرّئيس هو إيران!

أحرجَتْهم «إيران» فأخرجَتْهم عن طورِهم وانكشفَ ما ظنّوا أنّه المَستور.

بينَ الوهّابيّين الخوارج – مَنبتِ التّكفيريّين وحاضنتِهم – وبين اليهودِ أبعدُ من التّحالف «**وَشَجَتْ عَلَيْهِ أُصُولُهُم وَتَآزَرَتْ عَلَيْهِ وَتَوَارَثَتْهُ أُصولُهُم وَفُروعُهُم، وَهُم وَاللهِ هُم**».

إنْ لم تُحسن الأمّةُ – سنّةً وشيعةً – التقاطَ هذه الحقيقةِ الصُّراح في أَجلى لحظاتِها، فلا سبيلَ إلى تَعافي الجسدِ الواحد.

***

عندَ زَرْعِ «**الغدّة السّرطانيّة**» في جسدِ الأمّة، حرصَ الزّارعُ – الكافر – على تفخيخِ ساحةِ العالَمِ العربيّ بالمجازرِ الوهّابيّةِ التّكفيريّةِ لينشغلَ المسلمون باستعداءِ بعضِهم بعضاً، ليكتملَ تأسيسُ «**الوطن القوميّ اليهوديّ**» تحتَ جنحِ ظلامِ الفتنةِ الحَنْدَسِ التي جرى تسويقُها باعتبارِها سُنّيّةً شيعيّةً، فكانت – وتكرّرت – غزواتُ (أبي سفيان الوهّابيّ) للنّجَف وكَربلاء، كتَعبيرٍ عن غايةِ الاستفزازِ للإيقاعِ بين المسلمين ممّن ليسَ منهم، وخدمةً لليهود ممّن هو منهم.

وعندما دارت الدّائرةُ على مشروعِ «**الوطن القوميّ اليهوديّ**» الدّخيل، طفحَ جسدُ الأمّةِ بالأورامِ التّكفيريّة – الوهّابيّة، وتكاثرتْ تدرُّناتُها كما تتكاثرُ خلايا المرضِ الأخبثِ في أسوأِ مراحله، وتنتشر.

القاسمُ العمَليُّ المشترَك بين اليهود والوهّابيّين، هو استهدافُ محورِ المقاومة. يهودُ الدّاخل يَحشدون ويُسلِّحون، ويهودُ الخارج يَرسمون الخططَ ويُقدِّمون الدّعمَ السّياسيَّ والأمنيّ والخبرة، ويعالجونَ الجَرحى عبر بوابة «**الجولان**» المحتَلّ.

***

الوهّابيّون حربٌ على مَن حارب «إسرائيل» وسِلْمٌ لمَن سالمَها، وها هم التّكفيريّون بالتّسمية، الوهّابيّون قَلباً وقَالباً، يحصرونَ مواجهتَهم في الأمّة، ويستهدفون مَن حارب «إسرائيل» أو هو مُصِرٌّ في استعدائها.

واستَشعرتْ بهم «إسرائيل» بعضَ الأمل بالأمان، وفي هذا السّياق تتواصلُ عمليّاتُ اقتلاعِ ما بَقِيَ من الفلسطينيّين من أرضِهم والقدس خاصّةً.

ما أكثرَ البيوتِ التي هُدمت فوقَ أثاثِها.. فأقامَ أصحابُها أكواخاً بالقربِ من ركامِ بيوتِهم، لكن سرعانَ ما شملَ قرارُ الهَدْمِ هذه الأكواخ!

ويكشفُ الإعلامُ عن مدينةٍ أُقيمت في الأردنّ قيلَ إنّها مخيّمٌ ضخمٌ أُعِدَّ للمهجَّرين من سوريا!

أحقّاً تُهدَمُ بيوتُ المَقْدسيّين وغيرهم، ويلفُّنا الصّمتُ المُريبُ، ولا نُوقِنُ بأنّ مجازرَ التّكفيريّين الوهّابيّين هي استمرارُ مجازرِ «الهاغانا» في دير ياسين وغيرِها لتَثبيتِ المشروعِ الصّهيونيّ؟

لماذا نفصلُ بين التّكفيريّين والوهّابيّين، ولماذا نفصلُ بين الوهّابيّينَ واليَهود؟؟؟!

اليهوديّة والوهابيّة
تحقيقٌ في المشتركات العقائديّة

تعهّد خطّي من عبد العزيز بن سعود للمفوّض البريطانيّ بيرسي كوكس، كتبه في أثناء التّوقيع على (معاهدة العقير) لترسيم الحدود بين كلٍّ من المملكة السعودية والعراق والكويت، في الثّاني من كانون الأوّل سنة ١٩٢٢م.

ذكر هذا التعهّد جون فلبي في كتابه (الرّسالة)، مشيراً إلى أنّه هدّد سنة ١٩٥٢م آل سعود بنشره إن لم يوافقوا على عودته من منفاه في بيروت إلى «موطنه الأصلي نجد»!

النّصّ الحرفي لهذا التعهّد الوثيقة، كما يلي: (بسم الله الرحمن الرحيم.. أنا السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الفيصل آل سعود، أقرّ وأعترف ألف مرة، لسير برسي كوكس؛ مندوب بريطانيا العظمى، لا مانع عندي من إعطاء فلسطين للمساكين اليهود أو غيرهم، كما تراه بريطانيا، التي لا أخرج عن رأيها، حتى تصبح الساعة..)!

إعداد: «شعائر»

ما فتئت الدّراسات تُظهر أوجه التّشابه بين اليهوديّة وبين الوهّابيّة، على مستوى العقائد والأفكار، حتّى يظهر للعيان أنّهما وجهان لعملةٍ واحدةٍ، ما يطرح التّساؤل التّالي: هل الالتقاء بينهما كان مصادفةً؟ أم اتّكأت الوهّابيّة على معتقدات اليهود المنحرفة خدمةً لمشاريع سياسيّة ستظهر في الأجيال التّالية، منها قطعُ صلة المسلمين بتاريخهم وتراثهم، وتشويه المعتقد الدّينيّ لإدخال الأفكار المسمومة في جسم العالم الإسلاميّ؟!

في هذا التّحقيق نظهر بعضاً ممّا ورد عن التّجسيم في كُتُب اليهود الدّينيّة، وعددٍ من كُتُب أصول الوهابيّة.

مسألة الجلوس والوزن والحجم

ينسبُ اليهود إلى الله تعالى الجلوس والقعود والاستقرار والثّقل والوزن والحجم، ففي نسخة التّوراة المحرّفة، الّتي هي أساس دين اليهود، ورد في أخبار الأيّام الثّاني، الإصحاح الثّامن عشر، الرّقم (١٨): «وقالَ: فَاسْمَعْ إِذاً كَلامَ الرَّبِّ. قَدْ رَأَيْتَ الرَّبَّ جالِساً عَلى كُرْسِيِّهِ وَكُلُّ جُنْدِ السَّماءِ وُقوفٌ عن يَمينِهِ وعن يَسارِهِ».

وفي سفر رؤيا يوحنّا، الإصحاح الرّابع، الرّقم (٩): «وَشُكْراً للجالِسِ عَلى العَرْشِ، الحَيِّ إلى أبد الآبَدِينَ».

أمّا عند الوهّابيّة، فقد وَرد في كتاب (مجموع الفتاوى) لابن تيميّة الحرّانيّ، المجلّد الرّابع: «..أنّ محمّداً **رسول الله يُجلسهُ ربُّه على العرش معه**».

وجاء في هذا الكتاب: «وممّا يجب التّصديق به والرّضا: **مجيئُه إلى الحشر يوم القيامة بمثابة نزوله إلى سمائه**، وذلك بقوله:

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ..﴾ الزمر:٦٩، وهذا دليلٌ على أنّه إذا جاءهم وجلس على كرسيّه، أشرقت الأرضُ كلُّها بأنواره».

وورد فيه أيضاً: «إنّ عرشه أو كرسيّه وسع السّماوات والأرض، وإنّه يجلس عليه، فما يفضل منه قدر أربعة أصابع، أو فما يفضل منه إلّا قدر أربعة أصابع، **وإنّه ليئطّ به أطيط الرّحل الجديد براكبه**».

وورد في كتاب (شرح حديث النّزول) لابن تيميّة: «إذا **جلس تبارك وتعالى** على الكرسيّ، **سُمِع له أطيطٌ** كأطيط الرّحل الجديد».

وفي كتاب عثمان بن سعيد الدّارميّ: «وقد بلغنا أنّهم حين **حملوا العرش وفوقه الجبّارُ في عزّته وبهائه**، ضعفوا عن حملِه واستكانوا وجثوا على رُكَبهم، حتّى لُقّنوا: لا حولَ ولا قوّة إلّا بالله، فاستقلّوا به بقدرة الله وإرادته، لولا ذلك ما استقلّ به العرش ولا الحملَة ولا السّماوات والأرض ولا مَن فيهنّ، ولو قد شاء لاستقرّ على ظهر بعوضة فاستقلّت به بقدرته ولُطف ربوبيّته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السّماوات السّبع والأرضين السّبع».

مسألة النّزول والارتفاع والحركة

جاء في سفر التّكوين، الإصحاح الحادي عشر، الرّقم (٥): «فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالبُرْجَ اللَّذَيْنِ كان بَنو آدَمَ يَبْنونَهما».

وفي الإصحاح السّادس والأربعين منه، الرّقم (٣-٤): «فَقالَ: أَنا اللهُ إِلهُ أَبيكَ. لا تَخَفْ مِنَ النُّزولِ إِلى مِصْرَ. لأَنّي أَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظيمةً هُناكَ. أَنا أَنْزِلُ مَعَكَ إِلى مِصْرَ».

وجاء في سفر الخروج، الإصحاح الثّالث عشر، الرّقم (٢١): «وَكانَ الرَّبُّ يَسيرُ أَمامَهُمْ نَهاراً».

وفي سفر الخروج، الإصحاح التّاسع عشر، الرّقم (٩): «قالَ الرَّبُّ لِموسى: ها أَنا آتٍ إِلَيْكَ في ظَلامِ السَّحابِ».

وفي سفر الخروج، الإصحاح التّاسع عشر، الرّقم (١٠، ١١): «فَقالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبْ إِلَى الشَّعْبِ وَقَدِّسْهُمُ الْيَوْمَ وَغَدًا. وَلْيَغْسِلُوا ثِيَابَهُمْ. وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ. لأَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَنْزِلُ الرَّبُّ أَمَامَ عُيونِ جَمِيعِ الشَّعْبِ عَلَى جَبَلِ سَيْنَاءَ».

بموازاة ذلك، ينقلُ الرّحالة ابن بطّوطة ما شاهده عياناً بدمشق، وما سمعه مباشرةً من ابن تيميّة. يقول ابن بطّوطة: «...وكنت إذ ذاك بدمشق، فحضرتُه [أي ابن تيميّة] يومَ الجمعة وهو يَعِظُ النّاس على منبر الجامع ويذكّرهم. فكان من جملة كلامه أنْ قال:

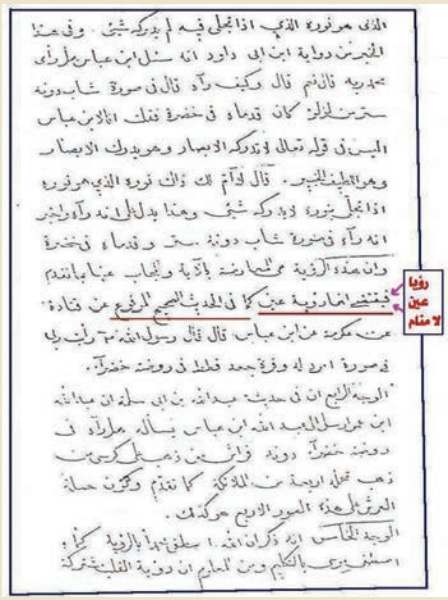

صورة صفحة من مخطوط كتاب (التّأسيس) لابن تيميه، يصحّح فيه الحديث المفترى على رسول الله صلّى الله عليه وآله، عن رؤية الله تعالى بالعين المجرّدة، وأنّه في روضة خضراء..إلخ.

إنّ الله ينزلُ إلى سماء الدّنيا كنزولي هذا؛ ونزل درجةً من درج المنبر، فعارضَه فقيهٌ مالكيّ يُعرف بابن الزّهراء، وأنكرَ ما تكلّمَ به. فقامت العامّةُ إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنّعال ضرباً كثيراً حتّى سقطت عمامتُه..». وصدّر ابنُ بطّوطة الفقرة التي ترجمَ فيها لابن تيمية بعنوان: «**الفقيهُ ذو اللّوثة**»، ثمّ قال: «وكانَ بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقيّ الدّين بن تيمية، كبير الشّام، يتكلّمُ في الفنون، إلّا أنّ في عقلِه شيئاً»!

ونقرأ في كتاب (معارج القبول بشرح سلّم الوصول إلى علم الأصول) للحافظ بن أحمد بن عليّ الحكميّ (المتوفّى عام ١٣٧٧ للهجرة): «عَنْ سَعِيدِبْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ... عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، قَالَ: (**إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا** وَلَهُ فِي كُلِّ سَمَاءٍ كُرْسِيٌّ، فَإِذَا نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا **جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ مَدَّ سَاعِدَيْهِ** فَيَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَتُوبُ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ **ارْتَفَعَ فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ**)، رَوَاهُ ابْنُ مَنْدَهْ، قَالَ:

وَلَهُ أَصْلٌ مُرْسَلٌ. وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ... عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، قَالَ: (يَنْزِلُ اللهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ). حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَرِجَالُهُ أَئِمَّةٌ، وَرَوَاهُ أَبُو مُعَاوِيَةَ بِلَفْظِ: (إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا **ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ فَيَقُولُ**: أَلَا عَبْدٌ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ)».

وورد في هذا الكتاب: «عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، إِذْ قَالَ: أَتَانِي جِبْرِيلُ فِي يَدِهِ كَالْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ فِي وَسَطِهَا كَالنُّكْتَةِ السَّوْدَاءِ. قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَعْرِضُهُ عَلَيْكَ رَبُّكَ لِيَكُونَ لَكَ عِيدًا وَلِأُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ؟ قَالَ: هِيَ السَّاعَةُ، وَهِيَ تَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ سَيِّدُ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْجَنَّةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ وَلِمَ تَدْعُونَهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ؟ قَالَ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ **نَزَلَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُرْسِيِّهِ أَعْلَى ذَلِكَ الْوَادِي**..».

وجاء في كتاب (فتاوى العقيدة) لـ محمّد بن صالح العثيمين: «إنّ **الله يأتي إتياناً حقيقيّاً**». ويقول في موضع آخر فيه: «... فإنّ ظاهره **ثبوتُ إتيان الله هرولةً**، وهذا الظّاهر ليس ممتنعاً على الله فيثبت لله حقيقة».

الشّكل والصّورة عند اليهود والوهّابيّة

وبخصوص الشّكل والصّورة، وَرَد في سفر التّكوين، الإصحاح الأوّل الرّقم (٢٦، ٢٧): «وقالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسانَ عَلى صورَتِنا كَشَبْهِنا «..» فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسانَ عَلى صورَتِهِ».

وجاء في سفر تثنية الإصحاح الرّابع، الرّقم (١٥-١٦): «فَإِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا صورةً ما يَوْمَ كَلَّمَكُمُ الرَّبُّ في حوريبَ مِنْ وَسَطِ النّارِ، لِئَلّا تُفْسِدوا وَتَعْمَلوا لِأَنْفُسِكُمْ تِمْثالاً مَنْحوتاً صورَةَ مثالٍ ما، شِبْهَ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى».

وفي (مجموع الفتاوى) ورد: «..يُنَادَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لِتَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ؛ فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، **فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ**، وَهَذَا

وصف الرّحالة ابنُ بطوطة ابنَ تيمية بـ «الفقيه ذو اللّوثة»، وقال: «...وكنتُ إذ ذاكَ بدمشق، فحضرتُ ابنَ تيمية يومَ الجمعة وهو يَعِظُ النّاسَ على منبر الجامع ويذكّرهم. فكان من جملة كلامِه أنْ قال: إنّ الله ينزلُ إلى سماء الدّنيا كنزولي هذا؛ ونزل درجةً من درج المنبر».

مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. **فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ: فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ**».

وجاء في كتاب (قرّة عيون الموحّدين) لـ عبد الرّحمن بن حسن بن محمّد بن عبد الوهّاب: «..**فيأتون إلى الرّحمن الرّحيم، فيسفرُ لهم عن وجهه الكريم، حتّى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: أللّهمّ أنت السّلام ومنك السّلام، وحقّ لك الجلال والإكرام**».

وهو إن قال: ظاهر النصوص أن صانع العالم متميزٌ عن المخلوقات بائنٌ عنها، وأن ذاته وحقيقته فوق حقيقة المخلوقات وذواتها، بحيث يرفع الناس أبصارهم وأيديهم إليه، تعرج الملائكة والروحُ إليه، وتُرفع الرسل إليه، وتصعد أرواح العباد، وأن الناس يمكن أن يروه يوم القيامة بأبصارهم فوق رؤوسهم ويشيرون إليه بأبصارهم وأيديهم، وأنه فوق الأمكنة كلها، وأنه خلق آدم بيديه (الذين هما اليدان) وأنه استوى فوق العرش فارتفع عليه وعلا عليه، وذاته فوق ذات العرش، ونحو ذلك، وأن له ذاتاً حقيقةً ليس عدمًا ولا شبهًا ولا خيالاً، بل حقيقته أعظمُ الحقائق، وإن كان لا يعلم ماهو إلا هو، ولا يُلِمّ قدرتَه غيرُه، ونحو ذلك.

فإن قال: هذه المعاني وما أشبهها هي ظاهر النصوص.

قلنا: (هذا سلّمْ) لكن بمنع المقدمة الثانية، وهو قولك: هذا مذهب، وإذا سمّاه من سمّاه تشبيهًا وتجسيمًا، لكن مجرد تسميتهم له بهذا الاسم لم يكن موجبًا لترك ما دل عليه[1] الكتاب والسنة، أو لترك ما عُلِمَ بالفطرة والعقل وإجماع السلف وأئمتهم من الخالق أهل العلم والإيمان، فإن هذا الاسم إن لم يكن مطابقًا للمسمّى كان كذبًا، كتسمية قريش للنبي ﷺ مذمّمًا، وتسميتهم له شاعرًا وساحرًا ومجنونًا، ونحو ذلك مما يجحدون به وبين المسمّى به من الشتراك في أمرٍ من عوارض

(١) في الأصل: «على».

تأمّل قوله "...بيديه اللذين هما اليدان" !!!

صورة صفحة من كتاب (جواب الاعتراضات المصرية) لابن تيميه، يعلّل فيه ويدافع عن ثبوت يدَين جارحتَين لله سبحانه.

الجوارح حقيقيّة بزعمهم

جاء في سفر الخروج، الإصحاح الخامس عشر، الرّقم (١٢): «تَمُدُّ يَمِينَكَ فَتَبْتَلِعُهُمُ الأَرْضُ».

وفي سفر الخروج، الإصحاح الخامس عشر، الرّقم (١٦): «بِعَظَمَةِ ذِرَاعِكَ يَصْمُتُونَ كَالحَجَرِ».

وفي سفر حزقيال، في الإصحاح السّابع والثّلاثين، الرّقم (١): «كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ، فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ، وَأَنْزَلَنِي فِي وَسْطِ الْبُقْعَةِ وَهِيَ مَلآنَةٌ عِظَاماً».

بالتّوازي، جاء في كتاب (التّوحيد) لمحمّد بن عبد الوهّاب، بشرح سليمان اللّهيميد: «وعلى كلّ حالٍ، **فَيَداهُ، سبحانه، اثنتان بلا شكّ**، وكلّ واحدةٍ غير الأخرى».

ويسوق ابن عبد الوهّاب أحاديثَ يزعمُ من خلالها أنّ الله تعالى له جارحتا السّمع والبصر، فيقول في (أصول الإيمان): «وعن أبي هريرةَ... أَنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسَلَّم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا...﴾ النّساء:٥٨، إلى قوله: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ النّساء:٥٨، **ويضع إبهامَيهِ على أذنيهِ والّتي تليهَا على عينيه**».

وورد في كتاب (بيان تلبيس الجهميّة) لابن تيميّة: «..**وليس في كتاب الله ولا سنّة رسولِه ولا قولِ أحدٍ مِن سلفِ الأمّة وأئمّتها أنّه ليس بجسمٍ، وأنّ صفاته ليست أجساماً وأعراضاً**، فنفيُ المعاني الثّابتة بالشّرع والعقل بنفي ألفاظ لم يَنفِ معناها شرعٌ ولا عقلٌ، جهلٌ وضلالٌ».

وجاء في كتاب (تفسير آية الكرسيّ) للشّيخ محمّد بن صالح العثيمين: «**والكرسيّ هو موضع قدمَي الله عزّ وجلّ**».

وورد في كتاب (عقيدة أهل السّنّة والجماعة) للشّيخ محمّد بن صالح العثيمين: «**ونؤمن بأنّ لله تعالى عينَين اثنتَين حقيقيّتَين** لقوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا..﴾ هود:٣٧ «..» **وأجمع أهلُ السّنّة على أنّ العينين اثنتان**، ويؤيده قول النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في الدّجّال: (إنّه أعور وإنّ ربّكم ليس بأعور)، «..» **ونؤمنُ بأنّ المؤمنين يرونَ ربهّم يوم القيامة** ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ القيامة:٢٢-٢٣».

وجاء في كتاب (نقض عثمان الدّارميّ على المريسيّ الجهميّ):

- «ويدُ الله غير آدم، فأكّد الله لآدم الفضيلة الّتي كرّمه وشرّفه بها، وآثَره على جميع عباده، **إذ كلّ عباده خَلَقَهم بغيرِ مَسيسِ بيدٍ، وخَلَقَ آدمَ بِمَسيس**».

- «**عن ميسرة: إنّ الله لم يَمسّ شيئاً من خلقه غير ثلاث: خَلَقَ آدمَ بيدِه، وكَتَبَ التّوراة بيدِه، وغرس جنّة عدنٍ بيده**».

- «يضع الجبّار فيها قدمه، **وإذا كانت جهنّم لا تضرّ الخزنة الّذين يدخلونها، ويقومون عليها، فكيف يستنكر وضعُ ربّ العالمين عليها قدمه؟**».

عن الحافظ ابن حجر العسقلانيّ أنّ النّاس افترقوا في ابن تيمية، فمنهم مَن نسبه إلى التّجسيم، لإثباته الجوارح لله تعالى، ومنهم من نسبَه إلى الزّندقة، لقوله إنّ رسولَ الله لا يُستغاثُ به. ومنهم من نسبه إلى النّفاق، لتطاوله على أمير المؤمنين عليٍّ، فصار مصداقاً لقوله صلّى الله عليه وآله: «يا عليّ، لا يُبغضك إلّا منافق».

صوت الله عند اليهود والوهّابيّة

جاء في سفر التّكوين، الإصحاح الثّالث، الرّقم (٨-١٠): «وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِياً فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ «..» فَقَالَ سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ..».

وورد في سفر تثنية، الإصحاح الرّابع، الرّقم (١٢): «فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلاَمٍ..».

وجاء في سفر أيّوب الإصحاح السّابع والثّلاثين، الرّقم (٥): «اللهُ يُرْعِدُ بِصَوْتِهِ عَجَبًا».

وأمّا في (مجموع الفتاوى)، فقد ورد: «وَجُمْهُورُ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ: إنَّ الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ كَلَامُ اللهِ وَقَدْ تَكَلَّمَ اللهُ بِهِ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ..».

هذا غيضٌ من فيضٍ من أوجه التّشابه بين اليهوديّة والوهّابيّة، فلا عجبَ أنْ مكّن الغربُ هذه العقيدة في شبه الجزيرة العربيّة، وسمح لها بالتّمدّد في الحجاز، ودافع عن أصحابها الّذين جعلوا للمحتلّ موطئ قدمٍ في فلسطين.

من آراء العلماء السُّنّة في ابن تيمية

يتوقّفُ فهمُ حقيقة «الوحدة الإسلاميّة» على اليقين بأنّ النّواصب ليسوا من الأُمّة، وحيث إنّ النَّصْبَ يقومُ في غالبِه على اعتماد مغالطات ابن تيمية وشُبُهاتِه، تَمَسُّ الحاجةُ إلى معرفةِ آراءِ كبار علماء الأمّة من السُّنّة، بالخصوص، وهذا بعضُها:

*** قال المحقّق أبو الحسن السّبكيّ في طليعة رسالته (الدّرّة المضيّة في الرّدّ على ابن تيميّة)، ما نصّه:**

«أمّا بعد، فإنّه لمّا أحدث ابن تيميّة ما أحدث في أصول العقائد، ونقضَ من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أنْ كان مستَتِراً بتبعيّة الكتاب والسّنّة، مُظهراً أنّه داعٍ إلى الحقّ، هادٍ إلى الجنّة، فخرج عن الاتّباع إلى الابتداع، وشذّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسميّة والتّركيب في الذّات المقدّسة، وأنّ الافتقار إلى الجزء ليس بمحالٍ، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى، وإنّ القرآن محدثٌ تكلّم الله به بعد أن لم يكن، وإنّه يتكلّم ويسكت ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدّى في ذلك إلى استلزام قِدَم العالم (والتزامه) بالقول بأنّه لا أوّل للمخلوقات، فقال بحوادث لا أوّل لها، فأثبت الصّفة القديمة حادثةً، والمخلوق الحادث قديماً، ولم يجمع أحدٌ هذين القولَيْن في ملّة من المِلَل ولا نحلةٍ من النّحل، فلم يدخل في فرقةٍ من الفِرَق الثّلاثة والسّبعين التي افترقت عليها الأمّة... وكلُّ ذلك – وإن كان كفراً شنيعاً – ممّا تقلّ جملته بالنّسبة إلى ما أحدث في الفروع. فإنّ متلقّي الأصول عنه، وفاهمُ ذلك منه، هم الأقلّون، والدّاعي إليه من أصحابه هم الأرذلون، وإذا حوقِقُوا في ذلك أنكروه وفرّوا منه، كما يفرّون من المكروه، ونُبهاءُ أصحابه ومتديّنوهم لا يظهر لهم إلّا مجرّد التّبعيّة للكتاب والسّنّة، والوقوف عند ما دلّت عليه من غير زيادةٍ ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ».

صورة التُقطت في منتصف تشرين الأوّل الفائت، تجمع الديبلوماسي السّعودي تركي بن فيصل آل سعود، مع المحلّل الاستراتيجيّ «الإسرائيلي» يوسي ألفر، الذي شغل منصب «محلّل استخباراتي لشؤون ايران» في جهاز الموساد لمدة اثنَي عشر عاماً.

يؤكّد المحقّق السّبكيّ أنّ ما أحدثه ابن تيمية في الأصول كُفرٌ شنيع، وما أحدثَه في الفروع أدهى، وأنّه لم يدخل في فرقةٍ من الفِرَق الثّلاثة والسّبعين التي افترقت عليها الأمّة.

*** وممّا قاله ابن حجر العسقلانيّ في (الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة):**

«واقتضى له [لابن تيمية] ذلك العجبُ بنفسه حتّى زهى على أبناء جنسِه، واستشعرَ أنّه مجتهد، فصار يردّ على صغير العلماء وكبيرهم، قويّهم وحديثهم "..." وقال في حقّ عليّ: أخطأ في سبعة عشر شيئاً!! ثمّ خالف فيها نصّ الكتاب، منها اعتدادُ المتوفّى عنها زوجها أطول الأجلَين.

وكان لتعصّبه لمذهب الحنابلة يقعُ في الأشاعرة، حتّى أنّه سبّ الغزاليّ فقام عليه قومٌ كادوا يقتلونه "..." وأطلق ابن تيميّة إلى الشّام، وافترق النّاس فيه شيَعاً، فمنهم من نسبه إلى التّجسيم لِمَا ذكر في العقيدة الحمويّة والواسطيّة وغيرهما، من ذلك كقوله إنّ اليد والقدم والسّاق والوجه صفات حقيقيّة لله، وإنّه مستوٍ على العرش بذاته "..." ومنهم من ينسبُه إلى الزّندقة لقوله إنّ النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لا يُستغاثُ به، وإنّ في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم "..." ومنهم مَن ينسبُه إلى النّفاق لقوله في عليٍّ ما تقدّم "..." وإنّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنّما قاتلَ للرّياسة لا للدّيانة، ولقوله أنّه كان يحبّ الرّياسة "..." ولقوله أبو بكر أَسلمَ شيخاً يدري ما يقول، وعليّ أسلم صبيّاً والصّبيّ لا يصحّ إسلامه "..." فألزَموه بالنّفاق لقوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **(ولا يبغضك إلّا منافقٌ)**، ونسبه قومٌ إلى أنّه [ابن تيميه] يسعى في الإمامة الكبرى [أي الرّئاسة]».

أعمال شهر جُمادى الأولى

«اللّهُمَّ كُنِ الطَّالِبَ لَها مِمَّنْ ظَلَمَها»

إعداد: «شعائر»

من لوازم الإيمان اليَقظة وعلامتُها المراقبة، وهي «قرارٌ بالتزام قانون الله تعالى: الشّرعة والمنهاج» تماهياً مع اليقين والحبّ: اليقين به تعالى، وحبِّه سبحانه.

في المناجاة الشّعبانيّة: «وَأَنْ تَجْعَلَنِي مِمَّنْ يُدِيمُ ذِكْرَكَ، وَلا يَنْقُضُ عَهْدَكَ، وَلا يَغْفَلُ عَنْ شُكْرِكَ، وَلا يَسْتَخِفُّ بِأَمْرِكَ. إِلهي وَأَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزِّكَ الأَبْهَجِ، فَأَكُونَ لَكَ عارِفاً، وَعَنْ سِواكَ مُنْحَرِفاً، وَمِنْكَ خائِفاً مُراقِباً، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرام».

وأبرزُ كُتُب المراقبات: كتاب «إقبال الأعمال» لسيّد العلماء المراقبين، السّيّد ابن طاوس، و«المراقبات» للفقيه الكبير الشّيخ الملَكيّ التّبريزيّ، وفي هديهما: هذا الباب.

أبرز المناسبات:	أبرز الأعمال:
* شهادة الزّهراء عليها السلام في الثّالث عشر منه. (على رواية) * ولادة الإمام عليّ بن الحسين السّجّاد عليه السلام في اليوم الخامس عشر. (على رواية) * ولادة الصّدّيقة الصُّغرى السّيّدة زينب عليها السلام في اليوم الخامس.	* زيارة السّيّدة الزّهراء والسّيّدة زينب عليهما السلام. * صيام يوم النّصف من الشّهر. * دعاء غرّة الشّهر المَروي في (إقبال الأعمال). * صلاة أوّل الشّهر والصّدقة.

اليوم الأوّل: دعاء غرّة الشّهر

* **(إقبال الأعمال): قال السّيّد ابن طاوس**: «في ما نذكره من دعاءٍ عند غرّة هذا الشّهر، وجدناه في كتاب (المختصر من كتاب المنتخب)، فقالَ ما هذا لفظُه: الدّعاء في غرّة جُمادى الأولى:

اللّهمَّ أنتَ اللهُ وأنتَ الرّحمنُ الرّحيمُ، وأنتَ المَلِكُ القدُّوسُ، وأنت السَّلامُ المؤمنُ، وأنتَ المُهَيمنُ، وأنتَ العزيزُ، وأنتَ الجبَّارُ، وأنتَ المتكبِّرُ، وأنتَ الخالِقُ، وأنتَ البارِئُ، وأنتَ المُصَوِّرُ، وأنتَ العزيزُ الحكيمُ، وأنتَ الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهرُ والباطِنُ، لكَ الأسماءُ الحُسنى...».

(انظر المصدر: ج ٣، الباب السّادس)

***

(كشف الغطاء): «ومن الصّلوات المستحبّة: صلاةُ أوّل الشّهر عن الإمام الرّضا عليه السلام: **إذا دخلَ شهرٌ جديدٌ تُصلّي في أوّل يومٍ منه ركعتَين، تقرأُ في الأُولى بعد قراءة (الحمد) مرّةً، (التّوحيدَ) بعَددِ أيّام الشّهر، وفي الثّانية بعد قراءة (الحمد) مرّةً (القدرَ) بعَددِ أيّام الشّهر، وتتصدّق بما تيسّر، تشتري به سلامةَ ذلك الشّهر كلّه**».

وفي **(الدّروع الواقية)** للسّيّد ابن طاوس أنّه تُستحبُّ قراءة هذه الآيات بعد أداء صلاة أوّل الشّهر:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾. ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿..سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾. ﴿..مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ..﴾. ﴿..حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾. ﴿..وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. ﴿..لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. ﴿..رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾. ﴿..رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

اليوم الثّالث عشر: شهادةُ الصّدِّيقة الكُبرى عليها السلام (على رواية)

* في مثل هذا اليوم كانت شهادة علّة الكون الصّدّيقة الشّهيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام، على رواية، سنة ١١ للهجرة.

***

* (**مصباح المتهجّد**): روى الشّيخ الطّوسيّ رضوان الله تعالى عليه بسنده عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام نصّ هذه الصّلاة على الصّدّيقة الكبرى عليها السلام:

«أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى الصِّدِّيقَةِ فاطِمَةَ الزَّكِيَّةِ، حَبِيبَةِ حَبِيبِكَ وَنَبِيِّكَ، وَأُمِّ أَحِبَّائِكَ وَأَصْفِيائِكَ الَّتِي انْتَجَبْتَها وَفَضَّلْتَها وَاخْتَرْتَها عَلى نِساءِ العالَمِينَ، أَللّهُمَّ كُنِ الطّالِبَ لَها مِمَّنْ ظَلَمَها وَاسْتَخَفَّ بِحَقِّها، وَكُنِ الثّائِرَ اللّهُمَّ بِدَمِ أَوْلادِها. أَللّهُمَّ وَكَما جَعَلْتَها أُمَّ أَئِمَّةِ الهُدى وَحَلِيلَةَ صاحِبِ اللِّواءِ وَالكَرِيمَةَ عِنْدَ المَلأ الأَعْلى، فَصَلِّ عَلَيْها وَعَلى أُمِّها خديجةَ الكُبرى صَلاةً تُكْرِمُ بِها وَجْهَ مُحَمَّدٍ صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَتُقِرُّ بِها أَعْيُنَ ذُرِّيَّتِها، وَأَبْلِغْهُمْ عَنِّي فِي هذِهِ السّاعَةِ أَفْضَلَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلامِ».

***

* (**مفاتيح الجنان**): قال المحدّث الشّيخ عبّاس القمّيّ: «والمناسب في الثّالث عشر، والرّابع عشر، والخامس عشر، من جُمادى الأولى زيارةُ فاطمة الزّهراء صلوات الله عليها وإقامةُ مأتمها، فقد رُوي بسندٍ صحيحٍ أنّها عاشت بعد أبيها خمسةً وسبعين يوماً، وقد كانت وفاةُ النّبيّ صلى الله عليه وآله في الثّامن والعشرين من صفر على المشهور، فيلزم أن تكون وفاتُها عليها السلام في أحد هذه الأيّام الثّلاثة».

* وقال في كيفيّة الزّيارة: «تُصلّي صلاةَ الزّيارة، أو صلاتها عليها السلام؛ وهي ركعتان: تقرأ في كلٍّ منهما بعد (الحمد) سورة (قل هو الله أحد) ستّين مرّة، فإن لم تقدر فاقرأ بعد (الحمد) في الأولى (قل هو الله أحد) وفي الثّانية: (قل يا أيّها الكافرون)، فإذا سلّمتَ فقُل:

السَّلامُ عَلَيكِ يا سَيِّدَةَ نِساءِ العالَمِينَ، السَّلامُ عَلَيْكِ يا والِدَةَ الحُجَجِ عَلى النّاسِ أَجْمَعِينَ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها المَظْلومَةُ المَمْنُوعَةُ حَقَّها. أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى أَمَتِكَ وَابْنَةِ نَبِيِّكَ وَزَوْجَةِ وَصِيِّ نَبِيِّكَ، صَلاةً تُزْلِفُها فَوْقَ زُلْفى عِبادِكَ المُكَرَّمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّماواتِ وَأَهْلِ الأَرَضِينَ.

فقد رُوي أنَّ مَن زارها بهذه الزّيارة واستغفر الله، غفر الله له وأدخلَه الجنّة».

أضاف المحدّث القمّيّ: «قد أورد هذه الزّيارة نجل السّيّد ابن طاوس أيضاً في كتاب (زوائد الفوائد)، وقال: إنّها تخصّ يوم وفاتها عليها السلام، وهو الثّالث من جُمادى الآخِرة. وقال الشّيخ الطّوسيّ في (التّهذيب) إنَّ ما رُوِيَ في فضل زيارتها صلوات الله عليها، أكثر من أنْ يُحصى. وروى العلّامة المجلسيّ عن كتاب (مصباح الأنوار) عن الزّهراء صَلَواتُ الله عَلَيها أنّها قالت: قال لي أبي: مَنْ صلّى عليكِ غَفَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ له، وأَلْحَقَهُ بي حيثما كنتُ مِن الجنّة».

***

* التّوسّل بسيّدة نساء العالمين صلوات الله عليها:

يقول مؤلّف كتاب (فاطمة الزّهراء بهجةُ قلب المصطفى) أحمد الرّحمانيّ الهمدانيّ: «سمعتُ شيخي ومعتمدي المرحوم الملّا عليّ المعصومي، يقول في التّوسُّل بالزّهراء عليها السلام: **تقول خمسمائة وثلاثين مرّة**: أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى فَاطِمَةَ وَأَبِيها وَبَعْلِها وَبَنِيها، بِعَدَدِ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ».

اليوم الخامس عشر: ولادةُ الإمام السّجّاد عليه السلام

* مولد الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السّلام - على رواية - سنة ٣٨ للهجرة، أو ٣٦ للهجرة على رأي آخر.

***

* (**إقبال الأعمال**): قال السّيّد ابن طاوس: «في ما نذكره من صَومِ يوم النّصف من جُمادى الأولى وفضلِه، رَوينا ذلك بإسنادنا إلى شيخنا المفيد رضوان الله عليه، فقال عند ذكر جمادى الأولى ما هذا لفظه: النّصف منه سنة ستّ وثلاثين من الهجرة كان مولد سيّدنا أبي محمّد، عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السّلام، وهو يومٌ شريفٌ يُستحبّ فيه الصّيام والتّطوُّع بالخيرات».

اليوم الخامس: ولادة الصّدِّيقة الصُّغرى عليها السلام

* «يُستفاد من آثار أهل البيت جلالةُ شأن زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليهما السلام بما لا مزيدَ عليه، وأنّها من كمال معرفتِها وَوُفور علمها وحُسن أعراقها وطِيب أخلاقها كانت تُشبه أمَّها سيّدةَ النّساء فاطمة الزّهراء وأباها، عليهما السلام، في قوّة القلب في الشّدّة والثّبات عند النّائبات والصّبر على المُلمّات، فالشّجاعةُ الموروثةُ من صفاتها والمَهابةُ المأثورةُ من سِمَاتها.

وأمّا عبادتها: فهي تاليةُ أمّها الزّهراء عليها السلام، وكانت تقضي عامّة لياليها بالتّهجّد وتلاوة القرآن، قالت فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام: «**وأمّا عمّتي زينب فإنّها لم تزل قائمةً في تلك اللّيلة** - أي العاشرة من المحرّم - **في محرابها، تستغيثُ إلى ربهّا، فما هدأتْ لنا عينٌ ولا سكَنَتْ لنا رَنَّة**».

ورُوِيَ أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا ودّعَ أختَه العقيلة زينب وداعَه الأخير قال لها: **يا أختاه، لا تَنسيني في نافلة اللّيل**».

***

* «..مَن كان يدري أنَّ القَدَر يُهيِّئ هذه السّيّدة الطّاهرة ليومٍ عظيمٍ، لِتصبحَ مثلاً في الصّبر الإلهيّ. لقد كانت أمُّها فاطمة سيّدةَ نساءِ العالمين، ولا ريب، أمّا هي فقد كانت قدوةً لِنساء عالمها، بل سيّدةَ نساءِ عالَمِها، فهي حفيدةُ رسول الله، ورَبيبةُ أمير المؤمنين، وفاطمة الزّهراء، وهي الّتي شَهدَ بحقّها الإمامُ عليّ بن الحسين عليه السلام، بعد أنْ ألقَت خطابَها الرّائع في حشود أهل الكوفة بعد واقعة الطّفّ، وقال لها: **أنتِ، بحمد الله، عالمةٌ غير مُعلَّمة، فَهِمَةٌ غير مُفهَّمة**.

وهي الفقيهة المفسِّرة، الّتي كانت جلسات درسها مشهودة من قِبَل النّساء في المدينة والكوفة.

لقد نُعِتَت بلَقبِ عقيلة بني هاشم، لأنّها كانت أبرز الهاشميّات عِلماً وتقوًى وتدبيراً. والهاشميّات كنَّ القمّة في الصّفات المُثلى، أفلا يحقُّ لنا أن نسمّيها سيّدةَ نساء عالمها بعد أمِّها الصّدّيقة الكُبرى، أَوَلا ينبغي أنْ نُسمِّيها بالصّدّيقة، أَوَ لم تَكنْ مواقِفُها مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام كافيةً لمثل هذا اللّقب الكبير: (**الصِّدِّيقة**)؟..».

(مصادر)

رَكعتان في أوّل يوم من الشّهر، بالحمد مرّة و(التّوحيد) ثلاثين مرّة في الأولى، وبالحمد مرّة و(القدر) ثلاثين مرّة في الثّانية، ثمّ الصّدقة بما تَيسَّر، تشتري بذلك سلامةَ الشّهر كلّه، كما في الرّواية عن الإمام الرّضا عليه السّلام.

زيارة الصّدّيقة الكُبرى عليها السلام
يوم شهادتها:

تقرأ في الأولى بعد (الحمد) (قل هو الله أحد)، وفي الثّانية بعد (الحمد) (قل يا أيّها الكافرون)، فإذا سلّمتَ فقُل:

السَّلامُ عَليكِ يا سَيِّدَةَ نِساءِ العالَمِينَ، السَّلامُ عَلَيْكِ يا والِدَةَ الحُجَجِ عَلى النّاسِ أَجْمَعِينَ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها المَظْلومَةُ المَمْنُوعَةُ حَقَّها. أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى أَمَتِكَ وَابْنَةِ نَبِيِّكَ وَزَوْجَةِ وَصِيِّ نَبِيِّكَ، صَلاةً تُزْلِفُها فَوْقَ زُلْفى عِبادِكَ المُكَرَّمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّماواتِ وَأَهْلِ الأَرَضِينَ.

عن الشّيخ المفيد في يوم النّصف من جمادى الأولى: «..وهو يومٌ شريفٌ يُستحبّ فيه الصّيام والتّطوّع بالخيرات».

مَسْلَكٌ أخلاقيٌّ مَخصُوصٌ بالقرآن
بناؤه على الحبِّ العُبوديّ

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله

بحثٌ قرآنيٌّ في الأخلاق للعلّامة الطّباطبائيّ أورده في الجزء الأوّل من (تفسير الميزان)، ميّز فيه بين ثلاثة مسالك تربويّة. الأوّلان هما تهذيبُ النّفس بالغايات الدّنيويّة ثمّ الأخلاقيّة، والثّالث – وهو مخصوصٌ بالقرآن الكريم دون غيره من الكُتُب السّماويّة المتقدّمة – تهذيبُها بالعبوديّة الحقّة.

إنّ إصلاحَ أخلاق النّفس ومَلَكاتها في جانبَي العلم والعمل، واكتسابَ الأخلاق الفاضلة، وإزالةَ الأخلاق الرّذيلة، يكون بتكرار الأعمال الصّالحة المناسبة لها، ومزاولتِها، والمداومةِ عليها، حتّى تثبُتَ في النّفس من الموارد الجزئيّة علومٌ جزئيّة، وتتراكمَ وتنتقشَ في النّفس انتقاشاً مُتعذّر الزّوال أو مُتعسّرها. مثلاً، إذا أراد الإنسانُ إزالةَ صفة الجُبْن واقْتِناءَ ملَكة الشّجاعة، كان عليه أن يكرِّر الورود في الشّدائد والمهاول الّتي تزلزلُ القلوبَ وتُقَلْقِلُ الأحشاء، وكلّما وَرَدَ في موردٍ منها وشاهد أنّه كان يمكنه الورود فيه، وأدرك لذّة الإقدام وشناعة الفرار والتّحذُّر، انتَقَشَت نفسُه بذلك انتقاشاً بعد انتقاشٍ، حتّى تثبُت فيها ملَكةُ الشّجاعة، وحصولُ هذه المَلَكَة العلميّة، وإنْ لم يكن في نفسه بالاختيار، لكنّه بالمقدّمات الموصلة إليه اختياريٌّ كسبيٌّ. إذا عرفْتَ ما ذكرناه، علمْتَ أنّ الطّريق إلى تهذيب الأخلاق واكتِساب الفاضلة منها أحدُ مسلَكَين:

المَسلك الأوّل: تهذيبُها بالغايات الصّالحة الدّنيويّة، والعلوم والآراء المحمودة عند النّاس، كما يقال: إنّ العفّة وقناعة الإنسان بما عنده، والكفَّ عمّا عند النّاس، توجبُ العزّةَ والعَظَمة في أعيُنِ النّاس، والجاهَ عند العامّة. وإنّ الشّرَه يوجب الخَصاصة والفقر، وإنّ الطّمع يوجب ذلّة النّفس المنيعة، وإنّ العلمَ يوجبُ إقبالَ العامّة، والعزّة والوجاهة والأنسَ عند الخاصّة، وهذا هو المسلكُ المعهود الّذي رُتِّب عليه علمُ الأخلاق، والمأثورُ من بحث الأقدمين من يونان وغيرهم فيه.

لم يَستعمل القرآنُ هذا المسلك الّذي بناؤه على انتخابِ الممدوح عند عامّة النّاس عن المذموم عندهم، والأخذِ بما يستحسنُه الاجتماعُ، وتركِ ما يستقبحُه.

المسلك الثّاني: [تهذيبُ الأخلاق] بالغايات الأُخرويّة، وقد كثُر ذكرُها في كلامه تعالى، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ..﴾ التّوبة:١١١، وقوله تعالى: ﴿..إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزّمر:١٠، وقوله تعالى: ﴿..إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إبراهيم:٢٢، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ..﴾ البقرة:٢٥٧، وأمثالها كثيرة على اختلافِ فنونها.

ويلحق بهذا القسم نوعٌ آخر من الآيات، كقولِه تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ..﴾ الحديد:٢٢-٢٣، فإنّ الآيةَ دَعَت إلى ترك الأسى والفرح، بأنّ الّذي أصابَكُم ما كان ليُخطئَكم، وما أخطأَكُم ما كان ليُصيبَكُم، لاستنادِ الحوادث إلى قضاءٍ مقضيٍّ وقدَرٍ مُقدّر. فالأسى والفرح لغوٌ لا ينبغي صدورُه من مؤمنٍ يؤمنُ بالله الّذي بيده أزمّةُ الأمور، كما يشير إليه قولُه تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ..﴾ التّغابن:١١، فهذا القسم من الآيات أيضاً نظيرُ القسم السّابق الّذي يُتسبّب فيه إلى إصلاح الأخلاق بالغايات الشّريفة الأُخرويّة، وهي كمالاتٌ حقيقيّةٌ غيرُ ظنّيّةٍ، يُتسبّب فيه إلى إصلاح الأخلاق بالمبادئ السّابقة الحقيقيّة، من القدَر، والقضاء، والتّخلُّق بأخلاق الله، والتّذكّر بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ونحو ذلك.

شُبهة

فإنْ قلتَ: التّسبّبُ بمثل القضاء والقدر يوجبُ بطلانَ أحكام هذه النّشأة الاختياريّة، وفي ذلك بطلانُ الأخلاق الفاضلة، واختلالُ نظام هذه النّشأة الطّبيعيّة، فإنّه لو جازَ الاستنادُ في

إصلاح صفة الصّبر والثّبات، وترْك الفرح والأسى كما استُفيد من الآية السّابقة إلى كون الحوادث مكتوبةً في لوحٍ محفوظٍ، ومقضيّةً بقضاءٍ محتومٍ، أمكنَ الاستنادُ إلى ذلك في تركِ طلبِ الرّزق، و[تَرْك] كسبِ كلّ كمالٍ مطلوبٍ، و[تَرْك] الاتّقاءِ عن كلّ رذيلةٍ خُلُقيّةٍ، وغير ذلك، فيجوز حينئذٍ أنْ نقعدَ عن طلبِ الرّزق، والدّفاع عن الحقّ ونحو ذلك، بأنّ الّذي سيَقع منه مقضيٌّ مكتوبٌ، وكذا يجوزُ أنْ نتركَ السّعيَ في كسب كلّ كمالٍ، وترْكِ كلّ نقصٍ بالاستناد إلى حَتْمِ القضاء وحقيقةِ الكتاب، وفي ذلك بطلانُ كلّ كمالٍ!

قلتُ: قد ذكرنا في البحث عن القضاء، أنّ الأفعالَ الإنسانيّة [مكوّنة] من أجزاءِ عِلَلِ الحوادث. ومن المعلوم أنّ المعاليل والمسبَّبات يتوقّف وجودُها على وجود أسبابها وأجزاء أسبابها، فقول القائل: إنّ الشّبعَ إمّا مقضيُّ الوجود وإمّا مقضيُّ العدَم، وعلى كلّ حالٍ فلا تأثير للأكل [هو] غلطٌ فاحشٌ، فإنّ الشّبع فرضُ تحقّقِه في الخارج لا يستقيمُ إلّا بعد فرضِ تحقُّق الأكل الاختياريّ، الّذي هو أحدُ أجزاء عِلَلِه، فمن الخطأ أن يفرضَ الإنسان معلولاً من المعاليل، ثمّ يحكمَ بإلغاءِ عِلَلِه، أو شيءٍ من أجزاءِ عِلَلِه.

فغيرُ جائزٍ أن يُبطلَ الإنسانُ حكمَ الاختيار الّذي عليه مدارُ حياته الدّنيويّة، وإليه تنتسبُ سعادته وشقاؤه، وهو أحدُ أجزاء عِلَلِ الحوادث الّتي تلحقُ وجوده، من أفعاله، أو الأحوال والملَكات الحاصلة من أفعاله. غير أنّه كما لا يجوز له إخراجُ إرادته واختياره من زُمرة العِلَل، وإبطال حكمه في التّأثير، كذلك لا يجوزُ له أنْ يحكمَ بكون اختياره سبباً وحيداً، وعلّةً تامّةً إليه تَستندُ الحوادث، من غير أن يشاركه شيءٌ آخَر من أجزاء العالم والعِلَلِ الموجودةِ فيه، الّتي في رأسها الإرادةُ الإلهيّة، فإنّه يتفرّع عليه [أي يتفرّع على الحُكم بكون اختياره سبباً وحيداً] كثيرٌ من الصّفات المذمومة، كالعُجب، والكِبر، والبخل، والفرح، والأسى، والغمّ، ونحو ذلك.

فإذا عرفْتَ ما ذكرنا، وهو حقيقةٌ قرآنيّة يُعطيها التّعليم الإلهيّ كما مرّ، ثمّ تدبّرتَ في الآيات الشّريفة الّتي في المورد، وجدتَ أنّ القرآنَ يَستندُ إلى القضاءِ المحتوم، والكتاب المحفوظ في إصلاح بعض الأخلاق دونَ بعضٍ.

فما كان من الأفعال أو الأحوال والملَكات يوجبُ استنادُها إلى القضاء والقدر إبطالَ حُكْم الاختيار، فإنّ القرآن لا يَستندُ إليه، بل يدفعُه كلّ الدّفع، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف:٢٨.

وما كان منها يوجبُ سلبُ استنادها إلى القضاء إثباتَ استقلال اختيار الإنسان في التّأثير، وكونَه سبباً تامّاً غير محتاجٍ في التّأثير، ومستغنياً عن غيره، فإنّه يثبُت استنادُه إلى القضاء ويهدي الإنسان إلى مستقيمِ الصّراط الّذي لا يُخطئ بسالكه، حتّى ينتفيَ عنه رذائل الصّفات الّتي تتبعه كإسنادِ الحوادث إلى القضاء كي لا يفرح الإنسان بما وجده جهلاً، ولا يحزن بما فقده جهلاً، كما في قوله تعالى: ﴿..وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ..﴾ النّور:٣٣، فإنّه يدعو إلى الجُود بإسناد المال إلى إيتاء الله تعالى، وكما في قوله تعالى: ﴿..وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ البقرة:٣، فإنّه يندبُ إلى الإنفاق بالاستناد إلى أنّه مِن رزق الله تعالى، وهذا المسلكُ – أعني الطّريقة الثّانية في إصلاح الأخلاق – طريقةُ الأنبياء، ومنه شيءٌ كثيرٌ في القرآن، وفي ما يُنقل إلينا من الكُتُب السّماويّة.

مسلكٌ أخلاقيٌّ خاصّ

وها هُنا مسلكٌ ثالثٌ مخصوصٌ بالقرآن الكريم، لا يوجدُ في شيءٍ ممّا نُقل إلينا من الكتب السّماويّة، وتعاليم الأنبياء الماضين، سلام الله عليهم أجمعين، ولا في المعارف المأثورة من

إرادةُ الإنسان واختياره هي واحدةٌ من أجزاء عِلَلِ الحوادث، فلا يصحُّ نفيُها، ولا يجوز توهُّم كونها علّةً تامّة.

يقومُ المسلكُ الأخلاقيّ القرآنيّ على إزالة الأوصاف الرّذيلة بالرّفع، لا بالدّفع.

اعتقادُ العبدِ بأنّ الله تعالى هو المالكُ لذوات الأشياء ولمتعلّقاتها كافّة، يُوجِبُ سقوطَها ذاتاً، ووصفاً، وفعلاً، عندَه، عن درجة الاستقلال.

الحكماء الإلهيّين، وهو تربيةُ الإنسان وصفاً وعلماً باستعمال علوم ومعارف لا يبقى معها موضوعُ الرّذائل، وبعبارةٍ أخرى: إزالةُ الأوصاف الرّذيلة بالرّفع، لا بالدّفع.

وذلك كما أنّ كلَّ فعلٍ يُراد به غيرُ الله سبحانه، فالغايةُ المطلوبة منه إمّا عزّةٌ في المطلوب يطمعُ فيها، أو قوّةٌ يخافُ منها ويحذرُ عنها، لكنّ الله سبحانه يقول: ﴿..إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا..﴾ يونس:٦٥، ويقول: ﴿..أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا..﴾ البقرة:١٦٥، والتّحقّق بهذا العلم الحقّ لا يُبقي موضوعاً لرياءٍ، ولا سمعةٍ، ولا خوفٍ من غير الله، ولا رجاءٍ لغيره، ولا ركونٍ إلى غيره، فهاتان القضيّتان إذا صارتا معلومتَين للإنسان تغسلان كلَّ ذميمة، وصفاً أو فعلاً عن الإنسان، وتُحلّيان نفسَه بحليةِ ما يقابلُها من الصّفات الكريمة الإلهيّة، من التّقوى بالله، والتّعزّز بالله، وغيرهما من مناعةٍ، وكبرياءٍ، واستغناءٍ، وهيبةٍ إلهيّةٍ ربّانيّة.

وأيضاً قد تكرّر في كلامه تعالى: أنّ المُلكَ لله، وأنّ له ملكَ السّماوات والأرض، وأنّ له ما في السّماوات والأرض، وحقيقةُ هذا المُلك كما هو ظاهر لا تُبقي لشيءٍ من الموجودات استقلالاً دونه، واستغناءً عنه بوجهٍ من الوجوه، فلا شيءَ إلّا وهو سبحانه المالكُ لذاته ولكلّ ما لِذاته، وإيمانُ الإنسان بهذا المُلك، وتحقّقه به، يُوجِبُ سقوطَ جميع الأشياء ذاتاً، ووصفاً، وفعلاً، عنده، عن درجة الاستقلال. فهذا الإنسان لا يُمكنه أن يريدَ غيرَ وجهه تعالى، ولا أنْ يخضعَ لِشيءٍ، أو يخاف، أو يرجو شيئاً، أو يلتذّ، أو يبتهجَ بشيء، أو يركنَ إلى شيء، أو يتوكّلَ على شيء، أو يُسلِّمَ لشيء، أو يفوّض إلى شيءٍ غير وجهه تعالى.

وبالجملة، لا يريدُ ولا يطلبُ شيئاً إلّا وجهَه الحقّ الباقي بعد فناء كلّ شيءٍ، ولا يُعرض إعراضاً ولا يهرب إلّا عن الباطل الّذي هو غيرُه، الّذي لا يرى لوجوده واقعاً ولا يعبأ به قبالَ الحقّ، الّذي هو وجودُ بارئه جلّ شأنُه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ طه:٨، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ..﴾ الأنعام:١٠٢، وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ..﴾ السّجدة:٧، وقوله: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ..﴾ طه:١١١، وقوله: ﴿..كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ البقرة:١١٦، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ..﴾ الإسراء:٢٣، وقوله: ﴿..أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصّلت:٥٣، وقوله: ﴿..أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ فصّلت:٥٤، وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ النّجم:٤٢.

خلاصة

فأوّل المسالك [التّربية بالغايات الدّنيويّة] يدعو إلى الحقّ الاجتماعيّ، وثانيها [التّربية بالغايات الأخرويّة] يدعو إلى الحقّ الواقعيّ، والكمال الحقيقيّ الّذي فيه سعادةُ الإنسان في حياته الآخرة، وثالثُها [التّربية بالعبوديّة الحقّة] يدعو إلى الحقّ الّذي هو الله، ويَبني تربيتَه على أنّ الله سبحانه واحدٌ لا شريكَ له، ويُنتج العبوديّة المَحْضة.

وقد أهدى هذا المَسلكُ إلى الاجتماع الإنسانيّ جمّاً غفيراً من العُبّاد الصّالحين، والعلماء الرّبّانيّين، والأولياء المُقرّبين رجالاً ونساءً، وكفى بذلك شرفاً للدّين.

على أنّ هذا المسلكَ ربّما يفترقُ عن المسلَكين الآخرين بحسب النّتائج، فإنّ بناءه على الحبّ العبوديّ، وإيثارِ جانب الرّبّ على جانب العبد، ومن المعلوم أنّ الحبّ والولَه والتّيم ربّما يدلُّ الإنسانَ المُحبَّ على أمورٍ لا يستصوبُها العقلُ الاجتماعيّ، الّذي هو مِلاكُ الأخلاق الاجتماعيّة، أو الفهم العامّ العاديّ، الّذي هو أساسُ التّكاليف العامّة الدّينيّة، فللعقلِ أحكامٌ، وللحبِّ أحكامٌ.

موجز في التّفسير

سورةُ «محمّد» صلّى اللّه عليه وآله

إعداد : سليمان بيضون

*** السُّورة السّابعة والأربعون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة «الحديد».**

*** آياتُها ثمانٌ وثلاثون، وهي مدنيّة، يُحفظ قارئُها من الشّرك والكفر، ويكون يوم القيامة في أمانِ الله تعالى، وأمانِ رسوله صلى الله عليه وآله.**

*** سُمِّيتْ بسورة «محمّد» صلى الله عليه وآله، لأنّ اسمَه الشّريف قد ذُكر في الآية الثّانية منها، في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ..﴾.**

*** واسمُها الآخر سورة «القتال» لقوله تعالى: ﴿..فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ..﴾ في الآية العشرين منها.**

وَرد اسمُ «محمّد» صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم في أربعة مواضع، هي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ..﴾ آل عمران:١٤٤، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ..﴾ الأحزاب:٤٠، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ..﴾ محمد:٢. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ..﴾ الفتح:٢٩.

محتوى السّورة

(**تفسير الميزان**): تصفُ السُّورةُ الّذين كفروا بما يخصُّهم من الأوصاف الخبيثة، والأعمال السّيّئة، وتصفُ الّذين آمنوا بصفاتهم الطّيّبة وأعمالهم الحسنة، ثمّ تذكر ما يعقُب صفاتِ هؤلاء من النّعمة والكرامة، وصفاتِ أولئك من النّقمة والهوان.

وعلى الجملة: فيها المُقايسة بين الفريقَين، في صفاتهم، وأعمالهم في الدُّنيا، وما يترتّب عليها في الأُخرى، وفيها بعضُ ما يتعلّق بالقتال من الأحكام.

***

(**تفسير الأمثل**): إنّ مسألة الجهاد وقتال أعداء الإسلام هو أهمّ موضوعٍ ألقى ظلالَه على هذه السّورة، في حين أنّ جزءاً مُهِمّاً آخَر من آياتها يتناول المقارنة بين حال المؤمنين والكافرين، وخصائصهم وصفاتهم، وكذلك المصير الّذي ينتهي إليه كلٌّ منهما في الحياة الآخرة. ويمكن تلخيص محتوى هذه السُّورة بصورةٍ عامّةٍ في عدّة فصول:

١ – مسألةُ الإيمان والكفر، والمقارنة بين أحوال المؤمنين والكفّار في هذه الدُّنيا وفي الحياة الآخرة.

٢ – بحوثٌ معبّرةٌ، بليغةٌ، وصريحةٌ حول مسألة الجهاد وقتال المشركين، والتّعليمات الخاصّة في ما يتعلّق بأسرى الحرب.

٣ – شرحُ أحوال المنافقين، الّذين كان لهم نشاطات هدّامة كثيرة حين نزول هذه الآيات في المدينة.

٤ – مسألةُ السَّير في الأرض، وتدبُّر مصير الأقوام الماضين وعاقبتهم، كَدرسٍ للاعتبار والاتّعاظ.

٥ – مسألةُ الاختبار الإلهيّ لمناسبتها موضوعَ القتال والجهاد.

٦ – مسألةُ الإنفاق الّذي يُعتَبر بحدّ ذاته نوعاً من الجهاد، وجاء الحديث عن مسألة البخل الّذي يقعُ في الطّرف المقابل.

٧ – وتناولت بعضُ آيات السّورة مسألةَ الصُّلح مع الكفّار، الّذي يكون أساساً لهزيمة المسلمين وذِلّتهم، ونَهت عنه.

ثواب تلاوتها

(**ثواب الأعمال**): عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَنْ قَرَأَ سورة (الَّذين كَفَرُوا) لم يرتَبْ أبداً، ولَمْ يَدخلْه شكٌّ في دِينِه، ولم يَبْتلِهِ اللهُ بفقرٍ**

أبداً، ولا خوفِ سلطانٍ أبداً، ولم يزَلْ محفوظاً من الشّرك والكفر أبداً حتّى يموت، فإذا ماتَ وَكَّلَ اللهُ به في قبره ألفَ ملَكٍ يُصلّون في قبره، ويكون ثوابُ صلاتهم له، ويُشيّعونه حتّى يُوقفوه موقفَ الأمنِ عندَ الله عزَّ وجلَّ، ويكون في أمانِ الله، وأمانِ محمّدٍ».

تفسيرُ آياتٍ منها

بعد ذكرِ الآية الكريمة، نوردُ ما رُويَ من الحديث الشّريف في تفسيرها، نقلاً عن (تفسير نور الثّقلين) للمحدّث الشّيخ عبد عليّ الحويزيّ رضوان الله تعالى عليه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ ..﴾ محمّد:٢.

أمير المؤمنين عليه السلام: «جاءَ نَفَرٌ من اليهود إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وآله، فَسَأَلَهُ أعلمُهُم في ما سَأَلَهُ، فقال: لأيِّ شَيءٍ سُمّيتَ محمّداً، أو أحمدَ، أو أبا القاسم، وبشيراً، ونذيراً وداعياً؟ فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: أمّا محمّد، فإنّي محمودٌ في الأرض، وأمّا أحمد فإنّي محمودٌ في السّماء..».

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ محمّد:٧.

أمير المؤمنين عليه السلام: «لَمْ يَسْتَنْصِرْكُم من ذُلٍّ ولَهُ جنودُ السَّماواتِ والأرضِ وهو العزيزُ الحكيم، وإنّما أرادَ أنْ يَبْلُوَكُم أيُّكم أحسنُ عَمَلاً، وبَادِرُوا بِأعْمَالِكُم تكونوا مع جيرانِ الله في دارِهِ، رافَقَ بهم رُسُلَه، وأزارَهُم ملائكتَه، وأكْرَمَ أسماعَهُم عَنْ أنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نارٍ أبداً، وصانَ أجْسادَهُم أنْ تَلْقَى لُغُوباً ونَصَباً..».

قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا ..﴾ محمّد:١٨.

النّبيّ صلى الله عليه وآله: «مِن أَشْراطِ السّاعةِ أن يُرفعَ العِلمُ، ويَظْهَرَ الجَهْلُ، ويُشْرَبَ الخَمْرُ، ويَفْشوَ الزِّنا، وتَقِلَّ الرِّجالُ، وتَكْثُرَ النِّساءُ، حتّى أنَّ الخَمسينَ امرأةً فيهنّ واحِدٌ مِنَ الرِّجال».

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ..﴾ محمّد:١٩.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «قالَ رَسولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله: الاسْتِغْفارُ وقَوْلُ لا إلهَ إلّا اللهُ خيرُ العبادة، قال اللهُ العزيزُ الجَبّارُ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ..﴾».

** الإمام الباقر عليه السلام: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَعْظَمَ ثَواباً مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ، ولا يَشْرَكُهُ فِي الأُمُورِ أَحَدٌ».

قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ محمّد:٢٢.

* النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا ظَهَرَ العلمُ، واحتُرِزَ العملُ، وائتلفتِ الألْسُنُ، واخْتَلَفتِ القلوبُ، وتقاطعتِ الأرْحامُ، هنالِكَ لَعَنَهُم اللهُ فَأَصَمَّهُم وأَعْمَى أَبْصارَهُم».

** الإمام الباقر عليه السلام: «في كتابِ عليٍّ عليه السّلام: ثلاثُ خصالٍ لا يموتُ صاحبُهنّ حتّى يرى وَبالَهُنّ: البَغْيُ، وقَطِيعَةُ الرَّحِم، واليَمينُ الكاذبةُ يُبارِزُ اللهَ بها..».

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ..﴾ محمّد:٢٨.

* سأل أحدُ الزَّنادقة الإمامَ الصّادق عليه السلام عن الله تعالى: فَلَهُ رضًى وسخط؟ فقال: «نعم، وليسَ ذَلكَ على مَا يُوجَد في المخلوقين، وذلك أنَّ الرِّضا والسّخط دخّالٌ يَدخُل عليه، فَينقلهُ من حالٍ إلى حالٍ، وذلك صفةُ المخلوقين العاجزين المُحتاجين، وهو تَبارَكَ وتَعالى العزيزُ الرَّحيمُ، لا حاجَةَ به إلى شيءٍ ممّا خَلَقَ، وخلقُه جميعاً مُحتاجُونَ إليه، وإنّما خلَقَ الأشياءَ من غير حاجةٍ ولا سَبَبِ اختِراعاً وابتِدَاعاً».

** وفي جوابٍ آخَر له عليه السّلام: «نعم، وليسَ ذلكَ عَلى ما يُوجَدُ مِن المَخْلُوقِين، ولكنَّ غَضَبَ الله عقابُه، ورِضاهُ ثوابُه».

قوله تعالى: ﴿..وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ محمّد:٣٨.

روى أبو هريرة أنّ أناساً من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله قالوا: يا رسول لله! مَن هؤلاء الّذين ذَكَرَ اللهُ في كتابه؟ وكان سلمان إلى جنبِ رسول الله صلّى الله عليه وآله. فضرب عليه السّلام يدَه على فخذِ سلمان، فقال: «هذا وقَوْمُهُ، والّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الإيمانُ مَنوطاً بالثُّرَيّا، لَتَناوَلَه رجالٌ من فارس».

مناسبات شهر جُمادى الأولى

إعداد: صافي رزق

٢ جمادى الأولى / ٨ هجريّة

* معركة مؤتة، واستشهاد جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليهما. (قيل ٦ ج١)

٥ جمادى الأولى / ٥ هجريّة

* ولادة الصّدّيقة الصّغرى، السّيّدة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام.

١٠ جمادى الأولى / ٣٦ هجريّة

* حربُ الجمل بين أمير المؤمنين عليه السلام، والنّاكثين.

١٣ جمادى الأولى / ١١ هجريّة

* شهادة الصّدّيقة الكبرى صلوات الله عليها. (على رواية أنّها عاشت ٧٥ يوماً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله)

١٥ جمادى الأولى

* **٣٦ للهجرة**: فتحُ البصرة ونزول النّصر من الله الكريم على أمير المؤمنين عليه السلام ضدّ النّاكثين.
* **٣٨ للهجرة**: ولادة الإمام عليّ بن الحسين، زين العابدين عليه السلام (على رواية).

٢٧ جمادى الأولى / ٤٥ قبل الهجرة

* وفاة المولى عبد المطّلب بن هاشم جدّ النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٢٩ جمادى الأولى / ٣٠٥ هجريّة

* وفاة محمّد بن عثمان العمريّ، السّفير الثّاني، في فترة الغَيبة الصُّغرى.

أبرز مناسبات جُمادى الأولى

❖ شهادة الصّدّيقة الكبرى عليها السلام ❖ ولادة الإمام زين العابدين عليه السلام

❖ ولادة عقيلة بني هاشم عليها السلام ❖ حربُ الجمل

بعد تقديم فهرسٍ بتواريخ مناسبات الشّهر الهجريّ، تُقدِّم «شعائر» مختصَراً حول أبرزها، كمدخلٍ إلى حُسن التّفاعل مع المناسبات المباركة، مع الحرص على عنايةٍ خاصّة بأيّام المعصومين عليهم السّلام.

اليوم الثّالث عشر: شهادة الصِّدّيقة الكبرى عليها السلام (على رواية)

روى البرقيّ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، في تفسير قوله تعالى: ﴿.. وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ البيّنة:٥، فقال: «**هي فاطمة عليها السّلام**».

بيان: توضيح معنى هذه الرّواية عن الإمام الباقر عليه السلام يستدعي أن نُلفتَ إلى أنّ الولاية تمثّل المحصّلة الكبرى لمجموع الفرائض والطّاعات، عباديّة أو غيرها. ومعلومٌ أنَّ هذه الأعمال المأمورُ بها المكلَّف تؤطِّرها وحدةٌ عباديّةٌ مهمّة، هي ولاية محمَّدٍ وآل محمّدٍ عليهم السلام، إذ بدون ذلك لا يصحُّ من المكلَّف الإتيانُ بشيءٍ، فولايتُه لأولياء الله المفترضة طاعتُهم من الله تعالى ولايةٌ لله تعالى، فكيف يأتي بأعماله المشروط بها القُربيّة لله تعالى وهو مُعادٍ لأولياء الله، ما يعني عداوتَه له تعالى؟ فأنّى له التقرُّب إليه سبحانه بالعبادات المفروضة؟ وقد ورد عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام أنَّ أوّلَ ما يُسأل العبد إذا وقف بين يدَيْ الله جلَّ جلالُه عن الصّلوات المفروضات، وعن الزّكاة المفروضة، وعن الصّيام المفروض، وعن ولاية أهل البيت، فإنْ أقرَّ بولايتهم ثمَّ مات عليها قُبلت منه صلاتُه وصومُه وزكاتُه وحجُّه، وإن لم يقرّ بولايتهم بين يدَي الله عزَّ وجلَّ لم يَقبلِ اللهُ منه شيئاً من أعماله.

ولمّا كانت فاطمة عليها السلام [هي المرتبةُ] البرزخيّةَ بين النّبوّة والإمامة، كما وردَ هذا المعنى في بعض زياراتها عليها السّلام، فضلاً عن كَونِها محلّ الإمامة ومَوضع أسرارها، وكَونِها أمّ الأئمّة المعصومين، وحُجّةَ الله عليهم كما ورد عنهم صلوات الله عليهم، فقد مثَّلَت ولايتُها ولايتَهم، الّتي هي ولايةُ الله تعالى، والّتي بها تُقبلُ الصّلاة والزّكاة والصّيام، وذلك دينُ القَيِّمة.

(من محاضرة للشّيخ محمّد السّند)

اليوم الخامس عشر: ولادة الإمام السّجّاد عليه السلام (على رواية)

عن سعيد بن المسيّب أنَّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتّى يَخرجَ عليّ بن الحسين، فخرج وخَرجنا معه ألفُ راكب، فنزلَ في بعض المنازل وصلّى ركعتَين، فسبَّح في سجوده، فلم يبقَ شجرٌ ولا مَدَرٌ إلّا سَبَّحوا معه، ففزعنا، فرَفع رأسَه فقال: **يا سعيد أَفَزِعْتَ؟** قلت: نعم يا ابن رسول الله، فقال: **هذا التّسبيحُ الأعظَم، حدَّثني أبي عن جدّي عن رَسولِ الله صلّى الله عليه وآله أنَّه قال: لا تَبقى الذُّنوبُ مع هذا التّسبيح...**

[والتّسبيح هو هذا]: **سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وحَنانَيْكَ، سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وتَعالَيْتَ، سُبْحانَكَ اللّهُمَّ والعِزُّ إزارُكَ، سُبْحانَكَ اللّهُمَّ والعَظَمَةُ رِداؤكَ، سُبْحانَكَ اللّهُمَّ والكِبْرِياءُ سُلْطانُكَ، سُبْحانَكَ مِنْ عَظِيمٍ ما أَعْظَمَكَ، سُبْحانَكَ سُبِّحْتَ في الأَعْلَى، سُبْحانَكَ تَسْمَعُ وتَرَى ما تَحْتَ الثَّرَى.**

سُبْحانَكَ أنتَ شَاهِدُ كُلِّ نَجْوَى، سُبْحانَكَ مَوْضِعُ كُلِّ شَكْوى، سُبْحانَكَ حاضِرُ كُلِّ مَلَأ، سُبْحانَكَ عَظيمُ الرَّجاءِ، سُبْحانَكَ تَرَى ما في قَعْرِ الماءِ، سُبْحانَكَ تَسْمَعُ أَنْفاسَ الحِيتانِ في قُعُورِ البِحارِ، سُبْحانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ السَّماواتِ، سُبْحانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الأَرَضِين.

سُبْحانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ، سُبْحانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الظُّلْمَةِ والنُّورِ، سُبْحانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الفَيْءِ والهَواءِ، سُبْحانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ

الرِّيحِ كَمْ هِيَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ، سُبْحانَكَ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، سُبْحانَكَ عَجَباً مَنْ عَرَفَكَ كَيْفَ لا يَخافُكَ، سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، سُبْحانَ اللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

(الشّيخ الطّوسيّ، رجال الكشّيّ - مختصر)

اليوم الخامس: مولدُ العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام

كانت السّيّدة زينب عليها السلام الجزءَ المُكمِّل لمسيرة السِّبط الشَّهيد عليه السلام، وإذا كانت واقعةُ الطَّفِّ من أقدار الله سبحانه، فإنَّ من تقديره الحكيم أنْ يكتملَ الجزءُ الثّاني والمهمّ من المسيرة على يَدِ مَن تكون شخصيَّتُها مثيلةً لشخصيّة أخيها الحسين عليه السلام تماماً، لا في الجوانب المادّيّة فقط، وإنّما في الجوانب كافّة.

وإذا جعلَ اللهُ مع آدم زوجتَه عليهما السلام، ومع موسى عليه السلام أُختَهُ، ومع عيسى أمَّهُ عليهما السلام ، ومع النّبيّ صلى الله عليه وآله ابنتَهُ عليها السلام، فقد جَعَلَ مع الحسين أختَه الصِّدِّيقة الصُّغرى عليهما السلام، فَهُما من شجرةٍ واحدةٍ. وهي إلى ذلك تُجسِّدُ شمائلَ أمِّها صلواتُ الله عليها بكلِّ جلالِها وجمالِها، وتتمثّلُ شخصيَّة أبيها عليه السلام بكلِّ تقواها وعِلمِها..

ومنذ الأزل كانت واقعةُ الطّفِّ مقدَّرةً.. بلى.. وكانت زينبُ عليها السلام إلى جانب أمِّها حين أَنشأَت ذلك الخطاب الصّاعق في مسجدِ أبيها بالمدينة، وهي الّتي رَوَت من بعدُ تفاصيل ذلك الخطاب.

وانطَبَعت في شخصيّة العالِمة غير المُعلَّمة معالمَ ذلك الطّريق بوضوحٍ وشفافيّةٍ، وكانت مسيرتُها من المدينة إلى الطّفّ، وإلى الكوفة، وإلى الشّام، ثمّ إلى المدينة والآفاق، نسخةً متطوِّرةً لمسيرةِ أمِّها فاطمة سلام الله عليها، من البيت إلى المسجد، ومن المسجد إلى البيت، ومن قبلُ تطوافها على بيوت الأنصار طالبةً منهم نجدةَ الحقّ..

وكان خطابُها في الشّام، كَخطابِ أمِّها عليها السلام في المسجد النّبويّ؛ المُثُل والأهداف، والتّعابير والنّبرات، والشّجاعة والحكمة، والإثارة، والاستنهاض، كلُّها واحدة.. وزادت البنتُ على أمِّها أنّها كانت أسيرةً مُكبَّلةً، مفجوعةً بأعزِّ النّاس.. ولكنَّها عادت فأَسَرَت آسِريها، وقيَّدَت مُكَبِّليها، وقَهَرَت قاتِلي أهلِها بالكلمةِ الحقّ، وحُسنِ التّوكُّلِ على الله، وكَفى بهِ وَكيلاً.

(السّيّد المدرّسيّ، شقيقة الحسين عليهما السّلام)

اليوم العاشر: حربُ الجمل

«..وسَمع عثمان بن حنيف (والي البصرة) بوصول القوم، فأرسلَ إليهم أبا الأسود الدّؤليّ وعمر بن حصين للتّحقيق، فدخلا عليها وقالا لها: ..ما حَمَلكِ على المسيرِ؟ ما الَّذي أقدَمَكِ هذا البلد ... وقد أَمَرَكِ اللهُ أن تقرِّي في بيتِك؟

فجرى كلامٌ وجدالٌ طويلٌ بينها وبين الرَّجلين، وكلَّما خَوَّفاها من إراقةِ دماء المسلمين وإفسادِ الأمر، قابَلَتْهُم بكلِّ صلابةٍ وحِدَّةٍ.

ثمَّ توجَّهتْ إلى دار الإمارة ومَن معها، وطلبوا من عثمان بن حنيف أنْ يُسلِّمَ إليهم دارَ الإمارة، فأبَى عليهم، واشتَعلت نارُ الحرب حتّى الظُّهر، وكَثُرَ القتلى والجرحى.

وتدخَّلَ بعضُ النّاس وقرَّروا الهدنة، فتمَّ القرار على أن تكون دارُ الإمارة والمسجد وبيوت الأموال تحت اختيارِ الوالي عثمان بن حنيف، وتكون البصرة تحت حِيازةِ طلحة والزُّبير، وكتبوا على هذه المصالحة كتاباً، وشَهِدَ النّاسُ على ذلك.

ولَمَّا أَمِنَ النّاسُ واطمأنُّوا وأَلقَوا سلاحَهُم، أقبلَ طلحة والزُّبير وأصحابهُم حتّى أَتوا دارَ الإمارةِ على حينِ غفلةٍ، وكان خمسون رجلاً يحرسون بيوت الأموال، وهُم من شيعةِ أميرِ المؤمنين عليه السلام، أحاطَ الزُّبيرُ بهؤلاء وقَتلَ منهم أربعين رجلاً صَبراً، ثمَّ هجموا على عثمان بن حنيف فأَوْثقوه رباطاً، وعَمَدوا إلى لحيتِه فنَتفوها، ونَتفوا شعرَ حاجبِه وأشفار عينَيه، وأَوْثقوه بالحديد.

وأصبح الصَّباحُ، فجاء طَلحةُ والزُّبير إلى المسجد الأعظم، فأراد طلحة أنْ يَتقدَّم ويُصلِّي بالنَّاس، فدفَعه الزُّبَير، وأرادَ الزُّبير أنْ يصلِّي بالنَّاس فمَنَعَهُ طلحة، استَمرَّ النِّزاعُ والتَّدافعُ بين الرَّجلَين حتّى كادت الشّمسُ أنْ تطلع!! فصاحَ النَّاسُ: اللهَ اللهَ يا أصحابَ رسولِ الله في الصَّلاةِ نخافُ فَوْتَها! فأمَرَتْ أن يصلِّي مروان بن الحكم بالنّاس، وأخيراً تقدَّم عبدُ الله بن الزُّبير وصلَّى بالنَّاس».

(الشّاكريّ، ثمّ عُقر الجمل - مختصر)

بطونُهم آلهتُهم، ونساؤهم قبلتُهم
كلُّ درهمٍ عندَهم صنمٌ

إعداد: محمد ناصر

مجموعة من الأحاديث النّبويّة الشّريفة، تدور حول إخبارات رسول الله ﷺ عن الفتن والبلاءات والانحراف الّذي يُصيب أمّتَه في آخر الزّمان، اخترناها من كتاب (معارج اليقين في أصول الدّين) للشّيخ محمّد السّبزواريّ، تليها توصية قيّمة لشيخ الفقهاء العارفين آية الله بهجت قدس سره في لزوم المداومة على دعاء الغريق - وهو أشبهُ بالذِّكر - المرويّ عن الإمام الصّادق عليه السلام.

❖ رسول الله صلّى الله عليه وآله:

* «يَأتي على النَّاسِ زمانٌ وُجُوهُهم وُجوهُ الآدَميّين، وقلوبُهم قلوبُ الشَّياطين، كأمثالِ الذِّئابِ الضَّواري، سَفَّاكونَ للدِّماءِ، لا يَتَناهَوْنَ عن مُنكَرٍ فَعلُوه، إنْ تابَعْتَهُم ارْتابُوكَ، وإنْ حَدَّثْتَهُم كَذَّبُوكَ، وإنْ تَوارَيْتَ عَنْهُم اغتابُوكَ، السُّنَّةُ فِيهِم بِدْعَةٌ، والبِدْعَةُ فِيهِم سُنَّةٌ، والحَليمُ بينهُم غادِرٌ، والغَادِرُ بينهُم حَليمٌ، والمُؤمنُ فِيما بينهُم مُسْتَضْعَفٌ، والفَاسِقُ فيما بَينهُم مُشَرَّفٌ، صِبيانُهُم عارِمٌ [العارم هو الشّرّير]، ونِساؤهُم شاطِرٌ [الشّاطر هو مَن أعيا أهلَه خُبثاً]، وشَيْخُهُم لا يَأمُرُ بِالمَعْروفِ ولا يَنْهَى عن المُنْكَرِ، الالتِجاءُ إليهِم خِزْيٌ، والاعْتِزَازُ بهم ذُلٌّ، وطَلَبُ ما فِي أَيْديهِم فَقْرٌ، فَعِنْدَ ذلكَ يَحرِمُهُم اللهُ قَطْرَ السَّماءِ فِي أَوانِهِ، ويُنْزِلُهُ فِي غَيْرِ أَوانِهِ، يُسَلِّطُ عليهِم شِرارَهُم فَيَسُومُونَهُم سُوءَ العَذابِ، ويُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُم ويَسْتَحْيُونَ نِساءَهُم، فَيَدْعو خِيارُهُم فَلا يُسْتَجابُ لَهُم».

* «يَأتي على النَّاسِ زمانٌ بُطُونُهُم آلِهَتُهُم، ونِساؤُهُم قِبْلَتُهُم، ودَنانِيرُهُم دِينُهُم، وشَرَفُهُم متاعُهُم، لا يَبْقى من الإيمانِ إلَّا اسْمُهُ، ومِن الإسْلامِ إلَّا رَسْمُهُ، ومِن القُرآنِ إلَّا دَرْسُهُ، مَساجِدُهُم مَعْمُورَةٌ، وقُلوبُهُم خَرابٌ عن الهُدَى، عُلَمَاؤُهُم أَشَرُّ خَلْقِ اللهِ على وَجْهِ الأَرْضِ، فإنْ كانَ كَذلِكَ ابْتَلاهُمُ اللهُ بِأربعِ خِصالٍ: جَوْرٍ مِن السُّلطانِ، وقَحْطٍ مِن الزَّمانِ، وظُلْمٍ مِن الوُلاةِ و[ظُلم من] الحُكَّامِ.

فتَعَجَّبَ الصَّحابَةُ وقالوا: يا رَسُولَ الله، أيَعْبُدُونَ الأصْنامَ؟! قال: نَعم، كُلُّ دِرْهَمٍ عِنْدَهُم صَنَمٌ».

* «يَأتي على النَّاسِ زمانٌ الصَّابِرُ مِنْهُم عَلى دِينِهِ كَالقابِضِ على الجَمْرَةِ».

* «يَأتي زَمانٌ على أُمَّتِي أُمَراؤهُم يَكُونون على الجَوْرِ، وعُلَمَاؤُهُم على الطَّمَعِ، وعُبَّادُهُم على الرِّيَاءِ، وتُجَّارُهُم على أَكْلِ الرِّبَا، ونِساؤُهُم على زِينَةِ الدُّنيا، وغِلْمانُهُم في التَّزْويجِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ كَسادُ أُمَّتِي كَكَسادِ الأَسْواقِ، ولَيْسَ فِيها مُسْتَقِيمٌ، الأَمْواتُ آيِسُونَ فِي قُبُورِهِم مِن خَيْرِهِم، ولا يَعيشونَ (يُعِينُونَ) الأَحْيَارَ فِيهِم، فَفِي ذلكَ الزَّمانِ الهَرَبُ خَيْرٌ مِن القِيامِ».

* «سَيَأتي زَمانٌ على أُمَّتِي لا يَعْرِفُون العُلَماءَ إلَّا بِثَوْبٍ حَسَنٍ، ولا يَعْرِفُونَ القُرآنَ إلَّا بِصَوْتٍ حَسَنٍ، ولا يَعبُدُونَ اللهَ إلَّا فِي شَهْرِ رَمَضان، فإذا كانَ كَذلِكَ سَلَّطَ اللهُ عليهِم سُلْطاناً لا عِلْمَ لَهُ ولا حِلْمَ لَهُ ولا رَحِمَ لَهُ».

قال العلماء

جاء في الرّواية عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه لن ينجو في آخر الزّمان من الفِتن والشُّبهات «**إلّا مَن دَعا بدُعاء الغَريق**». لقد أوصانا إمامُنا عليه السلام أن ندعو في آخر الزّمان بدعاء الغريق هذا لأجل الثّبات على الإيمان، وهو: «**يا اللهُ، يا رَحمَنُ، يا رَحيمُ، يا مُقَلِّبَ القلوب، ثَبِّت قلبي على دينِك**».

وقد أَمَرنا أئمّتُنا أيضاً بأوامر أخرى مُذهلة؛ لأنَّ بلاءات أهلِ الإيمان في آخر الزّمان تبلغ الذّروة، فقد ورد: «**بعدما مُلِئت ظُلماً وجَوْراً**». وفي رواية ثانية ورد: «**يُنكره أكثرُ مَن قال بإمامتِه**»، أي أنَّ أكثر النّاس يرجعون عن اعتقادهم وإيمانهم بالإمامة، والعياذُ بالله تعالى.

(من توصيات الشيخ بهجت، بتصرّف)

مَن عقّبَ فهو ضيفُ اللّه

التّعقيب أهمّ في طلب الرّزق من السّفر للعمل

المرجع الدّينيّ الشّيخ محمّد أمين زين الدّين قدس سره

في كتاب الصّلاة من رسالته العمليّة (كلمة التّقوى)، أورد المرجع الدّينيّ الرّاحل الشّيخ محمّد أمين زين الدّين إحدى عشرة مسألة في تعقيبات الفرائض، استهلّها بالأربع الآتية.

مسألة: يُستَحبُّ التّعقيبُ استحباباً مؤكّداً، وهو أنْ يشتغلَ الإنسانُ بعد فراغه من الصّلاة بالذِّكر والدّعاء والمناجاة والتّلاوة وأمثالها من العبادات القَوليّة. وهو بعدَ صلاة الفريضة أشدّ تأكُّداً منه بعد صلاة النّافلة، وخصوصاً بعد صلاة الصّبح، ثمّ بعد صلاة العصر.

وقد رُوي عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام: «**إنّ اللهَ فَرَضَ عليكُم الصّلواتِ الخَمْسَ في أفضلِ السّاعات، فَعَليكُم بالدُّعاءِ في أدْبارِ الصّلوات**».

وعنه عليه السّلام: «**التّعقيبُ أبلغُ في طَلَبِ الرِّزقِ من الضّربِ في البِلادِ**». [الضّرب في البلاد بمعنى السّفر لطلب المعاش]

وعنه عليه السّلام: «**مَن صلّى صلاةَ فريضةٍ وعقّب إلى أُخرى فهو ضَيْفُ الله، وحقٌّ على اللهِ أنْ يُكْرِمَ ضَيْفَه**».

التّعقيبُ بعدَ صلاة الفريضة أشدّ تأكُّداً منه بعد صلاة النّافلة، وخصوصاً بعد صلاة الصّبح، ثمّ بعد صلاة العصر.

***

مسألة: الظّاهر أنّه لا يَصدُقُ التّعقيبُ على الدُّعاء ونحوه إذا انفَصَل عن الصّلاة بِمُدّةٍ، بحيث لا يكون في نظر المُتشرّعة من توابع الصّلاة وفي أدبارها، والظّاهر أنّه لا يَصدُق التّعقيبُ على الجلوس في المُصلّى فارغاً غير مشتَغلٍ بدعاءٍ ونحوه، وإنْ كان في انتظارِ صلاةٍ أخرى. والأفضلُ فيه أن يكونَ المعقّبُ مُتطهّراً مستقبلاً جالساً في مُصلّاه، ولا يَسقطُ استحبابُه إذا انتفى ذلك، ويُستَحبُّ أن يقرأ الأدعية والأذكار الواردة عن المعصومين عليهم السلام، وهي كثيرةٌ ووافيةٌ بالمراد.

لا يَصدُقُ التّعقيبُ على الجلوس في المُصلّى فارغاً غيرَ مشتَغلٍ بدعاءٍ ونحوه، وإنْ كان في انتظارِ صلاةٍ أخرى.

***

مسألة: إذا نَسِيَ التّعقيب، أو أعرضَ عنه لبعض الموانع، فَلَه أن يعود إليه ويأتي به إذا لم يَفُتْ موضعُه الّذي تقدّمت الإشارةُ إليه، ولم تسقط بذلك وظيفتُه واستحبابُه، وكذلك إذا أحبَّ أن يُطيلَ في التّعقيب بعد أن قرأ بعضَ الدّعاء وسَجد للشُّكر مثلاً أو هَمَّ بالقيام.

***

مسألة: يُستحبُّ بعد الفراغ من التّسليم أن يُكبِّر ثلاثاً، وأنْ يرفع يدَيه بالتّكبير كما يرفعهما في تكبير الصّلاة، ويُستَحبُّ أن يقول بعد ذلك: «**لا إلهَ إلّا اللهُ إلَهاً واحداً ونحنُ له مُسلِمونَ، لا إلهَ إلّا اللهُ ولا نَعبدُ إلّا إيّاهُ مُخلِصينَ لهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُون، لا إلَهَ إلّا اللهُ ربُّنا وربُّ آبائنا الأوّلِينَ، لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَهُ وحدَهُ، أنْجَزَ وَعدَهُ، ونَصرَ عبدَهُ، وأَعَزَّ جُندَهُ، وهَزَمَ الأحزابَ وَحدَهُ، فلَهُ المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ، يُحيي ويُميتُ، ويُميتُ ويُحيي، وهو حيٌّ لا يموتُ، بِيَدِهِ الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ**»، وظاهرُ الرّواية أنّ هذا التّكبير وهذا الدُّعاء يُؤتى بهما قبل تسبيح الزّهراء عليها السلام.

يُستحبُّ بعد الفراغ من التّسليم أن يكبِّر ثلاثاً، وأنْ يرفع يدَيه بالتّكبير كما يرفعُهما في تكبير الصّلاة.

منهج العلّامة الطّباطبائيّ في التّزكية

الحذر من مُدَّعِي الكرامات، ومِن مُنكرِيها

العلّامة الرّاحل السّيّد محمّد حسين الطّهرانيّ قدس سره

السّيّد محمّد حسين الطّهرانيّ قدس سره، فقيهٌ، متعدِّد الاختصاصات في الفلسفة والحديث والتّفسير والتّاريخ، وهو التّلميذ الأبرز والأشهر للعلّامة الكبير، والفقيه، والفيلسوف النّوعيّ، والمفسِّر الأوّل، السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ قدس سره، وتُعدّ نصوصُ السّيّد الطّهرانيّ الّتي كَتَبها في التّعريف بِفِكْر العلّامة الطّباطبائيّ وسيرتِه ومناهجِه في العلوم المختلفة، أفضل ما كُتِب عنه قدس سره.

اختارت «شعائر» لهذا العدد ما كتبه السّيّد الطّهرانيّ حول منهج العلّامة الطّباطبائيّ في تزكية النّفس.

كان العلّامة (الطّباطبائيّ) غائباً عن الدّنيا، فقد جاء غائباً ورحل غائباً.

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ مريم:١٥.

وأمّا من جهة الشَّرع، فقد كان نفسه فقيهاً متشرّعاً، يُعنى برعاية السُّنن والآداب بكلّ ما في الكلمة من معنىً، حتّى أنّه لم يقصِّر عن الإتيان بأبسط المستحبّات، وكان ينظر إلى الّذين جاؤوا بالشَّرع المبين نَظَرَ إعظامٍ وإجلالٍ وتبجيلٍ. وكان يعترض على بعض الصُّوفيّة الّذين لا يُولون الشَّرعَ المقدّس من الاهتمام ما هو أهلُه، وينتقدُهم ويعدُّ نهجَهُم مقروناً بالخطأ، ويعتبرُه غير مُنتهٍ بهم إلى المنزل المقصود.

وكان يمتدحُ كثيراً هذه العبارة في (الرّسالة المنسوبة إلى بحر العلوم)، وترجمتُها كما يلي:

«وأمّا الأستاذُ العامُّ، فلا يُعرَف إلّا بمصاحبتِه في الخلاء والملاء، وبالمعاشرةِ الباطنيّة، وبكمالِ إيمانِ جوارحه ونفسِه. وحذارِ من الانخداعِ بمتابعتِه لِظُهورِ خوارقِ العادات، وبيانِ دقائق النّكات، وإظهارِ الخفايا الآفاقيّة، والخبايا الأنفُسيّة، وتبدّلِ بعض حالاته؛ لأنّ الإشرافَ على الخواطر، والاطّلاعَ على الدّقائق، والعبور على النّارِ والماءِ، وطيَّ الأرضِ والهواءِ، والإحضارَ من المستقبل وأمثالها، إنّما تحصلُ في مرتبة المكاشفة الرُّوحيّة، وما أكثر المنازل والمراحل الّتي تَعقبُ هذه المرحلة إلى المنزل المقصود، إذ الطَّريقُ بلا نهاية؛ وما أكثرَ السّالكين الّذين اجتازوا هذه المرحلة ثمّ انحَرفوا بعد ذلك عن الجادّة، فدَخلوا وادي اللُّصوص والأبالسة! وما أكثرَ الكفّار الّذين حصلوا على اقتدارٍ على كثيرٍ من الأمور في هذا السّبيل!».

وكان كثيراً ما يشرحُها لِتلاميذه، ويستندُ عليها كراراً، ويُبيِّن السَّببَ في عدم إدراك الواقع، عند عدم رعاية الشَّرع المطهَّر.

وكان للأستاذ العلّامة تواضعٌ وخضوعٌ جمٌّ مقابل القرآن الكريم خاصّةً، وكان يحفظ الآيات القرآنيّة إلى حدٍّ ما، وقد وُلِدَ له، إثرَ الممارسة، نوعٌ من التَّعشُّق بالآيات، فكان يعدُّ تلاوة القرآن في آنَاءِ اللّيل وَأَطْرَافِ النَّهَارِ أفضلَ وأسمى عملٍ له، وكان يمرُّ على آيةٍ فينتقلُ منها إلى أخرى، ثمَّ إلى أخرى وهكذا، فكان يَنغمرُ في عالمٍ من البهجةِ والمسرّةِ خلال تجواله في هذه الجنّات القرآنيّة.

وكان العلّامة يُعيبُ بشدّةٍ على بعض المُتَنسّكين من ذوي الظّواهر المقدّسة، الّذين صادروا الشّرعَ، فانتَقدُوا بعنوان حماية الدّين، والتّرويج للشّرع المبين، جميعَ أصناف أولياء الله المتمسّكين بالمراقبة والمحاسبة، والّذين يقومون أحياناً بسجداتٍ طويلة. وكان أوّلُ عملٍ لهم انتقادَ بعض أعلام العرفان وذمَّهم، كالخواجة حافظ الشّيرازيّ، ومولانا محمّد البلخيّ الرّوميّ صاحب كتاب (المثنويّ).

وكان العلّامة يعدُّ هذا النّوع من التّفكير ناشئاً من الجهلِ، والجمودِ، والنُّزوع إلى التّحجُّر، وهي أمورٌ تَنفرُ منها روحُ الشّريعة.

وكان يقول إنّ التّهجُّم على الفلسفة والعرفان، وهما دعامتان عظيمتان من دعائم الشَّرع المبين، ناشئٌ عن الجمود الفكريّ والخمود الذّهنيّ، ويقول: يجبُ الاستعاذة بالله من شرّ هؤلاء الجهّال، فهم الَّذين قَصَموا ظهرَ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله، وذلك في قوله: «قَصَمَ ظَهرِي صِنفَانِ: عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ، وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ».

وكذلك كان العلّامة بالنّسبة إلى أصحاب القوّة العقليّة وقرّاء الحكمة والفلسفة، الّذين هم ضعفاءُ في الأمورِ الشّرعيّة، فلم يكُن يُظهِر اعتناءً بهم، ويقول: «إنَّ الحكمةَ الّتي لا تجلس على عرش الرُّوح فتَسوقها إلى اتّباع الشّريعة، ليست حكمةً حقيقيّةً».

الملف

أسماءُ الزّهراء عليها السلام:

دلالاتٌ نبويّة، وأسرارٌ إلهيّة

اقرأ في الملف

استهلال	من «الصّلوات الكبرى» عن الإمام العسكري عليه السلام
أهميّة التَّسمِيَة عموماً، وفي الأولياء بالخصوص	العلّامة السّيّد محمّد كاظم القزوينيّ رحمه الله
تسعةُ أسماءَ للزّهراء عليها السّلام	إعداد: أسرة التّحرير

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال

استهلال

الصلاة على السيدة فاطمة عليها السلام

اللهم صل على الصديقة فاطمة الزهراء الزكية

حبيبة نبيك وأم أحبائك وأصفيائك

التي انتجبتها وفضلتها واخترتها على نساء العالمين

اللهم كن الطالب لها ممن ظلمها واستخف بحقها

اللهم وكن الثائر لها "اللهم" بدم أولادها

اللهم وكما جعلتها أم أئمة الهدى، وحليلة صاحب

اللواء، الكريمة عند الملأ الأعلى، فصل عليها وعلى أمها

خديجة الكبرى، صلاة تكرم بها وجه محمد صلى الله عليه وآله

وتقر بها أعين ذريتها، وأبلغهم عني في هذه الساعة

أفضل التحية والسلام

هذا الملفّ

من أوائل الكُتب المعاصرة المتميّزة بمنهجيّتها وأصالتها وصِدق الولاء كتاب (فاطمة الزّهراء من المَهد إلى اللّحد) للعلّامة الخطيب الحسينيّ السّيّد محمّد كاظم القزوينيّ رحمه الله، بل لعلّه الكتابُ الأوّل الذي سبقَ بعضَ الكتب النّوعيّة القليلة عن الصّدّيقة الكبرى الشّهيدة بحوالي عقدَين من الزّمن.

تكمنُ فرادةُ الكتاب في أنّه تولّى تظهيرَ ما تناثرَ في المصادر الأمّ وتنضيدها بمنهجيّةٍ سلمتْ من لوثةِ مرض ضعفِ الإيمان بالغيب، وتجريد المعصوم من جوهر حقيقته الغيبيّة، ليُصار إلى التّعامل مع المعصوم على أنّه ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ دون إكمال البيان الذي لا ينعقدُ الظّهورُ بدونه.

وقد صدر هذا الكتاب في مرحلة استشراءِ هذا المرض، وقبلَ أن يوفّق اللهُ تعالى عبدَه المسدّد المجدِّد الإمام الخمينيّ رضوان الله تعالى عليه لتحذير الأمّة منه، وإنقاذ طيفٍ كبيرٍ منها من أخطبوطه المتنفخ بادّعاء العقلانيّة والوعي والحداثة.

لخصوصيّة هذا الكتاب اختارت «شعائر» أن يكونَ هذا الملفّ من فصولِه بتصرّف، بعضَ وفاءٍ للصّدّيقة الكبرى الشّهيدة عليها السلام.

التَّسمِيَة
أهميّتُها عموماً، وفي الأولياء بالخصوص

العلّامة السّيّد محمّد كاظم القزوينيّ رحمه الله

قالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: «وَأمّا ابْنَتي فاطمَةُ فَإنَّها سَيِّدَةُ نساء العالَمين مِنَ الأوَّلين وَالآخرين، وَهِيَ بِضْعَةٌ مِنّي، وَهِيَ نُورُ عَيْني، وَهِيَ ثَمَرَةُ فُؤادي، وَهِيَ رُوحي الّتي بَيْنَ جَنْبَيَّ، وَهِيَ الحَوْراءُ الإنْسِيَّةُ، مَتى قامَتْ في محْرابِها بَيْنَ يَدَيْ رَبِّها جَلَّ جَلالُهُ زَهرَ نورُها لِمَلائكَة السَّماء كَما يُزْهِرُ نورُ الكَواكِبِ لِأَهْلِ الأَرْض..».

«.. تختلفُ أسماءُ البَشر على مرِّ الأجيال والعصور، وعلى اختلافِ لُغاتِها، فقد توجَد هناك مناسبةٌ بين الاسم والمسمَّى، وقد لا توجَد، وقد يكون للاسم معنىً في قاموس اللّغة وقد لا يكون له معنى، بل هو اسمٌ مخترَعٌ، وليس من مادّةٍ لغويّةٍ.

أمّا أولياءُ اللهِ فإنَّ التّسميةَ تُعتبَر عندَهم ذاتَ أهميّةٍ كُبرى، فهذه امرأةُ عمرانَ ولدتْ بنتاً فقالت: ﴿.. وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ..﴾ آل عمران:٣٦.

واختارَ اللهُ لنبيّه يَحيى عليه السلام هذا الاسمَ قبل أن تنعقدَ نطفتُه في رَحِم أُمّه، لأنَّ زكريا سألَ ربَّه فقال: ﴿..فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ مريم:٥-٧، وأنت إذا أمعنتَ النَّظرَ في قوله تعالى: ﴿..لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ مريم:٧، يتّضحُ لكَ أنَّ تعيينَ أسماءِ أولياءِ اللهِ يكونُ من عنده عزّ وجلّ، وأنَّ اللهَ يتولّى تسميتَهم، ولم يَكِلها إلى الأبوَيْن.

أَستعرضُ في ما يلي، طائفةً كبيرةً من الأحاديث التي تذكرُ اسمَ السّيّدة فاطمة الزّهراء ووجهَ التّسمية، وأنّها إنّما سُمِّيَتْ بفاطمة لأسبابٍ ومناسبات، وليست هذه التّسميةُ ارتجاليّةً، ولا وليدةَ إعجابٍ واستحسانٍ فقط، بل رُوعي فيها مناسبةُ الاسم مع المُسَمّى، بل صِدْقُ الاسمِ على المُسَمَّى».

تسعةُ أسماء للزّهراء عليها السّلام

إنَّ اللّه عزّ وجلّ فطمَها وفطمَ مَن أحبَّها من النّار*

إعداد: أسرة التّحرير

قال الإمام الصّادق عليه السّلام: «لفاطمةَ تسعةُ أسماءٍ عند الله عزّ وجلّ: فاطمة والصّدِّيقة والمبارَكة، والطّاهرة، والزّكيّة، والرّاضيَة والمَرْضيّة، والمحدَّثة، والزّهراء..».

(١)

فَاطمَة عليها السّلام

في العاشر من (البحار):

١ - عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**لمّا وُلدت فاطمة عليها السّلام أوحى اللهُ عزّ وجلّ إلى ملَكٍ فأنطقَ به لسان محمّدٍ صلّى الله عليه وآله فَسمَّاها فاطمة ثمّ قال: إنّي فطمتُكِ بالعلم. وفطمتُك عن الطّمث**».

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: «**واللهِ لقد فطمَها اللهُ تبارك وتعالى بالعِلم وعن الطّمث بالميثاق**».

٢ - عن الإمامَين: الرّضا والجواد عليهما السّلام قالا: «**سمعْنا المأْمون يحدّثُ عن الرّشيد، عن المهديّ، عن المنصور، عن أبيه، عن جدِّه، قال ابنُ عبّاس - لمعاوية: أَتدري لِمَ سُمِّيَت فاطمة؟ قال: لا. قال: لأنّها فُطِمَتْ هي وشيعتها من النّار، سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقولُه**».

٣ - عن الإمام الرّضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا فاطمة، أَتدرينَ لِمَ سُمِّيتِ فاطمة؟ قال عليٌّ عليه السّلام: لِمَ سُمِّيَتْ؟ قال: لأنّها فُطمت هي وشيعتها من النّار**».

٤ - قال الإمام الصّادق عليه السلام: «**أتدرون أيُّ شيءٍ تفسيرُ فاطمة؟** قلت: أخبرني يا سيّدي، قال: **فُطمتْ من الشّرّ**. ثمّ قال: **لولا أنّ أمير المؤمنين تزوَّجها لَما كان لها كفؤٌ إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدمُ فمَن دونَه**».

وقد روى هذا الحديث من علماء العامّة جماعةٌ. منهم:

* ابن شيرويه الدّيلميّ عن أُمّ سلَمة قالت: «**قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لو لم يخلقِ اللهُ عليّاً لَما كان لفاطمةَ كفؤٌ**».

ورواه الخوارزميّ في (مقتل الحسين: ص ٦٥).

والتّرمذيّ في (المناقب). والمنّاويّ في (كنوز الحقائق).

والقندوزيّ في (ينابيع المودّة) عن أُمّ سلَمة، وعن العبّاس عمّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

* (**فاطمة الزّهراء من المهد إلى اللّحد** للعلّامة السّيّد محمّد كاظم القزوينيّ، رحمه الله، باختصار وتصرّف يسير).

٥ – وروى الخركوشي في كتاب (شرف النّبيّ) وابن بطّة في كتاب (الإبانة) عن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: هل تدري لِمَ سُمِّيَتْ فاطمة؟ قال عليٌّ: لِمَ سُمِّيَتْ؟ قال: لأنَّها فُطمت هي وشيعتها من النّار**».

٦ – عن الإمام الرّضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: «**سمعتُ رسولَ الله يقول: سُمِّيَتْ فاطمةَ لأنّ اللهَ فطمَها وذرّيّتَها من النّار، مَن لقيَ اللهَ منهم بالتّوحيدِ والإيمانِ بما جئتُ به**».

وقد روى الأحاديثَ جمعٌ غفيرٌ من علماء العامّة. منهم:

١ – الخوارزميّ في (مقتل الحسين: ص ٥١) عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: «**قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: إنّما سُمِّيَتْ ابنتي فاطمة لأنَّ اللهَ عزّ وجلّ فطمَها وفَطَمَ مَن أحبَّها من النّار**».

> **في (الوسائل: ج ٧) عن السّكونيّ قال: «دخلتُ على أبي عبد الله – الصّادق – عليه السلام وأنا مغمومٌ مكروبٌ، قال لي: يا سكونيّ ما غمّك؟ فقلت: وُلِدَتْ لِيَ ابنةٌ.. فقال: ما سمَّيتَها؟ قلتُ: فاطمة. قال: آه آه آه، ثمّ قال: أمّا إذا سمّيتَها فاطمة، فلا تَسُبَّها ولا تلعَنْها ولا تضرِبْـها».**

٢ – الطّبريّ في (ذخائر العقبى)، والقندوزيّ في (ينابيع المودة: ص ١٩٤)، والصّفوريّ في (نزهة المجالس) عن عليٍّ [عليه السلام]: «**قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: يا فاطمة، أتدرينَ لِمَ سُمِّيتِ فاطمة؟ قال عليّ: يا رسولَ الله لِمَ سُمِّيَت فاطمة؟ قال: إنَّ الله عزّ وجلّ قد فطمَها وذرّيَّتها من النّار يومَ القيامة**».

وكان هذا الاسم محبوباً عند أهل البيت عليهم السلام يحترمونه ويحترمون مَن سُمِّيتْ به، وسأل الإمام الصّادق عليه السلام أحدَ أصحابه – وقد رزقَه اللهُ بنتاً – بِمَ سمَّيتها، قال الرّجل: سمّيتُها فاطمة. قال الإمام الصّادق: **فاطمة؟ سلامُ الله على فاطمة، أما إنْ سمَّيتَها فاطمة فلا تَلطِمها ولا تشتُمها وأَكرِمْها**.

وفي (الوسائل: ج ٧) عن السّكونيّ قال: «دخلتُ على أبي عبد الله – الصّادق – عليه السلام وأنا مغمومٌ مكروبٌ قال لي: **يا سكونيّ ما غمّك؟** فقلت: وُلدت لي ابنة.. فقال: **ما سمَّيتَها؟** قلت: فاطمة. قال: **آه آه آه. ثمّ قال: أمّا إذا سمّيتَها فاطمة فلا تسبّها ولا تلعَنها ولا تضرِبْها**».

وفي (سفينة البحار): «عن أبي الحسن (الكاظم) عليه السلام قال: **لا يدخلُ الفقرُ بيتاً فيه اسمُ محمّدٍ.. وفاطمة من النّساء**».

* معنى «الميثاق»

إنّ الحديث الأوّل الذي مرّ في تسميَتها عليها السّلام بفاطمة، عن الإمام الباقر عليه السلام قد ذيّلَه الإمامُ بقوله: «**واللهِ، لقد فطمَها اللهُ تباركَ وتعالى بالعلم، وعن الطّمث بالميثاق**».

إنّ المقصود من كلمة (**الميثاق**) هنا هو عالم الذّر، ذلك العالم الذي أشار إليه قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ..﴾ الأعراف:١٧٢، وملخّص القول: إنّ الله تعالى أخرج ذرّيّة آدم من صُلبه كهيئة الذّر، فعرضَهم على آدم، وقال: إنّي آخذٌ على ذرّيّتك ميثاقَهم أن يعبدوني ولا يُشركوا بي شيئاً وعليَّ أرزاقُهم، ثمّ قال لهم: ﴿..أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ..﴾ الأعراف:١٧٢؟ قالوا: بلى شَهِدنا أنّك ربُّنا، فقال للملائكة: اِشهدوا، فقالوا: شَهِدْنا.

وقيل إنّ اللهَ تعالى جعلَهم فهماءَ عقلاءَ يسمعون خطابَه ويفهمونه ثمّ ردَّهم إلى صُلبِ آدم، والنّاس محبوسون بأجمعِهم حتّى يخرج كلُّ مَن أخرجَه اللهُ في ذلك الوقت، وكلُّ من ثبتَ على الإسلام فهو على الفطرة الأُولى، ومَن كفر وجحدَ فقد تغيَّر عن الفطرة الأُولى.

وهذا القول مستخلَصٌ من طائفةٍ كبيرةٍ من الأحاديث والأخبار المعتبَرة، وهذا العالَم يُسمَّى **عالم الذّرّ** ويسمّى **عالَم الميثاق**، والإمام الباقر عليه السلام يُشير في كلامه إلى أنّ الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء كانت طاهرةً ''..'' من ذلك العالم ومن ذلك الوقت.

وأمّا الأحاديث التي تتحدّث عن عالم الذّرّ فكثيرةٌ جدّاً، ونكتفي هنا بذكر بعضها:

في (تفسير البرهان):

*** عن الإمام أبي عبد الله (الصّادق) عليه السلام قال: «سُئلَ رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وآله: بأيّ شيءٍ سبقتَ وُلْدَ آدم؟ قال: إنّني أوّلُ مَن أقرَّ بربّي، إنّ اللهَ أخذَ ميثاقَ النّبيّين وأشهدَهم على أنفسِهم أَلَسْتُ بِرَبِّكم؟ قالوا: بلى. فكنتُ أوّلَ مَن أجاب».**

*** عن أبي بصير قال: «قلتُ لأبي عبد الله الصّادق عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذرّ؟ قال: (جعلَ فيهم ما إذا سألَهم أجابوه)، وزاد العيّاشيّ: يعني في الميثاق».**

* وعن زُرارة أنّه سُئل الإمام الباقر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ..﴾ الأعراف:١٧٢، قال: «**من ظَهرِ آدم ذرّيّتَه إلى يوم القيامة فخرجوا كالذّرّ، فعرَّفهم وأراهم صُنْعَه، ولولا ذلك لم يعرِفْ أَحَدٌ رَبَّه**».

* «ولمّا حجَّ عمر بن الخطّاب واستلمَ الحَجر قال: أما والله إنّي لأَعلمُ أنّك حجرٌ، لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنّ رسولَ الله استلمَك ما استلمتُكَ.

فقال له عليٌّ عليه السلام: يا أبا حفص، لا تفعل، فإنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله لم يستلِم إلّا لأمرٍ قد علمَه، ولو قرأتَ القرآنَ فعلمتَ من تأْويلِه ما عَلِمَ غيرُك لعلمتَ أنّه يضرُّ وينفع، له عينان وشفتان ولسانٌ ذلِقٌ يشهدُ لمَن وافاه بالموافاة.

فقال له عمر: فَأَوْجِدني ذلكَ في كتابِ الله يا أبا الحسن. فقال عليٌّ عليه السلام: **قولُه تبارك وتعالى**: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ..﴾ الأعراف:١٧٢، **فلمّا أَقرّوا بالطّاعةِ أنّه الرّبُّ وأنّهم العباد، أخذَ عليهم الميثاقَ بالحجِّ إلى بيتِه الحرام، ثمّ خلقَ اللهُ رقّاً أرقَّ من الماء وقال للقَلم: أُكتب موافاةَ خلقي ببَيتيَ الحرام. فكتبَ القلمُ موافاةَ بني آدم في الرّقّ، ثمّ قيلَ للحَجر: اِفتح فاك. ففتحَه فأُلقِمَ الرّقّ. ثمّ قال للحَجر: اِحفَظْه واشهَدْ لعبادي بالموافاة. فهبطَ الحجرُ مطيعاً لله.**

يا عمر، أَوَليسَ إذا استلمتَ الحجرَ قلتَ: أمانتي أدَّيتُها، وميثاقي تعاهدتُه لِتَشْهَدَ لي بالموافاة؟

فقال عمر: أللّهمّ نعم.

فقال له عليٌّ عليه السلام: من ذاك». [أي هذا الذي يقوله الحاجّ هو من ذلك الميثاق وبسببه]

وتجدُ طائفةً كبيرةً من الأحاديث التي تتضمّن البحثَ عن عالم الذّرّ في كتاب (الكافي) للكليني و(البحار) للمجلسيّ، وغيرها من موسوعات الأحاديث.

وقد التبسَ الأمرُ على البعض، فلم يفهموا الآيةَ فجعلوا يشكّكون في تلك الأحاديث - سامحَهم الله - بالرّغم من كثرتها، بل بالرّغم من صريح الآية.

وخلاصةُ الكلام أنّ عالم الذّرّ هو عالَمُ الميثاق، ومن ذلك العالم - بل وقبل ذلك - كانت الأفضليّةُ لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيتِه الطّاهرين، ومن جملتِهم ابنتُه الطّاهرة فاطمة الزّهراء.

ولا يصعبْ عليك قبولُ هذا القول، فإنّ هناك أحاديث كثيرة رواها علماء الفريقَين من الشّيعة والسّنّة، قد بلغت أو تجاوزت حدَّ التّواتر، وهي تؤيِّدُ هذا الموضوع.

أمّا الأحاديث المذكورة في كُتب الشّيعة فيَعسر إحصاؤها وعدُّها، وأمّا في كتب السُّنّة فقد روى الصّفوريّ الشّافعيّ في (نزهة المجالس: ج ٢، ص٢٢٣) قال: «قال الكسائيّ وغيرُه: لمّا خلقَ اللهُ آدم.. إلى أنْ قال: وعليه جارية لها نورٌ وشُعاع، وعلى رأْسِها تاجٌ من الذّهَب، مُرَصَّعٌ بالجواهر لم يرَ آدمُ أحسنَ منها. فقال: يا ربِّ مَن هذه؟ قال: فاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه وآله، فقال: يا ربّ مَن يكونُ بعلُها؟ قال: يا جبرئيلُ، افتَحْ له بابَ قصرٍ من الياقوت. ففتحَ له، فرأى فيه قبّةً من الكافور، فيها سريرٌ من ذَهَب، عليه شابٌّ حُسْنُه كحُسن يوسف، فقال: هذا بعلُها عليُّ بنُ أبي طالب.. الحديث».

روى العسقلانيّ في (لسان الميزان: ج ٣، ص ٣٤٦):

عن الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السّلام، عن آبائه عليهم السّلام، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لمّا خلقَ اللهُ آدمَ وحوّاءَ تبَخترا في الجنّة وقالا: مَن أحسنُ منّا؟ فبَينما هما كذلك. إذْ هما بصورة جاريةٍ لم يُرَ مثلها، لها نورٌ شَعْشَعَانِيٌّ يكادُ يُطفِئُ الأبصارَ. قالا: يا ربّ، ما هذه؟ قال: صورةُ فاطمةَ سيّدةِ نساء وُلدِك، قال: ما هذا التّاجُ على رأسِها؟ قال: عليٌّ بعلُها. قال فما القِرطان؟ قال: ابناها، وُجِدَ ذلك في غامضِ علمِي قبلَ أن أخلقَكَ بألفَي عام».

(٢)

الصِّدِّيقة

من جملة أسمائها عليها السّلام **الصّدِّيقة**: بكَسر الصّاد والدّال المشدّدة (صيغة المبالغة) في التّصديق، أي الكثيرة الصّدق.

والصِّدِّيقُ أبلغُ من الصّدوق، وقيل: الصّدِّيق: مَن كثُر منه الصّدق. وقيل: بل مَن لم يكذبْ قطّ. وقيل: الكاملُ في الصِّدق، الذي يصدِّقُ قولَه بالعمل، البارُّ، الدّائمُ التّصديق. وقيل: مَن لم يتأتَّ منه الكذِبُ لِتعوِّده الصّدقَ. وقيل: مَن صدقَ بقولِه واعتقاده، وحقّقَ صدقَه بفعلِه. كذا في (تاج العروس).

وقيل: المداومُ على التّصديق بما يُوجبُه الحقّ، وقيل: الذي عادتُه الصّدق. وقيل: إنّه المُصدِّق بكلِّ ما أمرَ اللهُ به، وبأنبيائه، لا يدخلُه في ذلك شكٌّ، ويؤيّدُه قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ..﴾ الحديد:١٩.

هذه تعاريفُ في معنى الصّدِّيق، ولكنّ المستفادَ من الآيات الكثيرة والرّوايات المتعدّدة أنّ مرتبة الصِّدِّيقين في عداد مراتب الأنبياء والشّهداء، لهم حسابٌ خاصٌّ بهم ودرجةٌ مخصوصةٌ بهم. إستمع إلى هذه الآيات ليظهرَ لك ما قلنا:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء:٦٩.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ مريم:٤١.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ مريم:٥٦.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ..﴾ المائدة:٧٥.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿..وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ..﴾ قيل: سُمِّيَتْ صدِّيقةً لأنّها تُصدِّقُ بآياتِ ربِّها، ومنزلةِ وَلدِها، وتُصَدِّقُه في ما أخبرها به، بدلالة قوله تعالى: ﴿..وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا ..﴾ التّحريم:١٢، وقيل: لكثرةِ صدقِها، وعِظَمِ منزلتِها في ما تصدِّقُ به من أمرها.

بعد استعراض هذه الآيات والأقوال يُمكن لنا أن نستفيد أنّ التّصديقَ بالله وبالأنبياء والكُتب السّماويّة والأحكام الشّرعيّة تارةً يكون باللّسان دونَ العمل. ففي الوقت الذي يصدّق الإنسان بأنّ الله تعالى يراه، مع ذلك يعصي الله عزّ وجلّ. ويعلمُ بأنّ الله تعالى قد أوجبَ عليه حقوقاً ماليّةً أو غير ماليّةٍ، ومع ذلك لا يؤدّي تلك الحقوق. ويعلمُ بأنّ الله حرَّم الخمرَ والرّبا والزّنا، ومع ذلك لا يرتدع عن تلك المعاصي. فهو مصدِّقٌ باللهِ وبالحلالِ والحرام، والثّوابِ والعقابِ، والجنّةِ والنّار، ولكنّ عملَه لا يطابقُ هذا التّصديقَ، أي لم يبلغ به التّصديقُ درجةَ المطابقةِ بينَ القولِ والفعل، أو بين الاعتقاد والعمل.

ولكنّ الصّدِّيقين هم الذين يعتقدون الحقّ ويؤمنون به، ويعملون على ضوءِ تلك المعتقدات، وهؤلاء عددُهم قليلٌ ونادرٌ في كلّ زمانٍ وفي كلّ مكان.

وأنت إذا قارنتَ بين هذه التّعاريف وبين أعمال النّاس يظهرُ لك بكلّ وضوح أنّ عددَ الصّدِّيقين قليلٌ جدّاً جدّاً، ولعلّ في بعض البلاد لا يوجَد صِدِّيقٌ واحدٌ.

وبعد هذا كلّه سوف يسهلُ عليك أن تعرفَ أنّ السّيّدةَ فاطمةَ الزّهراء عليها السلام قد بلغتْ مرتبةَ الصّدِّيقين، وسمَّاها رسولُ الله صلى الله عليه وآله بالصّدِّيقة.

* في (الرّياض النّضرة: ج ٢، ص ٢٠٢)، وفي (شرف النّبوّة) عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليٍّ عليه السلام:

«أُوتيتَ ثلاثاً لم يُؤْتَهُنَّ أحدٌ، ولا أنا:

أُوتيتَ صهراً مثلي، ولم أُوتَ أنا مثلي.

وأُوتيتَ زوجةً صدِّيقةً مثلَ ابنَتي، ولم أُوتَ أنا مثلها زوجةً.

وأُوتيتَ الحسنَ والحسين من صُلبِك، ولم أُوتَ من صُلبي مثلهما.

ولكنّكم منّي وأنا منكم».

* وسأل المفضّل بن عمر الإمامَ الصّادق عليه السلام، قال: «قلتُ: مَن غَسَّلَ فاطمة؟ **قال: ذاكَ أميرُ المؤمنين.** فكأنّني استعظَمتُ ذلكَ من قوله، فقال: **كأنّكَ ضقتَ بما أخبرتُكَ به؟** فقلت: قد كانَ ذلك، جُعِلْتُ فداك!

قال: لا تَضِيْقَنَّ، فإنّها صِدِّيقةٌ، ولم يغسِّلها إلّا صِدِّيق، أما علمتَ أنّ مريمَ لم يغسِّلها إلّا عيسى».

(٣)

المُبارَكة

البَرَكة: النَّماء والسّعادة والزّيادة، كما في (تاج العروس). وقال الرّاغب: «ولمّا كان الخيرُ الإلهيُّ يصدرُ من حيث لا يحبَس، وعلى وجهٍ لا يُحصى ولا يحصَر، قيل - لكلّ ما يشاهَد منه زيادةٌ محسوسة: هو مباركٌ فيه، وفيه بَرَكة».

ولقد بارَكَ اللهُ في السّيّدة فاطمة أنواعاً من البرَكات، وجعلَ ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله من نسلِها، وجعل الخير الكثير في ذرّيّتها، فإنّها ماتتْ وتركتْ ولدَين وابنتَين فقط، وهم: الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السّلام، وزينب وأُمّ كلثوم، وجاءت واقعةُ كربلاء، وقُتِلَ فيها أولادُ الحسين، ولم يبقَ من أولادِهِ إلّا عليُّ بنُ الحسين (زين العابدين).

وقُتِلَ من أولاد الإمام الحسن سبعةٌ (على قول) واثنان من وُلد زينب، وأمّا أُمّ كلثوم فإنّها لم تعقّب.

وبعد واقعة كربلاء، تكرّرت الحوادث، وأُقيمت المذابحُ والمجازرُ في نسلِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وذرّيّةِ فاطمة الزّهراء؛ من واقعة الحرَّة، إلى واقعة زيد بن عليّ بن الحسين، إلى واقعة الفخّ، إلى مطاردة العلويّين في عهد الأُمويّين.

وجاء دَورُ بني العبّاس، فضربوا الرّقمَ القياسيّ في مكافحة العلويّين وإبادتهم واستئصال شأْفَتِهم. راجعْ كتاب (مقاتل الطّالبيين) تجدْ بعضَ تلك الحوادث.

واستمرّت المكافحةُ أكثرَ من قرنَين حتّى قُتِلَ الإمامُ الحسنُ العسكريّ عليه السلام، وهو الإمامُ الحادي عشر، مسموماً في مدينة سامرّاء. ولم يكن صلاح الدّين الأيوبيّ بأقلّ من العبّاسيّين في إراقةِ دماءِ آلِ رسولِ الله ودماءِ شيعتِهم، فلقد أقاموا في المغرب العربيّ مجازرَ ومذابحَ جماعيّةً تقشعرُّ منها الجلود.

ومع ذلك كلّه، فقد جعلَ اللهُ البركةَ في نسل فاطمة الزّهراء، وقد جعلَ اللهُ منها الخيرَ الكثير.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ الكوثر:١، أقوالٌ للمفسّرين، وإنْ كان المشهور أنّ الكوثر هو الحوضُ المعروفُ في القيامة، أو النّهرُ المشهورُ في الجنّة ولكنّ الكوثر - على وزن فَوْعَل - هو الشّيءُ الكثيرُ والخيرُ الكثير.

وقد ذكر السّيوطيّ في (الدّرّ المنثور) في تفسير شرح الكوثر: «وأَخرجَ البخاريُّ وابنُ جرير والحاكم، عن طريق أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس رضيَ اللهُ عنهما أنّه قال: الكوثر: الخيرُ الكثيرُ الذي أعطاهُ اللهُ إيّاه، قال أبو بشر: قلتُ لسَعيد بن جُبَير: فإنّ ناساً يزعمونَ أنَّه نهرٌ في الجنّة. قال: النّهرُ الذي في الجنّةِ هو من الخيرِ الكثيرِ الذي أعطاه».

والأنسبُ بالمقام، وبمقتَضى الحال - كما في التّفسير للرّازيّ - أن يكون المقصود من الكوثر هي الصّدّيقة فاطمة الزّهراء، فقد ذكر الطّبرسيّ في (مجمع البيان) في تفسير سورة الكوثر: قال: «قيل: الكوثر هو الخيرُ الكثيرُ، وقيل: هو كثرةُ النَّسْل والذّرّيّة، وقد ظهرتْ الكثرةُ في نسلِه - رسول الله ﷺ - من وُلد فاطمة حتّى لا يُحصَى عددُهم، واتّصل إلى يوم القيامة مَددُهم».

وقال الفخر الرّازيّ في تفسيره حول الآية:

«(والقولُ الثّالث): الكوثر أولادُه، قالوا: لأنّ هذه السّورة إنّما نزلت ردّاً على مَن عابَه عليه السلام بعدمِ الأولاد، فالمعنى أنّه يُعطيه نسلاً يبقون على مرِّ الزّمان، فانظر كم قُتل من أهل البيت؟ ثمّ العالم ممتلئٌ منهم، ولم يبقَ من بني أُميّة في الدّنيا أحدٌ يُعبَأُ به، ثمّ انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصّادق والكاظم والرّضا عليهم السلام والنّفس الزّكيّة وأمثالهم».

* وَوجهُ المناسبة: أنّ الكافر شمت بالنّبيّ حين مات أحدُ أولاده وقال: إنّ محمّداً أبتَر، فإنْ مات، مات ذِكرُه. فأنزلَ اللهُ هذه السّورةَ على نبيّه تسليةً له، كأنّه تعالى يقول: إنْ كان ابنُك قد مات فإنّا أعطيناكَ فاطمة، وهي وإنْ كانت واحدةً وقليلة، ولكنّ اللهَ سيجعلُ هذا الواحد كثيراً.

وتصديقاً لهذا الكلام ترى في العالم (اليوم) ذرّيّةَ فاطمة الزّهراء الذين هم ذريّةُ رسول الله ﷺ منتَشرين في بقاع العالم، ففي العراق حوالي مليون، وفي إيران حوالي ثلاثة ملايين، وفي مصر خمسة ملايين، وفي الجزائر وفي تونس وليبيا عددٌ كثير، وكذلك في الأردنّ وسوريا ولبنان، والسّودان وبلاد الخليج والحجاز ملايين، وفي اليمن والهند وباكستان والأفغان وجزر إندونيسيا حوالي عشرين مليوناً.

وقلَّ أن تجدَ في البلاد الإسلاميّة بلدةً ليس فيها أحدٌ من نسلِ السّيّدة فاطمة الزّهراء. ويقدَّر مجموعُهم بخمسةٍ وثلاثين مليوناً، ولو أُجريَتْ إحصائياتٌ دقيقةٌ وصحيحةٌ فلعلّ العدد يتجاوز هذا المقدار.

هؤلاء ذرّيّةُ رسول الله ﷺ، وهم من صُلب عليٍّ وفاطمة، وفيهم الملوكُ والأمراءُ والوزراءُ والعلماءُ والكُتّابُ والشّخصيّاتُ البارزةُ والعباقرةُ المرموقون.

ومن أعجب العَجب أنّ بعض المسلمين ما كان يعجبُهم أن يعترفوا بهذا الانتساب - أي انتساب ذرّيّة عليٍّ وفاطمة إلى رسول الله ﷺ - بل يعتبرون هذا الاعتراف كَذِباً وافتراءً، ويحاربون هذه الفكرة محاربةً شعواء لا هوادةَ فيها، وكانوا يسفكون الدّماء البريئة لأجل هذه الحقيقة.

انظر إلى موقف الحَجّاج السّفّاك الهتّاك تجاهَ هذا الأمر، وهكذا المنصور الدّوانيقيّ، وهارون «الرّشيد»، وغيرهم ممّن حذا حَذْوَهم وسلكَ طريقتَهم.

وفي العاشر من (البحار): عن عامر الشّعبيّ أنّه قال: بعثَ إليَّ الحجّاجُ ذاتَ ليلة، فخَشِيتُ فقمتُ فتوضّأْتُ وأوصيتُ، ثمّ دخلتُ عليه، فنظرتُ فإذا نطعٌ منشورٌ والسّيفُ مسلول، فسلَّمتُ عليه فردَّ عليَّ السّلام، فقال: لا تخَف، فقد أمّنتُك اللّيلةَ وغداً إلى الظّهر، وأجلسَني عندَه ثمّ أشار فأُتِيَ برَجُلٍ مقيَّدٍ بالكبول والأغلال، فوضعوه بين يدَيه فقال: إنّ هذا الشّيخ يقول: إنَّ الحسنَ والحسينَ كانا ابنَي رسول الله، لَيأْتيني بحُجّةٍ من القرآن وإلّا لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَه.

فقلت: يجبُ أن تحلَّ قيدَه، فإنَّه إذا احتجّ فإنَّه لا محالةَ يذهب، وإن لم يحتجّ فإنَّ السّيفَ لا يقطعُ هذا الحديد.

فحَلّوا قيوده وكبوله، فنظرت فإذا هو سعيدُ بنُ جُبَير، فحزنتُ بذلك، وقلت: كيف يجدُ حُجَّةً على ذلك من القرآن؟ فقال الحجّاج: ائتِني بحُجّةٍ من القرآن على ما ادّعيتَ وإلّا أضرب عنقَك.

فقال له: انتظر. فسكتَ ساعةً ثمّ قال له مثلَ ذلك. فقال: انتظر. فسكتَ ساعةً ثمّ قال له مثل ذلك، فقال: **أعوذُ بالله من الشّيطان الرّجيم، بسم الله الرّحمن الرّحيم، ثمّ قال:** ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ الأنعام:٨٤، ثمّ سكتَ وقال للحَجّاج: اقرأْ ما بعدَه. فقرأ: ﴿**وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ..**﴾ الأنعام:٨٥، فقال سعيد: كيف يليقُ هاهنا عيسى؟ قال: إنَّه كان من ذرّيته، قال: إنْ كان عيسى من ذرّيّة إبراهيم ولم يكن له أبٌ، بل كان ابنَ ابنتِه، فنُسب إليه مع بُعدِه، فالحسنُ والحسينُ أَولى أن يُنسبا إلى رسول الله ﷺ مع قُربِهما منه.

فأمر له بعشرةَ آلاف دينار، وأمر أن يحملوه إلى داره، وأَذِنَ له في الرّجوع.

قال الشّعبيّ: فلمّا أصبحتُ قلتُ في نفسي: قد وجبَ عليَّ أن آتي هذا الشّيخَ فأتعلَّم منه معاني القرآن، لأنّي كنتُ أظنّ أنّي أعرفُها، فإذا أنا لا أعرفُها. فأتيتُه فإذا هو في المسجد، وتلك الدّنانيرُ بين يدَيه، يفرِّقُها عشراً عشراً، ويتصدّقُ بها، ثمّ قال: هذا كلُّه ببركة الحَسن والحسَين عليهما السّلام، لَئِنْ أغْمَمْنا واحداً لقد أفرَحنا ألفاً، وأَرْضَينا اللهَ ورسولَه ﷺ.

* وهاكَ حديثاً آخر يكشفُ لك مدى العناد واللّجاج والإلحاح على نفي هذه الفضيلة وتزييفها من المناوئين.

روى شيخنا المجلسيّ في (البحار)، عن (الاحتجاج)، و(تفسير عليّ بن إبراهيم)، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «قال لي أبو جعفر: **يا أبا الجارود، ما يقولون في الحَسن والحسَين عليهما السّلام؟** قلتُ: يُنكرون علينا أنّهما ابنا رسول الله ﷺ، قال: **فبأيِّ شيءٍ احتجَجْتُم عليهم؟**

قلتُ: يقولُ اللهُ عزّ وجلّ في عيسى ابنِ مريم: ﴿**..وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ..**﴾ الأنعام:٨٤-٨٥، وجعلَ عيسى من ذرّيّة إبراهيم.

قال: **فأيّ شيءٍ قالوا لكم؟**

قلتُ: قالوا: قد يكونُ ولدُ الإبنةِ من الوالد، ولا يكونُ من الصُّلب.

قال: **فبأيّ شيءٍ احتجَجتُم عليهم؟**

قال: قلت: احتجَجنا عليهم بقول الله تعالى: ﴿.. فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ..﴾ آل عمران:٦١، قال: **فأيّ شيءٍ قالوا لكم؟**

قلتُ: قالوا: قد يكونُ في كلام العرب أَبْنَاءُ رَجُلٍ، وآخَرُ يَقُولُ أَبْنَاؤُنَا.

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: **واللهِ يا أبا الجارود، لَأُعْطِيَنَّكَها من كتاب الله آيةً تسمّى لصُلب رسول الله صلّى الله عليه وآله، لا يردُّها إلّا كافر.**

قال: قلتُ: جُعِلْتُ فداكَ، وأين؟

قال: **حيثُ قالَ اللهُ:** ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَآئِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ..﴾ النساء:٢٣، **فَسَلْهُم يا أبا الجارود، هل حلَّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله نكاحُ حليلتَيهما؟** [أي زوجتَي الحسن والحسين عليهما السلام].

فإنْ قالوا: نعم، فكذَبوا واللهِ وفَجروا، وإنْ قالوا: لا. فهما واللهِ ابناه لصُلبِه، وما حُرِّمَتا عليه إلّا للصُّلب».

**

* ولقد جرى حوارٌ بين هارون «الرّشيد»، والإمام موسى بن جعفر عليهما السّلام، ذكرَه شيخُنا المجلسيّ في (البحار) نقلاً عن (عيون أخبار الرّضا عليه السلام) أنّ هارون «الرّشيد» قال للإمام موسى بن جعفر عليهما السّلام:

«لِمَ جوَّزتم للعامّةِ والخاصّةِ أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقولون لكم يا بَني رسول الله، وأنتم بنو عليّ، وإنّما ينسَبُ المرءُ إلى أبيه، وفاطمة إنّما هي وعاء، والنّبيُّ صلى الله عليه وآله جدُّكم من قِبَلِ أُمِّكم؟؟

فقال الإمام: **لو أنّ النّبيّ نُشِر** [أي بُعِثَ حيّاً] **فخطب إليك كريمتَك هل كنتَ تُجيبُه؟**

قال الرّشيد: سبحانَ الله! ولِمَ لا أُجيبهُ؟ بل أفتخرُ على العربِ والعجمِ وقريش بذلك.

فقال الإمام: **ولكنّه صلّى الله عليه وآله لا يخطب إليَّ ولا أُزوِّجه.**

قال الرّشيد: ولِمَ؟

قال الإمام: **لأنّي ولدَني ولم يَلِدْكَ.**

قال الرّشيد: أحسنتَ يا موسى.

ثمّ قال الرّشيد: كيف قلتُم إنّا ذرّيّةُ النّبيّ، والنّبيُّ صلى الله عليه وآله لم يعقِّب؟ وإنّما العَقِبُ للذّكر، لا للأنثى، وأنتم وُلدُ الإبنة، ولا يكونُ لها عَقِب؟

فاعتذرَ الإمامُ عن الإجابة على هذا السّؤالِ المُحرج، وطلب من الرّشيد إعفاءَه عن الجواب رعايةً للتّقيّة. فقال الرّشيد: لا، أو تُخبرني بحجّتكم فيه يا وُلدَ عليّ، وأنت يا موسى يعسوبهُم وإمامُ زمانهم، كذا أُنهيَ إليّ، ولستُ

أُعفِيكَ في كلّ ما أسألُك حتّى تأْتيني فيه بحجّةٍ من كتاب الله، فأنتم تدَّعون - معشرَ وُلدِ عليّ - أنَّه لا يسقطُ عنكم منه شيءٌ؛ ألِفٌ ولا واو إلّا وتأْويلُه عندَكم، واحتجَجتم بقوله عزّ وجلّ: ﴿..مَّافَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ..﴾ الأنعام:٣٨، وقد استغنيتُم عن رأي العلماء وقياسِهم.

فقال الإمام: **تأذنُ لي في الجواب؟**

قال الرّشيد: هات.

قال الإمام: **أعوذُ بالله من الشّيطان الرّجيم، بسم الله الرّحمن الرّحيم** ﴿..وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ..﴾ الأنعام:٨٤-٨٥، **مَن أبو عيسى؟**

قال الرّشيد: ليس لعيسى أب.

قال الإمام: **إنّما ألحَقناه بذَراري الأنبياء** عليهم السلام **من طريقِ مريمَ عليها السّلام، وكذلك أُلحِقنا بذَراري النّبيّ صلّى الله عليه وآله من قِبَلِ أُمّنا فاطمة عليها السّلام..**». إلى آخر الحديث.

**

هذه هي الآيات التي استدلّ بها الأئمّة عليهم السلام حول انتسابهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق السّيّدة فاطمة الزّهراء، وأمّا الأحاديث التي تُصرِّحُ بهذا المعنى فكثيرةٌ جدّاً، ونكتفي هنا بما يلي:

١ - الخطيب البغداديّ في (تاريخ بغداد: ج ١، ص ٣١٦).

«عن ابن عبّاس قال: كنتُ أنا وأبي: العبّاس بن عبد المطّلب جالِسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذْ دخلَ عليُّ بنُ أبي طالب فسلّمَ، فردَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وبشَّ به، فقال العبّاس: يا رسولَ الله، أَتُحِبُّ هذا؟ فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: **يا عمَّ رسولِ الله! واللهِ، اللهُ أشدُّ حُبّاً له منّي، إنَّ اللهَ جعلَ ذرّيّةَ كلِّ نبيٍّ في صُلبِه، وجعلَ ذرّيّتي في صُلبِ هذا**». ورواه الخوارزميّ في (المناقب: ص ٢٢٩).

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنَّ اللهَ عزّ وجلّ جعلَ ذرّيّةَ كلِّ نبيٍّ في صُلْبِهِ، وجعلَ ذرّيّتي في صُلبِ عَلِيّ».

ورواه محبّ الدّين الطّبريّ في (ذخائر العُقبى). والحَمويني في (فرائد السِّمطَين). والذّهبيّ في (ميزان الاعتدال). وابن حجر في (الصّواعق المحرقة: ص ٧٤). والمتّقي الهنديّ في (منتخَب كنز العمّال). والزّرقانيّ في (شرح المواهب اللّدنيّة). والقندوزيّ في (ينابيع المودّة: ص ١٨٣).

٣- وذكر النّسائيّ في كتاب (خصائص أمير المؤمنين) عن محمّد بن أسامة بن زيد، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أمّا أنتَ يا عليّ، فَخَتَني** [خَتَنُ الرَّجُل: المتزوّجُ بابنته] **وأبو وُلدي، وأنتَ منّي وأنا منك**».

٤- وروى أيضاً عن أسامة قال: «طرقتُ بابَ رسول الله صلى الله عليه وآله ليلةً لبعضِ الحاجة، فخرجَ وهو مشتَمِلٌ على شيءٍ لا أدري ما هو؟ فلمّا فرغتُ من حاجتي قلتُ: ما هذا الذي أنتَ مُشْتَمِلٌ عليه؟ فكشفَه فإذا هو الحسنُ والحسين على وِرْكَيْه، فقال: **هذان ابناي، وابنا بنتي، أللّهمّ إنّك تعلمُ أنّي أُحِبُّهما فَأَحِبَّهما**».

والأحاديث التي تصرِّحُ بأنّ الحسنَ والحسين عليهما السّلام كانا ابنَي رسول الله صلى الله عليه وآله كثيرةٌ جدّاً.

قال: وسُمّيت فاطمة لأنّها فُطمت من الشرّ

(٤)

الطّاهِرَة

من جملة أسمائها عليها السّلام: «**الطّاهرة**»، وأحسنُ ما نبحثُ فيه حول هذا الموضوع، آية التّطهير، وهي قولُه تعالى: ﴿..إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب:٣٣. إنّ هذه الآية الكريمة تعتبَر في طليعة الآيات ذات الأهميّة الكبرى، وذلك لعِظَم معناها ومغزاها، لأنّها منبعُ فضائل أهل البيت النّبويّ لاشتمالها على أمورٍ عظيمة، وقد كَثُرت الأقوال، وجالت الأقلام حول هذه الآية.

ولعلّ من الصّحيح أن نقول: إنّ آية التّطهير معترَكُ الآراء المتضاربة والأقوال المختلفة، وخاصّةً حول كلمة: (**أهل البيت**) والمقصود منهم، ومدى شمول هذه الكلمة.

والأمرُ الذي لا شكّ فيه أنّ آيةَ التّطهير تشملُ الصّدِّيقة الطّاهرة فاطمةَ الزّهراء عليها السلام قطعاً، وبإجماع المُفسّرين والمُحدِّثين من الشّيعة والسُّنّة، إلّا من شذَّ وندَر.

إذ أنّ جميع الأحاديث الواردة حولَ نزول هذه الآية متّفقةٌ على شمولها لعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، بالقَدَر المُتيَقَّن.

وإنْ كان هناك قولٌ يُشعِرُ بشمولِها لزوجاتِ النّبيّ صلى الله عليه وآله اعتماداً على ظاهر لفظ (أهل البيت)، أو سياق الآية التي سبقَتْها ولَحِقَتْها خطاباتٌ لزَوجاتِ النّبيّ، فإنّ جميعَ الأحاديث تصرِّحُ بأنّ النّبيّ لم يسمح حتّى لزوجتِه السّيّدة أُمّ سلَمة أن تدخلَ تحت الكساء، قبل نزول آية التّطهير. ".."

(٥)

الزّكِيّة

الزّكاة: النّموّ والزّيادة، وقد ذكرنا اليسيرَ ممّا يتعلّق بهذا الموضوع حول اسمِها عليها السّلام: «**المباركة**».

(٦)

الرّاضِيَة

الرّضا بما قدَّر اللهُ تعالى لعبده يُعتبَر من أعلى درجات الإيمان بالله عزّ وجلّ، وقد رَضِيَت السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام بما قُدِّر لها من مرارة الحياة، [من] ".." المصائب والنّوائب التي انصبّتْ عليها منذ نعومة أظفارها إلى أن فارقت الحياة في عنفوان شبابها، وهي في جميع تلك المراحل راضيةٌ بما كتبَ اللهُ لها من خوف واضطهاد وحِرمان وفقر وأحزان وهموم وغموم ومآسٍ وآلام، ويجدرُ بها أن يشملَها قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ الفجر:٢٧-٢٨، لأنّها راضيةٌ بثواب الله، راضيةٌ عن الله بما أعدَّ اللهُ لها، راضيةٌ بقضاء الله في الدّنيا حتّى رَضِيَ اللهُ عنها.

(٧)

المَرْضِيّة

درجةُ المَرْضِيّين عند الله تعالى درجةٌ عالية، ومنزلةٌ ساميةٌ، فهناك القليل من عبادِ الله الذين رَضِيَ اللهُ عنهم فكانوا مَرْضِيّين عندَ الله تعالى بسببِ اعتدالِهم واستقامتِهم. ومن جملة الذين فازوا بتلك المنزلةِ الرّفيعةِ، والدّرجةِ الرّاقيةِ، سيّدتُنا فاطمة الزّهراء عليها السلام، فإنّ اللهَ تعالى قد رَضِيَ عنها، فكانت مرضيّةً عندَ اللهِ عزّ وجلّ. مرضيّةً أعمالُها التي عَمِلَتْها. مرضيَّةً، رَضِيَ عنها ربُّها، بما عملتْ من طاعتِه.

(٨)

المُحَدَّثَة

قبل كلِّ شيء ينبغي أن نعلم: هل تتحدّثُ الملائكةُ مع غير النّبيّ؟ وهل يَراهم غيرُ النّبيّ؟ أو يسمعُ أصواتَهم؟

للإجابة على هذه الأسئلة نراجعُ القرآنَ الكريم للتّحقُّق من الجواب الصّحيح:

١ - قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ آل عمران:٤٢-٤٣.

إنّ صريحَ هذه الآية أنّ الملائكةَ خاطبتْ مريمَ عليها السلام بما مرَّ عليك من كلمات الثّناء والأوامر الإلهيّة، وباليقين أنّها كانت تسمعُ نداءَهم وتفهمُ خطابَهم، وإلّا فما فائدةُ هذا الخطاب؟

٢ - ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ مريم:١٦-٢١.

لقد أجمعَ المُفسّرون أنّ المقصودَ من (روحنا) هو جبرئيل، تمثّلَ لها بصورةِ آدميٍّ صحيح، وجرى بينَهما الكلامُ والحوار.

٣ - ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ هود:٧١-٧٣.

إنّ هذه الآيات تتعلّقُ بمَجيء الملائكة إلى دار إبراهيم الخليل عليه السلام لتُبشِّره بالولد، وكانت زوجتُه سارة تخدمُ وتحملُ الطّعامَ إليهم ظنّاً منها أنّهم ضيوف، فلقد تكلّمت مع الملائكة، وخاطبَتْها الملائكةُ بما مرَّ عليك من الآيات.

٤ - ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ..﴾ القصص:٧. وقد ذكر المفسّرون معنى (أوحينا) أي ألهَمنا، وقذَفنا في قلبِها، وعلى قول: إنّها نُوديت بهذا الخطاب.

وقد ذكر المنّاويّ في (شرح الجامع الصّغير: ج ٢، ص ٢٧٠) عن القرطبيّ قال: «(محدَّثون)، بفتح الدّال اسمُ مفعول، جمعُ محدَّث أي مُلهَم، أو صادق الظّنّ، وهو مَن أُلقي في نفسِه شيءٌ على وجه الإلهامِ والمكاشفةِ من الملإِ الأعلى، أو مَن يجري الصّوابُ على لسانِه بلا قصد، أو تُكلِّمُه الملائكةُ بلا نبوّة، أو مَن إذا رأى رأْياً أو ظنَّ ظنّاً أصابَ كأنّه حُدِّثَ به وأُلقِيَ في رَوْعِه من عالم المَلَكُوت، فيظهر على نحو ما وقعَ له، وهذه كرامةٌ يُكرِمُ اللهُ بها مَن يشاءُ من صالحي عبادِه، وهذه منزلةٌ جليلةٌ من منازل الأولياء».

أقول: بعد هذه المقدّمات سوف لا يصعبُ عليكَ أن تعرفَ أنّ السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام كانت محدَّثة، إذ ليست سيّدةُ نساء العالَمين وبنتُ سيّد الأنبياء والمرسلين بأقلّ شأناً من مريم بنت عمران، أو سارة زوجة إبراهيم، أو أُمّ موسى، وليس معنى ذلك أنّ مريم أو سارة أو أُمّ موسى كنَّ من الأنبياء، وهكذا ليس معنى ذلك أنّ السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام كانت نبيّةً.

وقد روى الشّيخُ الصّدوق في (عِلل الشّرائع) عن زيد بن عليّ، قال: «سمعتُ أنّ أبا عبد الله (الصّادق) يقول: إنّما سُمِّيَت فاطمةُ محدَّثةً [بفتح الدّال] لأنّ الملائكةَ كانت تهبطُ من السّماء فتُناديها كما تُنادي مريمَ بنت عمران، فتقولُ الملائكة: يا فاطمة، إنّ اللهَ اصطَفاكِ وطهَّرَكِ واصطَفاكِ على نساء العالَمين».

(٩)

الزّهرَاء

في العاشر من (البحار)، عن (أمالي) الصّدوق عليه الرّحمة، عن ابن عبّاس: «**قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: وأمّا ابنَتي فاطمة، فإنّها سيّدةُ نساء العالَمينَ من الأوّلينَ والآخرين، وهي بضعةٌ منّي، وهي نورُ عيني، وهي ثمرةُ فؤادي، وهي روحي التي بينَ جَنْبَيَّ، وهي الحوراءُ الإنسيّة، مَتى قامتْ في محرابِها بين يدَي ربِّها جلّ جلالُه زهرَ نورُها لملائكةِ السّماوات كما يزهرُ نورُ الكواكبِ لأهلِ الأرض..**».

وبهذا الحديث اتّضحَ لنا سببُ تسميَتِها عليها السلام الزّهراء، وهناك أحاديثُ أُخَرَ بهذا المضمون، وفي ما ذكرنا كفاية.

ولسَيّدتنا فاطمة الزّهراء عليها السلام أسماءٌ غيرُ التي مرّت عليك، وكلُّ اسمٍ يدلُّ على فضيلةٍ ومَزِيّةٍ امتازتْ بها "..." عليها الصّلاةُ والسّلام.

***

حرزٌ جليلٌ عن الإمام الصّادق عليه السلام

السّيّد ابن طاوس قدس سره

في (مُهَج الدّعوات)، أنّ الغضب استبدّ بالمنصور العبّاسيّ وأقسمَ أن يقتلَ الإمامَ الصّادق عليه السلام، وعندما استدعاه كانت المفاجأة، فقد مشى بين يدَي الإمام ذليلاً وأكرمَه وعظَّمه، وعندما سُئلَ عن سبب هذا التبدُّل العجيب، قال إنّه رأى تنّيناً هائلاً يهدِّدُه، فقرَّر الرّاوي أن يسألَ الإمامَ الصّادق عليه السلام عن الدُّعاء الّذي رآهُ يحرِّكُ به شفتيه. قالَ: فَأَمْلاهُ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ:

«هَذَا حِرْزٌ جَلِيلٌ وَدُعَاءٌ عَظِيمٌ نَبِيلٌ، مَنْ قَرَأَهُ صَبَاحاً كَانَ فِي أَمَانِ اللهِ إِلَى العِشَاءِ، وَمَنْ قَرَأَهُ عِشَاءً كَانَ فِي حِفْظِ اللهِ تَعَالَى إِلَى الصَّبَاحِ، وَقَدْ عَلَّمَنِيهِ أَبِي بَاقِرُ عِلْمِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، عَنْ أَبِيهِ سَيِّدِ العَابِدِينَ، عَنْ أَبِيهِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ، عَنْ أَخِيهِ سَيِّدِ الأَصْفِيَاءِ، عَنْ أَبِيهِ سَيِّدِ الأَوْصِيَاءِ، عَنْ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، اِسْتَخْرَجَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ العَزِيزِ الَّذِي لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَهُوَ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانِي لِلإِسْلامِ وَأَكْرَمَنِي بِالإِيمَانِ، وَعَرَّفَنِي الحَقَّ الَّذِي عَنْهُ يُؤْفَكُونَ وَالنَّبَأَ العَظِيمَ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ، وَسُبْحَانَ اللهِ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَنْشَأَ جَنَّاتِ المَأْوَى بِلا أَمَدٍ تَلْقَوْنَهَا، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ السَّابِغُ النِّعْمَةِ الدَّافِعُ النَّقِمَةِ الوَاسِعُ الرَّحْمَةِ، وَاللهُ أَكْبَرُ ذُو السُّلْطَانِ المَنِيعِ وَالإِنْشَاءِ البَدِيعِ وَالشَّأْنِ الرَّفِيعِ وَالحِسَابِ السَّرِيعِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَنَبِيِّكَ وَأَمِينِكَ وَشَهِيدِكَ، التَّقِيِّ النَّقِيِّ، البَشِيرِ النَّذِيرِ السِّرَاجِ المُنِيرِ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الأَخْيَارِ. مَا شَاءَ اللهُ تَقَرُّباً إِلَى اللهِ، مَا شَاءَ اللهُ تَوَجُّهاً إِلَى اللهِ، مَا شَاءَ اللهُ تَلَطُّفاً بِاللهِ، مَا شَاءَ اللهُ مَا يَكُنْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ، مَا شَاءَ اللهُ لا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللهُ، مَا شَاءَ اللهُ لا يَسُوقُ الخَيْرَ إِلَّا اللهُ، ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. أُعِيذُ نَفْسِي وَشَعْرِي وَبَشَرِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَوُلْدِي وَذُرِّيَّتِي وَدِينِي وَدُنْيَايَ وَمَا رَزَقَنِي رَبِّي، وَمَا أَغْلَقَتْ عَلَيْهِ أَبْوَابِي وَأَحَاطَتْ بِهِ جُدْرَانِي وَمَا أَتَقَلَّبُ فِيهِ مِنْ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَجَمِيعَ إِخْوَانِي وَأَقْرِبَائِي وَقَرَابَاتِي مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِاللهِ العَظِيمِ وَبِأَسْمَائِهِ التَّامَّةِ العَامَّةِ الكَامِلَةِ، الشَّافِيَةِ الفَاضِلَةِ المُبَارَكَةِ، المُنِيفَةِ المُتَعَالِيَةِ الزَّاكِيَةِ، الشَّرِيفَةِ الكَرِيمَةِ الطَّاهِرَةِ، العَظِيمَةِ المَخْزُونَةِ المَكْنُونَةِ الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلا فَاجِرٌ، وَبِأُمِّ الكِتَابِ وَفَاتِحَتِهِ وَخَاتِمَتِهِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ سُورَةٍ شَرِيفَةٍ وَآيَةٍ مُحْكَمَةٍ وَشِفَاءٍ وَرَحْمَةٍ وَعُوذَةٍ وَبَرَكَةٍ، وَبِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالفُرْقَانِ وَبِصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، وَبِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ، وَبِكُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ، وَبِكُلِّ حُجَّةٍ أَقَامَهَا اللهُ، وَبِكُلِّ بُرْهَانٍ أَظْهَرَهُ اللهُ، وَبِكُلِّ آلاءِ اللهِ وَعِزَّةِ اللهِ وَعَظَمَةِ اللهِ، وَقُدْرَةِ اللهِ وَسُلْطَانِ اللهِ وَجَلالِ اللهِ، وَمَنِّ اللهِ وَمَنِّ اللهِ وَعَفْوِ اللهِ، وَحِلْمِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ وَغُفْرَانِ اللهِ، وَمَلائِكَةِ اللهِ وَكُتُبِ اللهِ وَرُسُلِ اللهِ وَأَنْبِيَاءِ اللهِ، وَمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ وَأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، مِنْ غَضَبِ اللهِ وَسَخَطِ اللهِ وَنَكَالِ اللهِ، وَعِقَابِ اللهِ وَأَخْذِ اللهِ وَبَطْشِهِ وَاجْتِيَاحِهِ وَاجْتِثَاثِهِ وَاصْطِلامِهِ، وَتَدْمِيرِهِ وَسَطَوَاتِهِ وَنَقِمَتِهِ وَجَمِيعِ مَثُلاتِهِ، وَمِنْ إِعْرَاضِهِ وَصُدُودِهِ وَتَنْكِيلِهِ وَتَوْكِيلِهِ وَخِذْلانِهِ وَدَمْدَمَتِهِ وَتَخْلِيَتِهِ، وَمِنَ الكُفْرِ وَالنِّفَاقِ وَالشَّكِّ وَالشِّرْكِ وَالحَيْرَةِ فِي دِينِ اللهِ، وَمِنْ شَرِّ يَوْمِ النُّشُورِ وَالحَشْرِ وَالمَوْقِفِ وَالحِسَابِ، وَمِنْ شَرِّ كِتَابٍ قَدْ سَبَقَ، وَمِنْ زَوَالِ النِّعْمَةِ وَتَحْوِيلِ العَافِيَةِ وَحُلُولِ النِّقْمَةِ وَمُوجِبَاتِ المَلَكَةِ، وَمِنْ مَوَاقِفِ الخِزْيِ وَالفَضِيحَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ مِنْ هَوَى مُرْدٍ وَقَرِينٍ مُلْهٍ وَصَاحِبٍ مُسْهٍ، وَجَارٍ مُوذٍ وَغِنًى مُطْغٍ وَفَقْرٍ مُنْسٍ، وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ وَصَلاةٍ لا تُرْفَعُ وَدُعَاءٍ لا يُسْمَعُ، وَعَيْنٍ لا تَدْمَعُ وَنَفْسٍ لا تَقْنَعُ وَبَطْنٍ لا يَشْبَعُ وَعَمَلٍ لا يَنْفَعُ، وَاسْتِغَاثَةٍ لا تُجَابُ وَغَفْلَةٍ وَتَفْرِيطٍ يُوجِبَانِ الحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ، وَمِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَالشَّكِّ وَالعَمَى فِي دِينِ اللهِ، وَمِنْ نَصَبٍ وَاجْتِهَادٍ يُوجِبَانِ العَذَابَ، وَمِنْ مُرْدٍ إِلَى النَّارِ وَمِنْ صَلَعٍ [ثِقْلِ] الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ، وَسُوءِ المَنْظَرِ فِي الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالأَهْلِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ وَالإِخْوَانِ، وَعِنْدَ مُعَايَنَةِ مَلَكِ المَوْتِ، وَأَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ مِنَ الغَرَقِ وَالحَرَقِ وَالشَّرَقِ وَالسَّرَقِ، وَالهَدْمِ وَالخَسْفِ وَالمَسْخِ وَالحِجَارَةِ، وَالصَّيْحَةِ وَالزَّلازِلِ وَالفِتَنِ وَالعَيْنِ، وَالصَّوَاعِقِ وَالبَرْدِ وَالقَوَدِ وَالقَرَدِ، وَالجُنُونِ وَالجُذَامِ وَالبَرَصِ، وَأَكْلِ السَّبُعِ وَمِيتَةِ السَّوْءِ وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ البَلايَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَأَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ مِنْ شَرِّ السَّامَّةِ وَالهَامَّةِ وَاللَّامَّةِ، وَالخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ وَالحَامَّةِ، وَمِنْ شَرِّ أَحْدَاثِ النَّهَارِ وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ إِلَّا طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ القَضَاءِ وَجَهْدِ البَلاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ وَتَتَابُعِ العَنَاءِ وَالفَقْرِ إِلَى الأَكْفَاءِ، وَسُوءِ المَمَاتِ وَالمَحْيَا وَسُوءِ المُنْقَلَبِ. وَأَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ مِنْ شَرِّ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ وَأَعْوَانِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ، وَمِنْ شَرِّ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَمِنْ شَرِّ السُّلْطَانِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وَمِنْ شَرِّ مَا أَخَافُ وَأَحْذَرُ، وَمِنْ شَرِّ فَسَقَةِ العَرَبِ وَالعَجَمِ، وَمِنْ شَرِّ فَسَقَةِ الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَمِنْ شَرِّ مَا فِي النُّورِ وَالظُّلَمِ، وَمِنْ شَرِّ مَا هَجَمَ أَوْ دَهَمَ أَوْ أَلَمَّ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ سُقْمٍ وَهَمٍّ وَغَمٍّ وَآفَةٍ وَنَدَمٍ، وَمِنْ شَرِّ مَا فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالبَرِّ وَالبِحَارِ، وَمِنْ شَرِّ الفُسَّاقِ وَالدُّعَارِ وَالفُجَّارِ، وَالكُفَّارِ وَالحُسَّادِ وَالسُّحَّارِ، وَالجَبَابِرَةِ وَالأَشْرَارِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ رَبِّي آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَأَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ وَالأَنْبِيَاءُ المُرْسَلُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَعِبَادُكَ الصَّالِحُونَ، وَمُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ وَالأَئِمَّةُ المَهْدِيُّونَ، وَالأَوْصِيَاءُ وَالحُجَجُ المُطَهَّرُونَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلُوكَهُ، وَأَنْ تُعِيذَنِي مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذُوا بِكَ مِنْهُ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ مِنْهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ. أَللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَنِي فِي يَوْمِي هَذَا وَفِي مَا بَعْدَهُ مِنَ الأَيَّامِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ كُلِّهِم، مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ ضَعِيفٍ أَوْ شَدِيدٍ، بِشَرٍّ أَوْ مَكْرُوهٍ أَوْ مَسَاءَةٍ بِيَدٍ أَوْ بِلِسَانٍ أَوْ بِقَلْبٍ، فَأَخْرِجْ صَدْرَهُ وَأَلْجِمْ فَاهُ وَأَفْحِمْ لِسَانَهُ، وَاسْدُدْ سَمْعَهُ وَاقْمَحْ بَصَرَهُ وَأَرْعِبْ قَلْبَهُ، وَاشْغَلْهُ بِنَفْسِهِ وَأَمِتْهُ بِغَيْظِهِ، وَاكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ وَكَيْفَ شِئْتَ وَأَنَّى شِئْتَ، بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. أَللَّهُمَّ اكْفِنِي شَرَّ مَنْ نَصَبَ لِي حَدَّهُ وَاكْفِنِي مَكْرَ المَكَرَةِ وَأَعِنِّي عَلى ذَلِكَ بِالسَّكِينَةِ وَالوَقَارِ، وَأَلْبِسْنِي دِرْعَكَ الحَصِينَةَ وَأَحْيِنِي مَا أَحْيَيْتَنِي فِي سِتْرِكَ الوَاقِي، وَأَصْلِحْ حَالِي كُلَّهُ. أَصْبَحْتُ فِي جِوَارِ اللهِ مُمْتَنِعاً وَبِعِزَّةِ اللهِ الَّتِي لا تُرَامُ مُحْتَجِباً، وَبِسُلْطَانِ اللهِ المَنِيعِ مُعْتَصِماً مُتَمَسِّكاً، وَبِأَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى كُلِّهَا عَائِذاً، أَصْبَحْتُ فِي حِمَى اللهِ الَّذِي لا يُسْتَبَاحُ وَفِي ذِمَّةِ اللهِ الَّتِي لا تُخْفَرُ، وَفِي حَبْلِ اللهِ الَّذِي لا يُجْذَمُ وَفِي جِوَارِ اللهِ الَّذِي لا يُسْتَضَامُ، وَفِي مَنْعِ اللهِ الَّذِي لا يُدْرَكُ وَفِي سِتْرِ اللهِ الَّذِي لا يُهْتَكُ، وَفِي عَوْنِ اللهِ الَّذِي لا يُخْذَلُ. أَللَّهُمَّ أَعْطِفْ عَلَيْنَا قُلُوبَ عِبَادِكَ وَإِمَائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ بِرَأْفَةٍ مِنْكَ وَرَحْمَةٍ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. حَسْبِيَ اللهُ وَكَفَى، سَمِعَ اللهُ لِمَنْ دَعَا، لَيْسَ وَرَاءَ اللهِ مُنْتَهَى وَلا دُونَ اللهِ مَلْجَأٌ، مَنِ اعْتَصَمَ بِاللهِ نَجَا، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، ﴿..فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، ﴿..وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَٰٓدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ..﴾، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ. تَحَصَّنْتُ بِاللهِ العَظِيمِ وَاسْتَعْصَمْتُ بِالحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَرَمَيْتُ كُلَّ عَدُوٍّ لَنَا بِلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ».

لا يخلو الزّمانُ من حُجَّة
وجودُ الوصيّ لطفٌ من الله بالعباد

السّيّد عبد الله شُبَّر رحمه الله

مقتطف من كتاب (السّلوك إلى الله) للعلّامة السّيّد عبد الله شبّر رحمه الله، في إثبات وجود الحجّة، وأنّه ترجمانٌ للوحي النّبويّ، لُطفاً من الله تعالى بعباده حذرَ أن تتفرّق بهم سبلُ الحيرة والشّكّ بعد انقضاء الوحي، مضافاً إلى ما يحكمُ به العقلُ والنّقلُ من وجوب عصمة الحجّة الوصيّ، وكمالِ المجانسة بينَه وبين النّبيّ، خلا النّبوّة.

حيث إنَّ للهِ الحُجَّةَ البالغةَ، [كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ..﴾ الأنعام:١٤٩]، فلا يخلو الزّمانُ من حُجَّةٍ، وإلّا لساختِ الأرضُ بأهلها، و[الحُجج] هم الأنبياء والأوصياء. وكيف يُتصوَّر أنْ يتركَ اللهُ عزَّ وجلَّ الخَلقَ سُدًى، أو يَكِلَهُم إلى عقولهم النّاقصة، وأهوائِهم الباطلة؟

فَمَن لم يترك الجوارح والحواسّ حتّى جعل لها رئيساً يصحّح لها الصّحيح، ويُعيِّن لها ما شكّت فيه، وهو القلب والرّوح، كيف يتركُ الخَلقَ في حَيرتهم، وشكّهم، وضلالتِهم، لا يُقيم لهم حُجّةً هادياً يَردّون إليه شكّهم وحَيرتهم؟

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ..﴾ الحديد:٢٥، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة:٢.

دليلُ الاضطرار إلى أوصياء الأنبياء

كلُّ ما دلَّ على وجوب إرسال الرُّسُل والاضطرار إليهم، يدلُّ على وجوب نصبِ الإمام. إذ الاحتياجُ إلى الحُجّة غيرُ مُختصٍّ بوقتٍ دون آخر، وفي حالةٍ دون أخرى، ولا يكفي بقاءُ الكُتُب والشّرائع من دون قيّمٍ لها، عالمٍ بها، إذ فيها المُحكَم والمتشابَه، والمُجمَل والمُؤوَّل، والنّاسخ والمنسوخ، والتّحريف والتّصحيف؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ..﴾ آل عمران:٧.

وكيف يُحيل اللهُ جميعَ الخَلقِ مع تشتُّتِ أهوائهم، واختلافِ أفهامهم على كتابٍ فيه المُجمَل والمُتشابه، وسُنَّتُه [سُنّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله] كذلك، بلا رئيسٍ ولا قيّمٍ؟ وكيف لا يجوزُ للخَلقِ تعيينُ الأنبياء ويجوزُ لهم تعيينُ الأوصياء، وهما من بابٍ واحدٍ لا تفي العقول بمعرفتهما؟

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ..﴾ القصص:٦٨، وقال تعالى: ﴿..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا..﴾ المائدة:٣، ونصبُ الإمام من أعظم أركان الدّين، فيجب وقوعه قبل نزول الآية كما تواترت به الأخبار.

وقال تعالى: ﴿..مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ..﴾ الأنعام:٣٨، وقال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿..وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الأنعام:٥٩، فلا بدَّ من قيّمٍ يعرفُ جميع ذلك، ومن كون الإمامة فيه الّتي هي من أهمّ الأشياء، وقال تعالى: ﴿..أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ..﴾ النساء:٥٩، فلا بدَّ من وجود أولي الأمر الّذين تَجِبُ طاعتُهم.

[عن أبي هريرة]: «قال رسول الله، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ونحن جلوسٌ ذات يوم: **والّذي نفسي بيدِه، لا يزول قدمٌ عن قدمٍ يوم القيامة حتّى يَسألَ اللهُ الرّجُلَ عن أربعٍ: عن عمرِه فيما أفناه، وعن جسدِه فيما أبلاه، وعن مالِه ممَّا كسبَهُ، وفيمَ أنفقَه، وعن حبِّنا أهلَ البيت**، فقال له عمر: يا نبيَّ الله، ما آيةُ حبِّكم؟ فوضع يدَه على رأسِ عليٍّ، وهو جالسٌ إلى جانبه، وقال: **آيةُ حبِّي حبُّ هذا مِن بَعدي**».

وإنّهم بمنزلة الوصول؛ ولذا لم يفصل بينهما بالفعل لِكمال المجانسة. على أنَّ وجودَ الإمامِ لطفٌ من الله بعباده، إذ به يجتمعُ شملُهم، ويتّصل حبلُهم، وحاشا لله أن يتركَ اللّطفَ وهو لطيفٌ بعباده؛ فلا بدَّ من وجود الحجّة؛ إمّا ظاهرٍ مشهورٍ، أو غائبٍ مستورٍ، فإنّما على الله [من باب أنّه تعالى أوجبَ على نفسه] إيجادُ الإمام للرّعيّة؛ ليجمعَ شمْلَهم، فإذا لم يُمكّنوه [أي لم يُطيعوه] من ذلك لعدم قابليّتهم ولسوء استعدادِهم وشقاوتِهم، فما على الله بعد ذلك من حجّة، حيث قال تعالى: ﴿..فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ التوبة:٧٠.

وجوبُ عصمة الحُجّة

وينبغي أن يكون الحُجّة منزّهاً عن كلّ ما يدنّسُه ويُشينه من الصّفات والأخلاق الذّميمة. ويجبُ أن يكون معصوماً؛ لأنّ فائدته تسديدُ النّاس، وهدايتُهم، وإرشادُهم، وإلّا لَضَلَّ كما ضلُّوا، وذلَّ كما ذلُّوا، وافتقرَ إلى غيره. وكيف يصدرُ الذّنبُ منه وأصولُ الذّنوبِ مُختصرةٌ في أربعة: الحرص، والحسد، والغضب، والشّهوة؟

وكيف يكون الحجّةُ حريصاً على الدّنيا وهي تحتَ خاتمه؟

وكيفَ يكون يكون حسوداً والإنسانُ إنّما يحسد مَن فوقه؟ وليسَ فوقه أحدٌ.

وكيف يغضبُ لشيءٍ من أمور الدّنيا وإنّما خُلِقت لأجلِه؟ وإنّما يكون غضبُه لله في الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وإقامة الحدود.

وكيف يتّبعُ الشّهوات، ويُؤثِرُ الدّنيا على الآخرة وقد حبَّبَ اللهُ إليه الآخرة؟ فهو ينظرُ إليها كما ينظرُ إلى الدّنيا. وكيف يَعدل عن النّعيم الدّائم إلى الزّائل، وعن الذّهب الباقي إلى الخزف الفاني، مع مشاهدته كِلا الأمرَين؟

وما ورد في الكتاب والسُّنّة من نسبةِ الذّنوب إلى الأنبياء فله محاملُ صحيحة، أقربها أنّهم، عليهم السّلام، لمّا كانوا مستغرقين في طاعة الله، إذا اشتغلوا بالمباحات زيادةً على الضّرورات عَدُّوا ذلك ذنباً في حقّهم؛ «**فإنَّ حسناتِ الأبرار سيّئاتُ المقرّبين**». وهم أفضلُ من الملائكة. ولذا أمر اللهُ تعالى الملائكةَ بالسّجود لآدم، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ آل عمران:٣٣. ولا أعلمُ خلافاً في أنّ عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرين ألف نبيّ، ولكلّ نبيٍّ منهم وصيٌّ. وسادةُ الأنبياء خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد ﷺ، وهم أولو العزم، وهم الّذين عليهم دارت الرّحى، وهم أصحابُ الشّريعة، وكلّهم جاؤوا بالحقّ من عند الحقّ. أمرُهم أمرُ الله، وطاعتُهم طاعةُ الله، ومعصيتُهم معصيةُ الله، لا ينطقون إلّا بوحيٍ من الله؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ النّجم:٣-٤، ومحمّدٌ ﷺ سيّدهم، وأفضلُهم، وخاتَمُهم، لا نبيَّ بعدَه، ولا نَسْخَ لشريعتِه؛ قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب:٤٠، ولقد ضبطْتُ من معاجزه صلّى الله عليه وآله ألفَ معجزة [في كتاب حقّ اليقين للمؤلّف]. ولقد كانت أقوالُه، وأفعالُه، وأحوالُه كلّها معجزاتٍ باهرات، وآياتٍ قاهرات. وكفى بكتاب الله معجزاً عظيماً، وبرهاناً ناجياً باقياً مدى الدّهر بين الخَلق.

وليس لنبيٍّ معجزةٌ باقيةٌ «..» فقد تحدّى به بُلغاءَ العرب، وفصحاءَهم، وهو ينادي: ﴿..فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ هود:١٣، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ البقرة:٢٣. اعترفوا بالعجز. ونادى بينهم معلناً: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء:٨٨، فكان – وما يزال – كذلك....

امتناعُ جواز تعيين الأنبياء من قبل الخَلْق، دلَّ على امتناعِه في تعيين الأوصياء من قِبَلِهم.

لا يكفي بقاءُ الكُتُب والشّرائع من دون قيّمٍ لها، عالمٍ بها، إذ فيها المُحكَم والمتشابَه، والمُجمَل والمُؤَوَّل، والنّاسخ والمنسوخ...

صلاةُ الاستسقاء
كيفيّتُها، ومُستَحبّاتُها

الإمام الخمينيّ قدس سره

الاستسقاء هو طلب السُّقيا، وهي [صلاة الاستسقاء] مستحبّةٌ عند غَور الأنهار وفتور الأمطار، ومنْع السّماء قطرَها لأجل شيوع المعاصي، وكُفران النّعم، ومنع الحقوق، والتّطفيف في المكيال والميزان، والظّلم، والغدر، وترْك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ومنع الزّكاة، والحُكم بغيرِ ما أنزلَ الله، وغير ذلك ممّا يُوجب غضبَ الرّحمن الموجبَ لحبسِ الأمطار، كما في الأثر.

كيفيّة الصّلاة

وكيفيّتها كصلاة العيدَين: ركعتان في جماعة، ولا بأس بالفُرادى رجاءً، يقرأ في كلٍّ منهما (الحمد) وسورة، ويكبّر بعد السّورة في الأولى خمسَ تكبيرات، ويأتي بعد كلّ تكبيرة بقنوتٍ، وفي الثّانية أربع تكبيرات، يأتي بعد كلّ تكبيرة بقنوتٍ، ويُجزي في القنوت كلُّ دعاء، والأَوْلى اشتمالُه على طلب الغيث والسّقي، واستعطاف الرّحمن بإرسال الأمطار وفتح أبواب السّماء بالرّحمة، ويقدّم على الدّعاء الصّلاةُ على محمّدٍ وآله عليهم الصّلاة والسّلام.

ومسنوناتُها أمور:

* منها الجهرُ بالقراءة، وقراءةُ السّوَر الّتي تُستحبّ في العيدَين. [الشّمس، والأعلى، والغاشية]

* ومنها أن يصوم النّاس ثلاثة أيّام، ويكون خروجُهم يوم الثّالث، ويكون ذلك الثّالث يوم الاثنين، وإن لم يتيسّر فيوم الجمعة لشرفِه وفضله.

* ومنها أن يخرج الإمام ومعه النّاسُ إلى الصّحراء في سكينةٍ ووقارٍ وخشوعٍ ومسألةٍ، ويتّخذوا مكاناً نظيفاً للصّلاة، والأَوْلى أن يكون الخروج في زيٍّ يجلبُ الرّحمة، كَكَوْنهم حفاةً."..."

* ومنها ما ذكره الأصحابُ من أن يُخرجوا معهم الشّيوخَ والأطفال والعجائز والبهائم، ويفرَّق بين الأطفال وأمّهاتهم ليُكثروا من الضّجيج والبكاء، ويكون سبباً لدَرّ الرّحمة، ويمنعون خروج الكفّار كأهل الذّمة وغيرهم معهم.

أحكامها

مسألة ١: الأَولى إيقاعُها وقتَ صلاة العيد، [من طلوع الشّمس إلى الزّوال]، وإن لا يبعد عدمُ توقيتِها بوقتٍ.

مسألة ٢: لا أذانَ ولا إقامةَ لها، بل يقول المؤذّن بدلاً عنهما: «**الصّلاة**» ثلاث مرّات.

مسألة ٣: إذا فرغ الإمام من الصّلاة حوّل ردائَه استحباباً؛ بأن يجعل ما على اليمين على اليسار وبالعكس، وصعدَ المنبر، واستقبل القبلة، **وكبّر مائة تكبيرة رافعاً بها صوتَه**، ثمّ التفت إلى النّاس عن يمينه **فسبّحَ الله مائة تسبيحة رافعاً بها صوته**، ثمّ التفت إلى النّاس عن يساره **فهلّل اللهَ مائةَ تَهليلة رافعاً بها صوته**، ثمّ استقبل النّاس **فحمدَ الله مائة تحميدة، ولا بأس برفعِ الصّوت فيها أيضاً**، كما لا بأس بمتابعة المأمومين الإمامَ في الأذكار "..." ثمّ يرفع الإمام يدَيه ويدعو، ويدعو النّاس ويبالغون في الدّعاء والتّضرّع والاستعطاف والابتهال إليه تعالى، ولا بأس أن يؤمّن النّاسُ على دعاء الإمام، ثمّ يخطبُ الإمام ويبالغُ في التّضرّع والاستعطاف، والأَوْلى اختيارُ بعضِ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام، كالواردة عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ممّا أوّلها «**الحمدُ لله سابغ النِّعَم... إلخ**». "..."

مسألة ٤: كما تجوز هذه الصّلاة عند قلّة الأمطار، تجوزُ عند جفاف مياه العيون والآبار.

مسألة ٥: لو تأخّر الإجابة، كرّروا الخروجَ حتّى يدركَهم الرّحمةُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى، ولو لم يُجبهم فلِمصالحَ هو تعالى عالمٌ بها، وليس لنا الاعتراضُ ولا اليأسُ من رحمة الله تعالى، ويجوز التّكرارُ متّصلاً والاكتفاءُ بصوم الثّلاثة، وغير متّصلٍ مع صوم ثلاثة أيّام أخَرَ يأتي بها رجاءً، بل يأتي بالتّكرار أيضاً رجاءً.

(تحرير الوسيلة: ج ١/ ص ٢٤٥)

سورةُ القدر، حِرزٌ ودواء

النُّورُ الّذي يسعى بين يدَي المؤمن

إعداد: «شعائر»

عن الإمام الباقر عليه السّلام: «كان عليٌّ عليه السّلام إذا رأى أحداً من شيعته، قال: رَحِمَ اللهُ مَنْ قَرَأَ (إنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ)».

مجموعة من الأحاديث الشّريفة في فضل قراءة سورة القدر، مُنتخبةٌ من (الكافي) للشّيخ الكلينيّ، و(البحار) للعلّامة المجلسيّ، وتفسير (البرهان) للمحدِّث البحرانيّ، و(فضائل القرآن الكريم) للنّجف آباديّ.

* رسولُ الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «مَنْ قَرَأَ هذه السُّورة، كانَ لهُ مِن الأجْرِ كَمَنْ صَامَ شَهْرَ رَمَضانَ، وإنْ وَافَقَ لَيلَةَ القَدْرِ، كانَ لَهُ ثَوابٌ كَثَوابِ مَنْ قاتَلَ في سَبيلِ اللهِ..».

* وعنه صلّى الله عليه وآله: «مَنْ قَرَأَها كانَ لَهُ يومَ القِيامَةِ خيرُ البَرِيَّةِ رَفيقاً وصاحِباً..». [ورد في إحدى زيارات السيّدة الزّهراء عليها السّلام: «السَّلامُ عَلَيكِ يا بنتَ خيرِ البَرِيَّة». وعدَّ الشّهيدُ الأوّل من أحكام الإيمان الاعتقادَ بأنّ رسول الله وآله الأطهار هم خير البريّة]

* الإمام الباقر عليه السلام: «مَن قَرأ (إنَّا أَنْزَلْناه فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) يَجهرُ بها صَوتَهُ، كان كَالشَّاهِرِ سَيْفَهُ في سَبيلِ اللهِ، ومَنْ قَرَأَها سِرّاً كانَ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ في سَبيلِ اللهِ، ومَنْ قَرَأَها عَشْرَ مرّاتٍ غُفِرَ له على [نحو] ألفِ ذنبٍ مِن ذُنُوبِه».

* الإمام الصّادق عليه السلام: «النُّورُ الَّذي يَسعى بينَ يَدَي المؤمن يومَ القِيامةِ نورُ (إنَّا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةِ القَدْرِ)».

في الفرائض، وعند النَّوم

* الإمام الصّادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ (إنَّا أَنْزَلْناه فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) في فَريضةٍ مِن فرائضِ اللهِ، نادى مُنادٍ: يا عَبْدَ اللهِ، غَفَرَ اللهُ لَكَ ما مَضَى، فَاسْتَأْنِفِ العَمَلَ».

* وعنه عليه السّلام: «مَنْ قَرَأَها بعدَ عشاء الآخرة خمسَ عشرة مرّة، كانَ في أمانِ اللهِ إلى تلك اللّيلة الأُخرى، ومَنْ قَرَأَها في كلِّ ليلةٍ سبعَ مرّات أَمِنَ في تلك اللَّيلةِ إلى طُلوعِ الفَجْر..».

* الإمام الجواد عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ (إنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ) بعدَ العَصرِ عَشْرَ مرّاتٍ، مرّتْ له على مثل أعمال الخَلائق يوم القِيامَة».

* الإمام الكاظم عليه السلام: «يُستحبُّ أنْ يَقْرَأَ الإنسانُ عندَ النَّوم إحدى عشرة مرّة (إنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ)».

عُوذةٌ، وحفظٌ، وشفاءٌ

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «..ومَنْ قَرَأَها على بابِ مَخْزَنٍ سَلَّمَهُ اللهُ تعالى مِنْ كُلِّ آفَةٍ وسوءٍ إلى أنْ يُخْرِجَ صاحبُهُ ما فِيه».

* وعنه صلّى الله عليه وآله: «..وإنْ كُتِبَت في إناءٍ جديدٍ، ونَظَرَ فيهِ صَاحِبُ اللَّقْوَةِ شَفَاهُ اللهُ تعالى».

* الإمام الصّادق عليه السلام: «.. ومَنْ قَرَأَها على ما يَدَّخِرُ ذهباً أو فضّة أو أثاث، بارك اللهُ فيه من جميع ما يَضُرُّه، وإنْ قُرِئَتْ على ما فيه غلّةٌ نَفَعَهُ بإذنِ اللهِ تعالى».

* وعنه عليه السّلام في العوذة: «تَأخُذ قُلَّةً [أي جرّة] جَديدَةً، فتَجْعَلُ فيها ماءً، ثُمَّ تَقرأ عَليها: (إنَّا أَنْزَلْناه فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) ثلاثين مرّة، ثمّ تُعَلَّق وتَشْرَبُ مِنْهَا وتَتَوَضَّأ، ويَزْدَادُ فيها ماءً إنْ شاءَ».

يوم الجمعة

* الإمام الكاظم عليه السلام: «إنَّ للهِ يومَ الجمعةِ ألفَ نفحَةٍ من رحمتِه، يُعطي كلَّ عبدٍ منها ما يَشاءُ، فمَن قرأ (إنَّا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةِ القَدْرِ) بعد العَصرِ يوم الجمعة مائة مرّة، وَهَبَ اللهُ لهُ تلك الألف ومثلَها».

عندَ قبر المؤمن

* الإمام الرّضا عليه السلام: «مَنْ أَتَى قَبْرَ أخيه المؤمن من أيِّ ناحِيةٍ، يَضَعُ يَدَهُ [على القبر]، وقَرَأَ (إنَّا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةِ القَدْرِ) سبع مرّات، أَمِنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَر».

حوار مع سماحة السّيّد عبد الكريم الحسينيّ القزوينيّ:

* مودّةُ أهلِ البيت، واجبٌ أَجمعَ عليه المسلمون

* تعميقُ الإسلام في النّفوس، يقضي على الأهداف الصّهيونيّة

إعداد: أسرة التّحرير

*** السّيّد عبد الكريم الحسينيّ القزوينيّ، وُلد في النّجف الأشرف سنة ١٩٤٠م، وفي سنة ١٩٥٩م انتسب إلى «كلّيّة الفقه»، وحَضَرَ دروس المرجع الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر قدس سره.**

*** هذا الحوار مختصَر عن اللّقاء الذي أجرته معه مجلّة «العتبة الحسينيّة»، في شهر تمّوز من العام الفائت.**

س: كيف تقيّمون الواقع الإسلاميّ لدى الجماهير الغربيّة والعالميّة بشكلٍ عامٍّ، قبل معرفتهم بمذهب أهل البيت عليهم السّلام وبعده؟

هناك تَشويهاتٌ بثَّها بعض المُغرضين الذين يريدون التّأخُّر للإسلام والمسلمين، ومن هؤلاء الغربُ عموماً، وأوروبّا والولايات المتّحدة والصّهيونيّة خصوصاً، الّذين استاؤوا من قيام النّهضة الإسلاميّة الشّيعيّة في العصر الحديث، وكيف أنّ رجلاً مثل الإمام الخمينيّ قدّس سرّه لا يملك جيشاً، ولا سلاحاً، ولا مالاً، استطاع أنْ يُسقِطَ أكبر الإمبراطوريّات في الشّرق الأوسط، ويُقيم مكانها دولةً تريدُ أن تسيرَ على نهج الإسلام الصّحيح. وأحدَثَت دويّاً في العالم وتيّاراً أيقظ الشّعوب الإسلاميّة، فراح يفكّر هذا الغرب كيف يشوّه هذا الإسلام، وقد صرّحت بذلك بعض القنوات التّلفزيونيّة الغربيّة قبل عشرين سنة أو أكثر، بأنّ الإسلام انتشر في أوروبّا انتشاراً هائلاً، وأصبحت ديانةُ الإسلام هي الثّانية في أميركا وأوروبّا بعد المسيحيّة.

هؤلاء الأوروبّيّون قد هالَهُم هذا الأمر وعقدوا المؤتمرات من أجل إيقاف هذا الزّحف الإسلاميّ، لأنّهم وصلوا إلى اعتقادٍ أنّه لو بقي هذا الزّحف الإسلاميّ على زخمِه هذا، ولمدّة خمسين سنة، ربّما يصبح الدِّينَ الأوّل في العالم، فراحوا يفكّرون في كيفيّة تشويه صورة الإسلام، ومن ضمن برامجهم استَأجروا أُناساً لا يَمتُّون إلى الإسلام وفكره وعقيدته بِصِلةٍ، وطلبوا منهم أن يتزيّوا

سماحة السّيّد عبد الكريم الحسينيّ القزوينيّ

بزيّ الإسلام، ولم يأخذوا من الإسلام إلّا لحيةً طويلةً، أو ثوباً قصيراً، أو ما شابه ذلك. وقاموا بأعمالٍ إجراميةٍ حيث أخذوا يفجّرون المساجد والعتبَات المقدّسة، ويقتلون الآلاف من النّاس في الشّوارع، من أجل تشويه سمعة الإسلام، والإسلام بريءٌ من كلّ أفعالهم، وهذا دستوره يقول: ﴿..مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا..﴾ المائدة:٣٢، وقال الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**مَنْ أَعانَ على قتلِ مؤمنٍ بِشَطرِ كلمةٍ، لَقِيَ اللهَ عزَّ وجلَّ مكتوبٌ بين عينَيه: آيِسٌ مِن رحمةِ الله**». فهذه الأعمال الشّنيعة والجرائم الفظيعة لا تمتّ إلى الإسلام بصِلةٍ، وراح الغرب يستغلّ هذه الظّروف ويحاول أن يعطي صورةً سيّئةً عن الإسلام والمسلمين، خوفاً من انتشار المدّ الإسلاميّ بما يمثّله من خطرٍ كبيرٍ على المخطّطات التّوسّعيّة والاستعماريّة، في أميركا وأوروبّا.

س: هل كان لمواقع المرجعيّة الدّينيّة في مختلف ميادين الحياة، دورٌ في تصحيح الصّورة المشوَّهة عن الإسلام لدى الغرب؟

المرجعيّة الدّينيّة تمثِّلُ الإسلامَ الحقيقيّ، الّذي يَستندُ إلى أبنائه المخلصين من العلماء الرّاسخين في العلم، سواءٌ كانوا من علماء شيعة أهل البيت عليهم السلام ومراجعِهم، أو من بعض المذاهب المعقولة، الّتي تعطينا مفهوماً إسلامياً صحيحاً.

ولهذا فإنّنا نرى الشّيخ المفيد، والسّيّد المرتضى، والشّيخ الطّوسيّ، والعلّامة الحلّيّ، أعلى الله مقامهم، وإلى يومِنا هذا، من أمثالِ السّيّد محسن الحكيم، والإمام الخمينيّ، والشّهيد محمّد باقر الصّدر، قدّس الله تعالى سرَّهم، وهم كانوا يخاطبون المسلمين بجميع المذاهب الإسلاميّة، فهؤلاء مراجعنا لا يفرّقون بين مذهبٍ وآخَرَ، وإنّما يعطون الصّورة الصّحيحة للإسلام، لأنّهم أهلُ الإسلام وحَمَلةُ العلوم الإسلاميّة، وهم أهل التّقوى والإيمان، ونسألُ اللهَ أن يحفظ الباقين منهم ويأخذ بأيديهم إلى ما فيه الخير والصّلاح، فقد استطاعوا أن يُظهروا صورة الإسلام الحقيقيّة وأن ينقذوا الإسلام والمسلمين من الفِتَن والأهواء.

أثار الإمام الخمينيّ حفيظةَ الغرب عندما أسقط أكبر إمبراطوريّة في الشّرق الأوسط بكلمة الإسلام ومن دون جيش أو سلاح.

س: ما الّذي يحتاج إليه العالَمُ الإسلاميّ ليأخذ مساحتَه الفكريّة الحقيقيّة في العالم؟

إنَّ العالَم الإسلاميَّ يحتاج اليوم إلى رجوعِنا رجوعاً حقيقيّاً علميّاً بعيداً عن الأهواء، إلى كتاب الله والسُّنّة النّبويّة؛ فاللهُ تبارك وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ..﴾ النّساء:٥٩. فبالرُّجوع إلى الله والرّسول نضمنُ النّجاحَ والرُّقيّ، فنحن إذا أخذنا بالكتاب والسُّنّة النّبويّة الحقيقيّة سَتَزول الخلافات والفوارق، وتزول العصبيّات وما شابه ذلك، وأمّا إذا بقينا نتعصّب لفكرةٍ ما، أو لعالِمٍ ما، مثل ما يتعصَّب الوهّابيّة لبعض الأفكار البعيدة عن الإسلام، والّتي لا تستند إلى القرآن والسُّنّة النّبويّة، وإنّما إلى حقدٍ وكراهيةٍ وأهدافٍ دفينةٍ لتشويه سُمعة الإسلام، فإذا أخذنا الإسلام بواقعه فإنّنا سنبتعد عن الكثير من المتاهات، وتكون العزّةُ لله ورسولِه وللمؤمنين إن شاء الله.

يتخوّف الغربيّون من أن يُصبح الإسلام الدّيانة الأولى في العالم بعد عشرات السّنين.

س: هل تجدون قصوراً في ميدان الإعلام الإسلاميّ لترويج المفاهيم الإسلاميّة، وماذا تقترحون في هذا المجال؟ وكيف يمكنُ القضاء على اختلاف وجهات النّظر؟

لا شكَّ في أنّ الإعلام الإسلاميّ قد أخذ مجالَه في الفترة الأخيرة، ولكن ليس إلى الحدّ المطلوب، وعلينا أنْ نجتهد في سدّ ما يمكن أن يكون تقصيراً، وأنْ نملأ كلّ الفراغات في المجالات العقائديّة والفكريّة، وأنْ نستفيد من الشّارع، والسّينما، والتّلفزيون، والأفلام الهادفة الحقيقيّة، ونستفيد من الكُتُب الواقعيّة، فلا ندع منفذاً يلج منه الأعداء الهادفون إلى تشويه صورة الإسلام.

وكذلك علينا أنْ نُجنِّد الإعلام للقضاء على الاختلاف في وجهات النّظر بالرّجوع إلى كتاب الله والسُّنّة النّبويّة، وعدم حصر المصادر الإسلاميّة بشخصٍ أو بشخصَين، كما فعل البعضُ حينما قيّدوا أنفسهم بمحمّد بن عبد الوهّاب، وبابن تيميّة، وتركوا ما سواهما.

س: على مدى قرونٍ عدّة وإسفينُ الفرقةِ في العالم العربيّ الإسلاميّ تتنامى جذورُه، ما هي برأيكم أسباب ذلك؟ وكيف يمكن تجاوزُ هذه العقبة؟

هذا هو هدفُ أعداء الإسلام؛ أن يثيروا المشاكل في ما بين المسلمين وأن يفرّقوهم إلى كُتَلٍ وجماعات، وأهدافٍ وغاياتٍ مختلفة، من أجل أن يوجّهوا ضربتهم القويّة للإسلام والمسلمين، ولكنَّ المسلم إذا تعمّق إسلامُه في نفسه بفهمه لقرآنه وسنّةِ نبيِّه، الدّاعيَيْن إلى الوحدة والاتّحاد: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ..﴾ آل عمران:١٠٣، ستكون الوحدة في ما بين المسلمين على مستوى أهدافهم وعقائدهم، وتكون يدُهم هي العليا على يد الأعداء، ويسدّون المنافذ الّتي تدخل منها الصّيهونيّة الرّاميَة لتفريق المسلمين، كي تُحقّقَ أهدافها السّيّئة في عالمنا الإسلاميّ، وإنّ تجاوز هذه العقبة لا يكون إلّا بالاتّحاد بين المسلمين، وأن نكون فوق مستوى الأعداء لنستطيع أن نبطلَ مخطّطاتهم.

المرجعيّة الدّينيّة -قديماً وحديثاً- تُمثّلُ الإسلام الصّحيح، ومراجعُنا يتوجّهون بخطابهم إلى جميع المذاهب الإسلاميّة من غير تفرقة.

س: يُلاحَظ عبر التّاريخ أنّ الدّعوات الشّاذّة، والبعيدة عن المنهج الإسلاميّ الحقيقيّ، تَجدُ لها صدًى ورواجاً في أوساط الجماهير وبخاصّةٍ الإسلاميّة، فيما نجد العكسَ بالنّسبة إلى تأثير الدّعوات الحقّة، الّتي قد تصادف ردَّ فعلٍ عنيفٍ أحياناً، فما هي أسباب هذه الحالة؟

هذا الأمرُ ليس غريباً؛ فأعداء الإسلام يقفون بكلّ ما أُوتوا من قوّةٍ أمام الفكر السّليم الّذي يوحّد الأمّة، فهم يسعون دائماً أن يعكّروا الجوّ، ويقفوا ضدّ الفكر السّليم.

ولكن إذا تنبّه المسلمون إلى هذا الخطر، ووحّدوا صفوفَهم، ووقفوا أمام هذه التّحرُّكات المغرضة الّتي جاءت في الواقع من خارج البلاد من أجل تفريق المسلمين، وإذا وقفنا وقفةَ رجلٍ واحدٍ أمام هذه التّحرُّكات العدوانيّة، نستطيع أن نوحّدَ الأمّة على هدفٍ واحدٍ، وفكرٍ واحدٍ، ورسالةٍ واحدةٍ.

وفي واقع الحال لا يوجد فكرٌ شاذٌّ ليلتفَّ الجماهيرُ حوله، ولكنّ من الطّبيعيّ أنّ العدوَّ حينما يعرض فكرةً من الأفكار، لا بُدّ أنْ يعطيَها الأُطُر المقبولة، وهذا واحدٌ من مخطّطاته، ولكنّ إذا كان المسلمُ واعياً ويفهم ما يريده الأعداء، فلن تَنطَلِيَ عليه ألاعيبُهم هذه. ومن المتعارف عليه أنّ كلّ شخصٍ يعرض بضاعتَه ويضع برنامجاً للتّرويج لها، وهذا الشّيء طبيعيٌّ، ونحن، كمسلمين، يجب أن نتنبّه فلا نقع فريسةً لمخطّطات الأعداء. وبحمدِ الله فإنَّ الصّحوة الإسلاميّة أخذَت مجالها، سواء في العراق أو في غيره، بعكس ما كان في ستّينيّات القرن الماضي؛ إذ كانت الصّحوة الإسلاميّة ضعيفةً، والأفكار المنحرفة كالماركسيّة والعفلَقيّة هي السّائدة، والمثقَّف أرادت منه بريطانيا، المُسيطرة على العراق آنذاك، أن يبتعد عن الإسلام والمعتقدات الإسلاميّة.

«مَنْ أعانَ على قتلِ مؤمنٍ بِشَطرِ كلمةٍ، لَقِيَ اللّهَ عزَّ وجلَّ مكتوبٌ بين عينَيه: آيِسٌ من رحمةِ اللّه».

الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله

وكان الخرّيجون من الثّانويّة حينها هم في الغالب من الماركسيّين والبعثيّين، لذلك لا نجد في تلك الحقبة إلّا القلّة من الشّباب الإسلاميّ المثقَّف، ولكن بفضل المراجع والعلماء الأعلام، ومنهم السّيّد محسن الحكيم، والسّيّد محمّد باقر الصّدر، وغيرهم ممَّن تصدّوا لهذه الهجمة الشّرسة بكُتبهم وبياناتهم، استطاعوا أن يغيّروا في هذه الأمّة، وأصبح القرآن هو شعار الأمّة، وأصبح الشّباب، بمختلف طبقاتهم، من المؤمنين الصّادقين في وجدانهم وشعاراتهم، لأنَّ الأطروحة الإسلاميّة هي الأطروحة النّاجحة ونحن نفتخر بهذا الشّيء، ولكن يجب أن نتوحّد في أهدافنا وبرامج دعوتنا، وأن لا نجعل الأمور الجزئيّة تفرّق بيننا.

س: بين فترةٍ وأخرى تظهر تصريحات لبعض القادة الإسلاميّين المحسوبين على العامّة، يَدْعُون إلى إنصاف مذهب أهل البيت عليهم السلام، بل واعتناقه أيضاً، فهل تَرَوْنها صحوةً، أم نتيجةً طبيعيّةً

لمنهج البحث الحقيقيّ البعيد عن المؤثّرات الخارجيّة؟ وهل تشكّل هذه الظّاهرة دعوةً للباحثين الإسلاميّين إلى جدّيّة البحث في هذا الاتّجاه؟

إنَّ التّشيُّعَ فريضةٌ إسلاميّةٌ مثل الصّلاة والصّيام، لأنّ الله سبحانه وتعالى حينما قال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ البقرة:٤٣، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ البقرة:١٨٣، وقال جلّ شأنه: ﴿..وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا ..﴾ آل عمران:٩٧، [أيضاً] قال تبارك وتعالى: ﴿..قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ..﴾ الشّورى:٢٣، فجعلَ أجرَ تبليغِ الرّسالة هو المودّة لأهل البيت عليهم السلام، وعندما سُئل الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله عن أهل البيت الّذين أَوْجَب اللهُ علينا مودَّتهم، أجاب: «**هم عليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسَين**»، كما قال صلّى الله عليه وآله: «**مَثَلُ أهل بيتي كَمَثَلِ سفينةِ نُوح، مَنْ رَكِبَ فِيها نَجا، ومَنْ تَخَلَّفَ عنْها غَرِقَ**». فالتّشيُّع فريضةٌ إسلاميّةٌ، فأيّ شخصٍ مسلم يفهمُ الإسلام ويفهمُ القرآن والسُّنّة لا بدّ أن يكون شيعيّاً، ولا بدّ أن يدعو للتّشيُّع، فهل نتصوّر شخصاً يصوم ولا يصلّي؟ أو يصلّي ولا يصوم؟ الجواب: لا يجوز، لأنّ الصّلاة والصّيام واجبة، فكذلك مودّةُ أهل البيت عليهم السلام واجبة، في الكتاب والسّنّة النّبويّة.

خلاصُ المسلمين في عودتهم إلى الكتاب والسُّنّة عودةً حقيقيّةً لا أهواءَ فيها ولا عصبيّات.

وهذا ما نراه اليوم في هذه الفضائيّة أو تلك، من إعلان بعض المشايخ دعوة الحقّ وإثارة الحقيقة الّتي طالما غيّبوها، وأهل البيت عليهم السلام هم وصيّةُ الله ربّ العالمين، ومودّتُهم أجرُ الرّسالة في كتابه الحكيم والسّنّة النّبويّة.

س: خلال دراستكم الحوزويّة الطّويلة، ولقاءاتكم المتكرّرة بالكثير من المراجع والعلماء، ماذا أضافت لكم هذه اللّقاءات والحوارات معهم؟

إنَّ علماءَنا الأعلام غايةٌ في النُّبْل وقمّةٌ في التّواضع، ومراجعُنا هم المربُّون لنا والمشرفون على تعليمنا أثناء دراستنا في الحوزة العلميّة، وكلّ ما عندنا هو ممّا أفاضوا به علينا.

س: قبل الختام، ما هي أهمّ الأمور أو القضايا الّتي لاحظتُم أنّها لم تأخذ حقّها في البحث، فسعيتُم إلى تسليطِ الأضواء عليها والبحث فيها؟

الإسلامُ دينُ الإنسانيّة، وهو بحرٌ من الأفكار المتلاطمة، وأينما غرفْتَ من هذا البحر فستحتاجُ هذه الغَرفة إلى بيانٍ وتفصيلٍ، ولقد وفّقني اللهُ سبحانه وتعالى لكتابة مؤلَّفٍ جديدٍ عن الإمام الحسين عليه السلام بعنوان: (الوثائق الرّسميّة لثورة الإمام الحسين عليه السلام)، ولدينا مؤلّفات كثيرة تُوزَّع – بحمد الله تعالى – في إفريقيا وآسيا وهي تتناولُ مواضيعَ شتّى؛ منها عن التّشيُّع بعنوان: (التّشيُّع هو المذهب الرّسميّ للإسلام بالنّصّ القرآنيّ والسُّنّة النّبويّة)، ولدينا مؤلّفات عن الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشّريف، ردّاً على ما أُثير في بعض الفضائيّات الّتي تشكّك بالقضيّة المهدويّة.

ولنا سلسلة من المؤلّفات بعنوان (لماذا الاختلاف بين المذاهب الإسلاميّة مع وضوح النّصّ القرآنيّ والنّبويّ؟).

مودّةُ أهل البيت عليهم السلام واجبةٌ كوجوب الصّلاة والصّيام والحجّ..

فبحثُنا عن كلّ المسائل الخلافيّة على ضوء القرآن والسّنّة النّبويّة، مثلاً: الأذان كيف كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف كان في زمن الخليفة الأوّل والثّاني وهكذا. وبين الآونةِ والأخرى تظهر مواضيعُ وشُبُهاتٌ تتناولُ الدِّين نهتمّ بالكتابة عنها، ونقوم بواجبنا في التّصدّي لأعداء أهل البيت عليهم السلام، والرّدّ عليهم من خلال كُتُبِهم ومن القرآن الكريم، لكي لا تبقى هذه الشُّبُهات مركوزةً في عقول العامّة والخاصّة، وبه تعالى المُستعان.

شرحُ خطبةٍ لأمير المؤمنين عليه السلام في التّحذير من الدّنيا

النّظر بها، بدلاً من النّظر إليها

ابن ميثم البحرانيّ

«حُفَّت الجنّةُ بالمكاره، وحُفَّت النَّارُ بالشَّهوات». قال أصحابُ المعاني: «وفي ذلك تنبيهٌ على أنّ النّار هي الدُّنيا، ومحبّتُها بعد المفارقة هو سببُ عذابها..».

أوردَ هذه الخطبة الشّيخ كمال الدّين ميثم بن عليّ بن ميثم البحرانيّ (ت: ٦٧٩ للهجرة) في الجزء الثّالث من شرحه على (نهج البلاغة)، فشرحَ مفرداتها ثمّ استخلص منها اثني عشر درساً..

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، ورَاقَتْ بِالْقَلِيلِ وتَحَلَّتْ بِالآمَالِ، وتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، ولَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ. لَا تَعْدُو - إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا والرِّضَاءِ بِهَا - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ: ﴿..كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ الكهف:٤٥. لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً، ولَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، ولَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ، وحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً، وإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ واحْلَوْلَى أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى. لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً، ولَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ. غَرَّارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا. لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى، مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، ومَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ، وزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ. كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا. سُلْطَانُهَا دُوَلٌ وعَيْشُهَا رَنِقٌ، وعَذْبُهَا أُجَاجٌ وحُلْوُهَا صَبِرٌ، وغِذَاؤُهَا سِمَامٌ وأَسْبَابُهَا رِمَامٌ. حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ. مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، ومَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ، وجَارُهَا مَحْرُوبٌ. أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وأَبْقَى آثَاراً وأَبْعَدَ آمَالًا، وأَعَدَّ عَدِيداً وأَكْثَفَ جُنُوداً؟ تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وآثَرُوهَا أَيَّ إِيْثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ، ولَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ، فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ، وأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ ووَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ، وأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ. فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وآثَرَهَا وأَخْلَدَ لَهَا، حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الأَبَدِ. وهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ، أَفَهَذِهِ تُؤْثِرُونَ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا، ولَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا، فَاعْلَمُوا وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وظَاعِنُونَ عَنْهَا، واتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا: ﴿..مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ..﴾ فصلت:١٥، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ، فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وأُنْزِلُوا الأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ، ومِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، ومِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً، ولَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً ولَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً، إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا، وإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا، جَمِيعٌ وهُمْ آحَادٌ وجِيرَةٌ وهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ، وقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ، ولَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ، اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْناً، وبِالسَّعَةِ ضِيقاً وبِالأَهْلِ غُرْبَةً، وبِالنُّورِ ظُلْمَةً. فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ والدَّارِ الْبَاقِيَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿..كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ الأنبياء:١٠٤.

شرح مفرادات الخطبة

أقول: **الحَبْرة**: السُّرور. **والفَجْعَة**: الرّزيّة. **وغوّالة**: أي تأخذُ على غرّة. **وأَوْبَى**: أَمْرَض. **والغَضارة**: طِيبُ العَيش. **وقَوادِمُ الطَّير**: مقاديمُ ريشِ جناحِه. **وأَوْبَقَه**: أَهْلَكَه. **والأُبَّة**: العَظَمَة. **ورَنِق**: كَدر. **ورِمَام**: بالِيَة مُنقطعة. **والمَحْروب**: مسلوبُ المال. **وأَرْهَقَتْهُم**: غَشيَتهم. **وفَدَحَهُ الأمرُ**: اغتالَه وأَثْقَلَه. **والقارِعةُ**: الدّاهيةُ الشّديدة. **وضَعْضَعَتْهُم**: أذلّتهم. **والمَناسِم**: أخفافُ الإبِل. **والسَّغَب**: الجوع. **والأجنان**: جمع جنن، جمع جُنّة وهي السِّتر.

واعلَم أنّ مدارَ هذا الفصل على التّحذير من الدّنيا والتّنفير عنها بذكر مَعايبها، وفيه نُكَتٌ:

فالأُولى: استعار لفظَ الحلاوةِ والخُضرةِ المتعلِّقَين بحسّيّ الذّوق والبصر لِما يروقُ النّفس منها ويلذّ، ووجهُ المشابهةِ المشاركةُ في الالتذاذ به، وإنّما خصَّ متعلّق هذَين الحسَّين لأكثريّة تأديتِهما إلى النّفس، والالتذاذ بواسطتِهما دونَ سائر الحواسّ.

الثّانية: وصفَ الدّنيا بكونها محفوفةً بالشّهوات. وفي الخبر: «**حُفَّتِ الجنّةُ بالمكاره، وحُفَّت النّارُ بالشّهوات**». قال أصحابُ المعاني: وفي ذلك تنبيهٌ على أنّ النّار هي الدُّنيا، ومحبّتُها بعد المفارقة هو سببُ عذابها.

قلتُ [الشّارح ابن ميثم]: إنّ ذلك غير مفهوم من كلامه عليه السّلام، وأمّا معنى الخبر فجازَ أنْ يُرادَ فيه النّارُ المعقولةُ فيكون قريباً ممّا قالوا، وجاز أنْ يُراد بالنّار المحسوسةَ، ويكون المعنى على التّقديرين أنّ النّار إنّما تُدخَلُ بالانهماك في مشتَهيات الدّنيا ولذّاتها، والخروج في استعمالها عمّا ينبغي إلى ما لا ينبغي، فكأنّها لذلك محفوفةٌ ومحاطةٌ بالشّهوات، لا يُدخَل إليها إلّا منها. وأراد بالعاجلة اللّذّاتِ الحاضرةَ الّتي مالتْ القلوبُ إلى الحياة الدُّنيا بسببِها، فأشبَهَت المرأةَ المُتحبّبة بمالِها وجمالِها، فاستُعير لها لفظُ التَّحبُّب، وكذلك قولُه: «**راقتْ بالقَليل**»: أي أعجبت بزينتِها القليلة بالنّسبة إلى متاعِ الآخرة كمّيّةً وكيفيّةً، وكذلك تجلّيها بالآمال الكاذبة المنقطعة وبزينتِها، ممّا هو في نفس الأمر غرورٌ وباطلٌ، فإنّه لولا الغرورُ والغفلةُ عن عاقبتِها لَما زانت في عيون طالبيها.

الثّالثة: استعار لها أوصافَ المُحتالة الخَدُوع؛ وهي كونها غرّارة وغوّالة: أي كثيرةُ الاستغفال لأهلها والخداع لهم، ووَصْفُ السّبع العقور لكونها أكّالةً لهم، وكنّى بالأوّلَين عن كونها كالمخادع في كَونها سبباً لغفلتِهم عمّا خُلِقوا لأجله، بالاشتغال بها والانهماكِ في لذّاتِها، وبالأكّالة عن كَونها كَالسَّبُع في إفنائهم بالموت، وطَحْنِهم تحت التُّراب.

الرّابعة: معنى قوله: **لا تَعْدُو**، إلى قوله [تعالى]: **مقتدراً**؛ أنّ غايةَ صفائها للرّاغبين فيها والرّاضين بها وموافقتها لهم لا يتجاوزُ المَثَل. وهو: أنْ تزهرَ في عيونهم وتروقهم محاسنُها، ثمّ عن قليلٍ تزولُ عنهم فكأنّها لم تَكُن. كما هو معنى المثل المضروب لها في القرآن الكريم ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ..﴾ الكهف:٤٥.

الخامسة: كنّى بالعَبْرَةِ عن الحُزنِ المعاقبِ للسُّرور، وتخصيصُه البطنَ بالسَّرّاء والظّهرَ بالضَّرّاء، يحتملُ أمرَين:

أحدهما: أن يريدَ بطنَ المجَنِّ [المجَنّ هو التّرس] وظهرَه، وذلك من العادة في حال الحرب أَن يَلقى الإنسانُ ظهرَ المجنّ، وفي حال السِّلْم أنْ يلقى المجَنّ فيكون بطنُه ظاهراً. فجرى المثلُ به في حقّ المتنكّرين والمخاصَمين بعد سِلْمٍ. فقيل: قلَّبَ له ظهرَ المجَنّ. كما قال عليٌّ عليه السّلام لابن عبّاس في بعض كُتبِه إليه: «**قلّبتَ لابنِ عمّكَ ظهرَ المجَنّ**». فكذلك استعملَ هاهنا لقاءَها للمرء ببطنِها في إقبالها عليه، ولقاءه منها ظهراً في إدبارها عنه، ومحاربتها له.

الثّاني: يحتمل أن يريدَ بطنَها وظهرَها؛ وذلك أنّ العادةَ في مَن يلقى صاحبَه بالبِشْرِ والسُّرور، أن يلقاه بوجهه وبطنِه، وفي مَن يلقاه بالتّنكير والإدبار، أن يلقى بظهرِه مولّياً عنه، فاستُعير ذلك للدُّنيا، وعُبِّر به عن إقبالها وإدبارها.

السّادسة: وإنّما خصّ منها بالجناح لأنّ الجناح محلُّ التّغيُّر بسرعة، فنبّه به على سرعة تغيُّراتها، وإنّما خصّ الخوفَ بالقَوادم من الجناح لأنّ القوادمَ هي رأسُ الجَناح، وهي الأصلُ في سرعة حركتِه وتغيُّره، وهو في مساقِ ذمِّها والتّخويف منها، فَحَسُنَ ذلك التّخصيص، ومرادُه أنّه وإنْ حصلَ فيها أمنٌ، فهو في محلِّ التغيُّر السّريع، والخوفُ إليه أسرعُ، لتخصيصِه بالقوادم.

السّابعة: «**لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِها إِلَّا التَّقْوَى**»: استثنى ما هو المقصودُ من خلقِ الدُّنيا، وأشارَ إلى وجود هذا النَّوع فيها وهو التَّقوى المُوصِلُ إلى الله سبحانه، وإنّما كانَ من أزوادِ الدُّنيا لأنّه لا يُمكن تحصيلُه إلَّا فيها، وقد سبقتْ الإشارةُ إليه في قوله: «**فَتَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنيا ما تُحْرِزُوْنَ بِهِ أَنْفُسَكُم غَدَاً**». وظاهرُ أنّه لا خيرَ فيها، عداه من أزوادها، لفنائه ومضرّته في الآخرة.

الثّامنة: «**مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُه**»: أي من الزُّهد فيها، وقد عرفْتَ كيفيّةَ الأمانِ من عذاب الله. «**وَمَن استكثر منها استكثَرَ مِمّا يُوْبِقُه**»: وهو مَلَكاتُ السُّوءِ الحاصلةُ عن حبِّ قَيْنَاتها وملذّاتها الفانية، الموجبة للهلاكِ بعد مفارقتِها وزوالِها.

التّاسعة: استعارَ لفظَ «**العذب**» و«**الحلو**» للذّاتها؛ ولفظَي «**الأجاج**» - وهو المالح - و«**الصَّبِر**»، لِما يشوبُ لذّاتها من الكدرِ بالأمراض والتّغيّرات، ووجهُ الاستعارات الاشتراكُ في الالتذاذ والإيلام.

العاشرة: استعار لفظ «**الغذاء**»، وكنّى به عن لذّاتها أيضاً، ولفظ «**السّمام**» له. ووجهُ الاستعارة ما يَستعقبُ الانهماكَ في لذّاتها من الهلاك في الآخرة، كما يَستعقبُه شربُ السُّمّ، و«السّمام»: جمعُ سمّ. ثمّ أعقب التّحذير منها بالتّنبيه على مصارع السّابقين فيها، ممَّن كان أطولَ أعماراً وأشدَّ بأساً، من تغيّراتها وتنكُّراتها لهم، مع شدّة محبّتِهم وتعبُّدِهم لها. والسُّؤالُ على سبيل الإنكار عن دوامِ سرورها لهم وحُسنِ صُحبتِها إيّاهم، وصرّحَ بعدَه بالإنكار بقوله: «**بَلْ أَرْهَقَتْهُم بِالقَوَادِحِ**»، واستعارَ لها لفظَ «**الإرهاق**»، و«**التَّضعْضُع**»، و«**التّعفير**»، و«**الوطء**»، و«**إعانة رَيبِ المَنونِ عليهم**»، وأسندَ إليها أفعال الأحياء، ملاحظةً تشبُّهها بالمرأة المتزيّنة لخداعِ الرّجال عن أنفسِهم وأموالِهم ونحو ذلك.

الحادية عشر: لمّا فرغ من ذَمِّها والتّنفير عنها بتعديد مذامّها، استَفهمَ السّامعينَ على سبيل التّقريعِ لهم عن إيثارهم لها بهذه المذامّ [بعد هذا الذّمّ]، واطمئنانِهم إليها، وحرصِهم عليها. ثمّ عاد إلى ذمِّها مُجمِلاً بقوله: «**فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا**»: أي لِمَن اعتَقَدَ بصُحبتِها، وأنّها مقصودةٌ بالذّات فرَكنَ إليها، فإنّها بذلك الاعتبار مذمومةٌ في حقّه إذ كانت سببَ هلاكِه في الآخرة. فأمّا المتّهِم لها بالخديعةِ والغرور، فإنّه يكونُ فيها على وَجَلٍ منها عاملاً لِمَا بعدها، فكانت محمودةً له، إذ كانت سببَ سعادتِه في الآخرة. ثمّ شرعَ في الأمر بالعمل على وفق العلمِ بمفارقتِها، وذلك أنّ تَرْكَ العمل للآخرة إنّما يكونُ للاشتغال بالدُّنيا؛ فالعالِمُ بضرورة مفارقتِها له، وما أُعِدَّ لِتاركي العمل من العذاب الأليم، إذا نُبِّه على تلك الحال، كان ذلك صارفاً له عنها ومستلزماً للعمل لغيرها، وأكَّد التّنبيهَ على مفارقتها بالتّذكُّر بأحوال المُفارقين لها بعد مفارقتِها المضادّة للأحوال المعتادة للأحياء الَّتي ألِفوها واستراحوا إليها. إذ كان من عادتِهم إذا حُمِلوا أن يُسَمُّوا ركباناً، وإذا نزلوا أن يُسَمُّوا ضِيفاناً، وإذا تجاوروا أنْ يُجيبوا داعيَهُم ويمنعوا عنه الضَّيم، وأن يفرحوا إنْ جادَهُم الغيثُ، ويَقنطوا إنْ قُحِطوا منه، وأنْ يَتزاوروا في التّداني، ويَحلموا عند وجود الأضغان، ويَجهلوا عند قيام الأحقاد، ويخشوا ويرجوا. فسُلِبَت عنهم تلك الصّفات وعُرِفوا بأضداد تلك السِّمات.

الثّانية عشر: «**فَجَاؤوها كَما فَارقوها**»: أي أَشْبَهَ مجيئُهم إليها ووجودُهم فيها وخروجُهم منها يومَ مفارقتِهم لها، ووجهُ الشّبه كونهم حفاةً عراةً، وهو كنايةٌ عن النّفر منها، ودلّ على ذلك استشهادُه بالآية الكريمة.

وموضعُ قوله: «**قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا**»: النّصبُ على الحال. كما انتصبَ «حفاةً عراةً»، والعامل: «فارقوها». ولا يقدّر مثله بعد «جاؤوها» وإن قدّر مثل الحالَين السّابقين. قال الإمام الوبريّ رحمة الله عليه: «فراقُهم من الدُّنيا أنْ خُلِقوا منها، ومجيئُهم إليها أنْ دُفنوا فيها، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ..﴾ غافر:٦٧».

ثمّ قلتُ: وكان الحاملُ لهذا الإمام [الوبريّ] على هذا التّأويل أنّه لو كان مرادُه [أي مُراد الأمير عليه السلام] مجيئُهم إليها هو دخولُهم فيها حين الولادة، مع أنّه في ظاهرِ الأمرِ هو المشبَّه ومفارقتُهم هي المشبَّه به، لانعَكَس الفرضُ. إذ المقصود تشبيهُ المفارقة بالمجيء، وذلك يستلزم كون المشبَّه هو المفارقة، والمشبَّه به هو المجيء. لكن ينبغي أن يعلم أنَّ المشابهة إذا حصلت بين الشّيئَين في نفس الأمر جاز أن يجعلَ أحدهما أصلاً والآخَر فرعاً، وجاز أن يقصدَ أصل المساواة بينهما من دون ذلك. فحمْلُه هنا على الوجه الثّاني أَوْلى من التَّعسُّف الَّذي ذَكَرَه [الوبريّ]. فأمّا الآية فإنّ «مِنْ» فيها لبيان الجنس، فلا تدلُّ على المفارقة والانفعال. وبالله التوفيق.

العُجْب
ما هي حقيقتُه، وهل يُبطِلُ العبادة؟

الفقيه الشّيخ محمّد تقيّ الآمليّ رحمه الله

هل العُجْبُ كالرِّياء، في كَونه مُبطلاً للعبادة مطلقاً، أم لا؟
أو يُفصَل بين المُقارِن منه للعمل، والمتأخِّر عنه؟ فيُقال بالبطلان في الأوّل دون الأخير..؟
في هذا السّياق، كتب أحد أبرز أركان مدرسة الفقيه الكبير السّيّد علي القاضي، الفقيه الشّيخ محمّد تقيّ الآمليّ قدّس سرّهما الشريف في موسوعته الفقهيّة (مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى، ١٢ مجلّداً)، فقال: «الكلامُ في العُجبِ ذو وجوه:

الأوّل: في تحديده:

اِعلم أنَّه عُرِّف [العُجْب] في علم الأخلاق: باستعظامِ النّفس بوَاجديّتها [أي بحيازتها واشتمالها على] ما تراهُ نعمةً ولو لم تكن نعمةً واقعاً، والرّكونِ إليها مع نسيانِ إضافتِها إلى مُنعمِها.

وعن بعضهم: أنَّه إعظامُ النّعمة والرُّكونُ إليها مع إضافتِها إلى المُنعِم، والتّعريف الأوَّل أَوْلى، وإنْ قيلَ برجوع الأخير إليه، كما في (جامع السّعادات).

وأمّا تعيُّنُ الأخير، والرّدُّ على مَن عرَّفه بالتّعريف الأوّل - كما في (مصباح الفقيه) [للشّيخ رضا الهمدانيّ] الرّادِّ على بعض السّادة من معاصريه، حيث يقول: «العُجْبُ في العبادة عبارةٌ عن إعظامِ العبادة، وأمّا رؤيةُ الإنسان نفسَه عظيمةً فهي كِبْرٌ متولِّدٌ من العُجْب، فما ذكره بعضُ السّادة من المعاصرين: من أنّ العُجْبَ بالعبادة [هو] أن يجدَ العاملُ نفسَه عظيمةً بسببِ عملِه، مبتهجةً خارجةً عن حدِّ التّقصير، لا الابتهاجَ بتوفيق الله تعالى وتأييدِه، لا يخلو عن مسامحة» - فلا وجهَ له. [أي لا وجه للرّدّ]

وأنت ترى أنَّ ما ذكره بعضُ السّادة من معاصريه، ذكرَه أكثرُ علماء الأخلاق ولا مسامحةَ فيه أصلاً، بل لعلَّ المسامحةَ في ما أفاده إذ لا معينَ له. وأمّا ما أفاده قدّس سرّه بقوله: «وأمّا رؤية الإنسان نفسَه عظيمةً فهي.. إلخ»، ففيه أنَّ الكِبْرَ كما عرفْتَ يلزمُه لحاظُ المتكبَّر عليه وأرفعيَّتِه عنه، ونفسُ رؤيةِ الإنسان نفسَه عظيمةً لا يكون كِبْراً، إذ يمكنُ مع تلك الرّؤية أن يرى غيرَه أعظمَ منه، فيَخضع عندَه، كما لا يَخفى.

والإدلال: هو العُجْبُ مع توقُّع جزاءٍ عليه، فاستعظامُ النّفس بالنّعمة عُجْبٌ، وهو مع توقُّع الجزاء عليه إدلالٌ، والتّكبُّر هو العُجْبُ مع ملاحظةِ ترفُّعِه على المتكبَّر عليه، ويلزمُه ملاحظةُ المتكبَّر عليه، ومع قطعِ النَّظر عن الغَير لا يحصلُ التّكبُّر، بخلاف العُجْب.

> **في الحديث القدسيّ:**
> **«..أنْذِرِ الصِّدِّيقين ألّا يُعجَبوا بأعمالِهم، فإنَّه ليسَ عبدٌ أنصبُهُ للحسابِ إلّا هَلَكَ».**

الثّاني: في ذكر ما ورد في ذمّه من الكتاب والسُّنّة:

فمن الكتاب قولُه تعالى: ﴿..وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف:١٠٤، فإنّه كما يشمل ما إذا كان المُعْجَبُ بحُسنِ عمله مخطئاً في حُسْنِه، كذلك يشمل ما إذا كان مُصيباً في حُسْنه.

وقوله تعالى: ﴿..فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ..﴾ النجم:٣٢. وقوله تعالى: ﴿..مَّا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ الكهف:٣٥. وقوله تعالى: ﴿..وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ الكهف:٣٦، ولعلّ الآية الأخيرة تدلّ على ذمِّ الإدلال أيضاً، إذ عدمُ ظنّه بهلاك ما في يده كان ناشئاً عن زعمِه استحقاقَ ما في يده، ومع استحقاقه لا يُسْلَبُ منه، ويدلُّ عليه: ﴿..وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ الكهف:٣٦.

وبالجملة فهذا ما اطَّلعْتُ عليه من الآيات في ذمّ العُجْب، ولعلّ المتدبِّر في القرآن يطَّلِع على غيرها أيضاً.

ومن السُّنّة: طوائفُ من الأخبار لا يُمكن نقلُها كثرةً، ونشير إلى بعضٍ منها لئلّا يحتاجَ النّاظرُ إلى مراجعة سائر الكُتب، منها:

* المرويّ عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**لَوْ لَمْ تُذنِبوا لَخَشِيتُ عليكُم ما هو أكبرُ من ذلك: العُجْبَ، العُجْبَ**».

* وعنه صلَّى الله عليه وآله في حديثِ إقبالِ إبليسَ على موسى عليه السلام، وعليه برنسٌ ذو ألوان - إلى أن قال موسى: «**فَأَخْبِرني بالذَّنبِ الّذي إذا أذنَبَه ابنُ آدمَ استَحوذْتَ عليه؟** قال إبليس: إذا أعجَبَتْهُ نفسُه، واستَكثَرَ عملَهُ، وصَغُرَ في عينه ذَنْبُه».

> **يحرمُ العُجبُ شرعاً، فهو أمرٌ إراديّ، ويُدفَع عن النّفسِ بإزالةِ مسبِّباته.**

* والمرويّ عن الإمام الباقر عليه السلام في رَجُلَين دخلا المسجدَ؛ أحدُهما عابدٌ والآخَر فاسقٌ، فخرجا منه والعابدُ فاسقٌ والفاسقُ صدِّيقٌ - إلى أن قال عليه السّلام: «..**وذَلِكَ أَنَّه يَدْخُلُ الْعَابِدُ الْمَسْجِدَ مُدِلّاً بِعِبَادَتِه يُدِلُّ بِهَا فَتَكُونُ فِكْرَتُه فِي ذَلِكَ، وتَكُونُ فِكْرَةُ الْفَاسِقِ فِي التَّنَدُّمِ عَلَى فِسْقِه وَيَسْتَغْفِرُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ مِمَّا صَنَعَ مِنَ الذُّنُوبِ**».

* والمرويّ عن الإمام الصّادق عليه السلام، قال: «**العَجَبُ كلُّ العَجَبِ ممَّن يُعجَبُ بعملِه وهو لا يَدري بمَ يُختَمُ له** - إلى أن قال عليه السّلام- **والعُجْبُ نباتٌ حَبُّها الكُفرُ، وأرضُها النِّفاق، وماؤها البَغْيُ، وأغصانُها الجَهلُ، ووَرَقُها الضَّلالةُ، وثمرُها اللّعنةُ والخلودُ في النّار، فمَن اختارَ العُجْبَ فقد بَذَرَ الكُفْرَ وزَرَعَ النِّفاق، ولا بدَّ أنْ يُثْمِر**».

* ومنها المرويّ عن النّبيّ صلى الله عليه وآله في حديث داوود عليه السلام: «..**أنْذِرِ الصِّدّيقين ألّا يُعجَبوا بِأَعمالِهِم، فإنَّه ليسَ عبدٌ أنصبُهُ للحسابِ إلّا هَلَكَ**».

* وعن الإمام الصّادق عليه السلام: «**إنَّ اللهَ تعالى عَلِمَ أنَّ الذَّنبَ خيرٌ للمؤمنِ من العُجْب، ولولا ذلك ما ابتُلِيَ مؤمنٌ بِذَنْبٍ أبداً**».

* وعنه عليه السّلام: «**من دَخَلَه العُجْبُ هَلَكَ**».

* ومنها المرويّ عن الإمام الصّادق عليه السلام أيضاً: «**إنَّ الرَّجُلَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَنْدَمُ عَلَيْه، ويَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيَسُرُّه ذَلِكَ فَيَتَرَاخَى عَنْ حَالِه تِلْكَ، فَلأَنْ يَكُونَ عَلَى حَالِه تِلْكَ خَيْرٌ لَه مِمَّا دَخَلَ فِيه**».

* وقال عليه السّلام في حديثِ إتيان العالم العابدَ، إلى أن قال: «.**فقَالَ له العالِمُ: فإنَّ ضَحِكَكَ وأنتَ خائفٌ أفضلُ مِن بُكائِكَ وأنت مُدِلٌّ، إنَّ المُدِلَّ لا يصعدُ مِن عَمَلِهِ شيءٌ**».

* وعنه عليه السّلام عندما سُئل عن الرَّجُل يعملُ العملَ وهو خائفٌ مشفِقٌ، ثمّ يعملُ شيئاً من البرّ فيدخله شبهُ العُجْب به، فقال عليه السّلام: «**هُوَ فِي حَالِه الأُولَى وهُوَ خَائِفٌ أَحْسَنُ حَالاً مِنْه فِي حَالِ عُجْبِه**». ويدلُّ على قُبحِه [قُبح العُجب] من الاعتبار ما لا يخفى على المُراجع لكُتُب الأخلاق.

الثّالث: عدمُ اختصاصه بالعبادات:

الظّاهر عدمُ اختصاصِ قُبحِ العُجْب بالعبادات، بل هو قبيحٌ بكلِّ ما يراهُ صفةَ كمالٍ له ولو لم يكن كمالاً واقعاً، فيقبحُ العُجْبُ بالمالِ والجاهِ والحَسَبِ والنَّسَبِ ونحوها، وهذا واضحٌ لا يحتاجُ إلى مزيد عنايةٍ في البيان.

الرّابع: في حُرمة العُجْب شرعاً:

[وردَ] في (مصباح الفقيه) المنعُ عن حرمتِه بادِّعاء نفيِ الاختيار عنه، و[بادّعاء] عدمِ كونه مسبوقاً بالإرادة، وإنْ كانَ أشدَّ تأثيراً في البُعد عن رحمة الله من الحرام كسائر الأخلاق الرّذيلة، كحُبِّ الدُّنيا ونحوه ممّا هو خارجٌ عن الاختيار. إلى أن قال [في مصباح الفقيه]: «ولأنَّ الأخبارَ الواردةَ في ذمّه لا يكادُ يُستَفادُ منها أزيدَ من ذلك، فلو تعلَّقَ به خطابٌ بظاهرِه يدلُّ على ذلك لَوَجَبَ صرفُه: إمّا إلى مباديه من إهمالِ النّفس حتّى تتأثّرَ عن مباديه، وإمّا إلى وجوبِ إزالتِه - بعد حصوله - بالتّفكّر في سوء المنقلب»، انتهى بمعناه. وما أفادَه قدّس سرّه لا يُمكن المساعدةُ عليه.

والحقُّ أنَّ العُجْبَ أمرٌ اختياريٌّ. غاية الأمر يكون من المسبّبات التّوليديّة الّتي اختياريَّتُه بعين اختياريّة أسبابه، وإنَّ تحقُّقَه بتحقّق مباديه وزوالَه بزوالِها، وإذ أمكنَ إزالتُه بعد حصوله فيكون وجوبُ الدّفعِ عنه أيضاً مُمكناً، كيف وجميع الأخلاق الّتي [هي] متعلّقاتٌ للأمر والنّهي أيضاً كذلك، وبالجملة فمَن أراد الاطّلاعَ بأزيد من ذلك فليَرجع إلى علم الأخلاق، وإنّما الكلامُ هنا في أنّ الأخبار المتقدِّمة، هل تدلُّ على حرمتِه شرعاً حتّى يصير المُعْجَبُ بعمله مرتكباً لمحرَّمٍ شرعيٍّ، ويكون ارتكابه قادحاً في العدالة أم لا؟

فنقول: أمّا العُجْبُ في غير العبادات كالعُجْبِ بالمال والجاه والعقلِ والعلمِ والحَسَبِ، فلا ينبغي التّأمُّل في عدم كونِه حراماً شرعيّاً، ولم يُحكَ حُرمتُه عن أحدٍ، وليس في الأخبار المتقدِّمة ولا في غيرها ما يُمكن أن يُتوهَّم دلالتُه على حُرمتِه.

وأمّا في العبادات، فقد عرفتَ دعوى المحقِّق الهمدانيّ قدّس سرّه، إنَّه لا يظهرُ منها الأزيدُ من كونه من الأخلاق الرّذيلة والمُهلكات، لكنَّ الإنصاف أنَّ الطّائفةَ الأولى منها تدلّ على الحُرمة، وإنّه ذنبٌ بل هو أعظمُ من الذَّنبِ، بل الذَّنبُ خيرٌ منه، فالأقوى أنَّه حرامٌ يعاقَبُ عليه كما يدلُّ عليه دليلُ الاعتبار أيضاً، حيث إنّه ليس للعبد أن يعجبَ بنعمةٍ وينسى نسبتَها إلى مولاه».

الفيلسوف الفقيه، الأخلاقيّ، والمرجع الدّينيّ

الشّيخ محمّد أمين زين الدّين قدس سره *

إعداد: سليمان بيضون

*** «كان، قدّس سرّه، مدافعاً عن الإخباريّة، ولم يكن له في مراعاة الأدب تجاه الأصوليّين نظيرٌ..».**

*** كتب عنه العلّامة المحقّق آغا بزرك الطّهرانيّ في موسوعة (طبقات أعلام الشّيعة) في حياته: «وهو اليوم من الفضلاء المبرّزين في حلقات دروس أعلام العصر، وممَّن يُشار إليه في الكتابة، والنّظم، والتّقوى، وحُسن السّيرة».**

*** التقى بالعارف السّيّد عليّ القاضي، وقال عنه: «إنّ للقائه أثراً في النّفس، وإنّ لكلماته نفوذاً».**

هو الشّيخ محمّد أمين، بن الشّيخ عبد العزيز، بن الشّيخ زين الدّين، بن عليّ، بن الشّيخ زين الدّين، بن عليّ، بن مكّيّ، البَصريّ. كان أبوه من علماء محافظة البصرة، وكذلك كان جدّه الأدنى الشّيخ زين الدّين، وهو أوّل مَن هاجر مِن البحرين إلى البصرة.

أمّا جدّه الأعلى الشّيخ زين الدّين بن عليّ الأوّل، فقد كان من علماء البحرين المعروفين في عصره.

وُلد سنة ١٣٣٣ هجريّة في قرية «نهر خوز» من قضاء «أبي الخصيب»، في محافظة البصرة.

دراستُه الحوزويّة

حين جاء الشّيخ محمّد أمين وأخوه الأصغر الشّيخ عليّ إلى النّجف، ليلتحقا بحوزتها العلميّة سنة ١٣٥١ هجريّة، كان عمره حوالي ثمانية عشر عاماً، وكان قد أكمل بإتقانٍ دراسة المقدّمات نحواً، وصرفاً، وبلاغة، ومنطقاً، وأصولاً على يد والده الشّيخ عبد العزيز في قسمٍ منها، وعلى يد الشّيخ عبد الحميد الخاقانيّ، وولده الشّيخ محمّد طاهر الخاقانيّ في القسم الآخَر.

ولمّا باشر دراسة المرحلة العليا من السّطوح، كان من أساتذته فيها آية الله السّيّد أبو القاسم الخوئيّ، فقد درس عليه (الكفاية في الأصول) للمحقّق الخراسانيّ، وكانت تجمعه به علاقة وثيقة.

كان من أساتذته في هذه المرحلة كلٌّ من: الشّيخ باقر الزّنجانيّ، والسّيّد عبد الله الشّيرازيّ، والسّيّد جواد التّبريزيّ، وقد درس عليهم الرّسائل والمكاسب. وحضر درس التّفسير على الشّيخ محمّد جواد البلاغيّ.

المرجع الدّينيّ الشّيخ محمّد أمين زين الدّين رحمه الله

ودرس الفلسفة على الأساتذة الحُجج: الشّيخ عليّ محمّد، والد آية الله الشّيخ مرتضى البروجرديّ، والسّيّد حسين البادكوبيّ، والسّيّد جواد التّبريزيّ، والشّيخ محمّد حسين الأصفهانيّ.

أمّا دراساته الحوزويّة العليا المعروفة بـ«البحث الخارج»، فحضر بحث الشّيخ آغا ضياء الدّين العراقيّ (ت: ١٣٦١ للهجرة) سبع سنين، وكتب تمام تقريرات درسه في الأصول، وحضر بحث الشّيخ محمّد حسين الأصفهانيّ المتقدّم ذكره، وكان الشّيخ محمّد أمين لدى التحاقه بالدّراسات العليا قد تجاوز سنّ العشرين بقليلٍ، ما يؤشّر إلى نبوغه وتفوّقه. وبعد وفاة أستاذَيه – العراقيّ،

والأصفهانيّ -واصل الحضور في بحث السّيّد محسن الحكيم لسنواتٍ عدّة، إلى أن حصل على درجة الاجتهاد المُطلَق.

دراساته المعاصرة

مَن يَقرأ كُتُب الشّيخ محمّد أمين زين الدّين، يجد أنّه دَرَس دراسةً شخصيّةً بعض الفلسفات المعاصرة، والعلوم الطّبيعية، كعلوم الحياة، والفيزياء، والفلَك، وعلمَي النّفس والاجتماع، وتاريخ الأديان المقارن، وأكثر ما يظهر ذلك في كتابه (الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته).

أقوالٌ بحقّه

* كتب عنه الشّيخ عليّ الخاقانيّ صاحب مجلّة «البيان» النّجفيّة، يُترجم له في كتابه (شعراء الغريّ): «والمترجَم له شخصيّةٌ علميّةٌ رصينةٌ، تلفّعت بالفضائل، وتَمَنْطَقت بالعفّة والتّقى، مثال الإنسان الّذي ينشد الكمال، ومقياس الشّخص الّذي يحبّ الخير ويسعى للحقّ، عرفتُه بهذه الصّفات وأكبرتُه لها..».

* وكتب العلّامة آغا بزرك الطّهرانيّ في (طبقات أعلام الشّيعة) وهو يترجم للشّيخ زين الدّين، وكان ما يزال في الثّلاثينات من عمره: «وهو اليوم من الفضلاء المبرّزين في حلقات دروس أعلام العصر، وممّن يُشارُ إليه في الكتابةِ وحُسْنِ السّيرة».

* قال عنه الشّيخ أحمد الوائليّ بُعيد وفاته: «..فالرّاحل جَهبذٌ في العلم، وحَبرٌ في التّقوى، وروضةٌ في الأخلاق، وشُعلةٌ في النّشاط الفكريّ «..» وقد قُدّر لهذا الرّاحل أن يحظى بخُلقٍ رضيٍّ، وتواضعٍ جمٍّ، وعفويّةٍ تحبّبُه للنّفوس، وتبني له مكانةً في القلوب، ويَعرفُ ذلك مَن عَرَفَ الأمين زين الدّين، فما رأيتُ هذا الرَّجل يوماً إلّا واستحضرت قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ..﴾ الفرقان:٦٣.

* وقال بحقّه تلميذُه الشّيخ عبد الهادي الفضليّ: «إنّ أستاذَنا المقدّس، الشّيخ زين الدّين، ممّن راضُوا أنفسهم على التّقوى، فسَمَا بنفسه روحانيّاً، حتّى تعلّق بالملكوت الأعلى تعلُّقاً إيمانيّاً واعياً، أكسَبَه الولاء الخالص لله تعالى، ولِمَن أَمَرَ اللهُ تعالى بولائهم "..". وكان من نتائج هذا الولاء ما لمسناه فيه من رقّةٍ، تأخذ عليه كلّ أبعاد عاطفته عندما يكون بين يدي الله تعالى..».

الشّيخ محمّد أمين زين الدّين يتصدّر أحد الاحتفالات الدّينيّة

دروسه وأشهر تلامذته

كان للشّيخ، رحمه الله، أكثر من مجلسٍ يلقي فيه دروسه؛ فهناك الدّرس الحوزويّ التّقليديّ، الّذي مِن روّاده: أخوه الشّيخ عليّ البصريّ، السّيّد حسين بحر العلوم، السّيّد مصطفى جمال الدّين، الشّيخ محمّد رضا العامريّ.

وهناك درسه في الأخلاق، الذي كان يحضره عددٌ من فضلاء طلّاب الحوزة، ويُعتقد أنّه الأساس وراء كتابه (الأخلاق عند الإمام الصّادق عليه السّلام).

كما كان لديه درسٌ في الفكر الإسلاميّ والنّثر الفنّيّ، مادّته ما جاء في كتابه (الإسلام ينابيعه، مناهجه، غاياته) الّذي يجمع بين الجهة الفكريّة وأسلوب النّثر الأدبيّ، ومن الأسماء اللّامعة المعروفة مِن حُضّار هذا الدّرس: السّيّد محمّد رضا الخرسان، الشّيخ عبد الهادي الفضليّ، والسّيّد محمّد جواد فضل الله.

ويحمل طلّابُه ذكرى عميقة لأيّام التّلمذة عليه، فهم جميعاً يصوّرونه الأستاذ النّموذج، في تعامله معهم، وفي إحاطته بالمادّة العلميّة، وفي بيانه وأسلوبه وقدرته على إيصال أفكاره.

يقول السّيّد مصطفى جمال الدّين: «وقد تنقّلت في حياتي الدّراسيّة على أساتذةٍ كثيرين، ولكنّي لم أجد مَن هو أجلى بياناً، وأكثر إيصالاً، من الشّيخ محمّد أمين زين الدّين».

ومن الأمثلة الّتي تدلّ على تلطّفه بطلّابه، وحرصِه على دفعِ السّأم عنهم، أنّه مرّت في تدريسه لـ«الكفاية» العبارة المشهورة: (إلّا أن يكون أحولَ العينين يرى الشّيء شيئَين)، ففاجأهم بقولِه:

أحولُ العين ينظر الشّيء شيئَين ... بأحوالِهِ يَحارُ البصير

فإذا أبصرَ الطّريقَ طريقين ... ففي أيّ مسلَكيه يسير؟

شعرُه وأدبه

اهتمّ الشّيخ محمّد أمين زين الدّين بالأدب العربيّ نثراً وشعراً، وله ديوان أسماه (أمالي الحياة)، فمِن شعره رثاؤه للشّيخ عبّاس القمّيّ، الّذي كانت تجمعه به مودّةٌ خاصّة، قال يخاطبه:

أيّها الرّاحلُ الّذي ترك الدِّين ... على فقده حزيناً ثكولا
لك نفسٌ قد صاغها الله للقدس ... مثالاً وللعباد دليلا
ومذاستكملتْ من الزّاد للأخرى ... ونالت بفعلها المأمولا
خلعتْ بُردةَ التّشكُّل واجتازت ... بأنوارها تُباهي العقولا
أعجلتْ فيك إذ دُعيتَ إلى الله ... ولا زلتَ في لقاه عجولا
رفعَتْك التّقوى مقاماً فأصبحتَ ... على مفرق الهدى إكليلا
وحفظتَ الدّينَ الحنيفَ ومثّلتَ ... لنا المصطفى به تمثيلا

أمّا في النّثر، فقد عُرف عن الشّيخ زين الدّين أنّه كاتبٌ من طرازٍ رفيعٍ، تميّز بقدرته البيانيّة، وأسلوبه الفنّيّ الخاصّ، الّذي كان يصافّ بهِ أعلى ما عُرف من مستويات النّثر الفنّيّ في تلك الفترة، وبلغ في ذلك حدّاً من [التّمكُّن] حتّى أصبح يكتب بهذا الأسلوب بيُسرٍ ودون كلفةٍ، فلا فرق لديه، وهو يكتب بهذا الأسلوب الفنّيّ، بين أن يكون الموضوع بطبيعته علميّاً، أو فلسفيّاً، أو أدبيّاً.

ومن تجلّيات البُعد الأدبيّ في شخصيّة الشّيخ محمّد أمين رحمه الله، امتلاكُه أدوات الخطابة وشروطها المختلفة في الأسلوب والمضمون. فكان في خُطَبه مراعياً لأسباب التّأثير النّفسيّ، في اللّغة، والصّوت، والمعنى، بارعاً في شدّ انتباه سامعيه إليه، بالمناداة مرّة، وبالاستفهام -مقرّراً أو مُنكِراً- أخرى، وبالتّعجّب ثالثة، وكان يحرص في أكثر خُطَبه -كما ينبغي- على أن تكون الفواصل بين الجمل قصيرة متلاحقة لتكون أجمل إيقاعاً، وأعظم وَقْعاً، مؤكّداً على عنصرَي التّرغيب، والتّرهيب، مُغنياً خطبه بالآيات الكريمة، وأحاديث المعصومين عليهم السّلام وحكمِهم، أو ببعض الفقرات من أدعيتهم المتّصلة بموضوعه، وبروائع الشّعر العربيّ.

مراسلاتُه

جانبٌ مهمٌّ من نشاط الشّيخ وعمله في خدمة أهدافه التّبليغيّة، ويحتلّ جزءاً كبيراً في آثاره، هو مراسلاته. وقد وثّق بعضها في

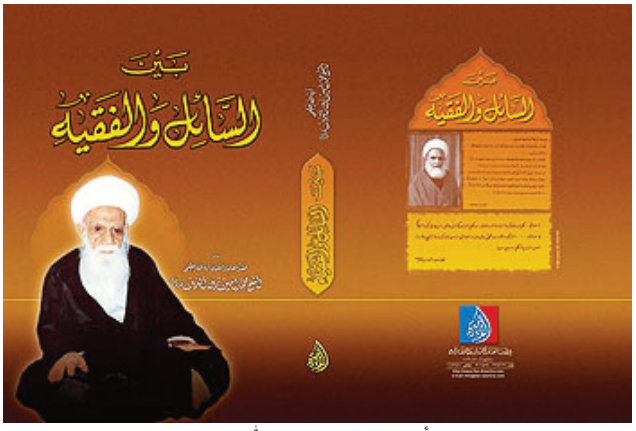

أحد مؤلفاته رضوان الله عليه

كتابَيه: (إلى الطّليعة المؤمنة)، و(من أشعّة القرآن). وهي رسائل تمثّل أنموذجاً عالياً فريداً في آداب المراسلة، وهي تعبّر عن قُدراته المتميّزة في الأدب الإنشائيّ الفنّيّ، وتعبّر في الوقت نفسه عن أسلوبه في الحوار العلميّ، وعن خُلقه وعرفانه.

فمَن يقرأ رسائله، رحمه الله، يجد لأوّل وهلةٍ أنّه يُلاشي الحواجز والمسافات بينه وبين مَن يراسِلُه أو يحاوِرُه، فهو أبٌ حانٍ حريصٌ بالنّسبة إلى البعض، وأخٌ صميمٌ صادقُ الصّلة والمحبّة بالنّسبة إلى البعض الآخَر، لا فرق في ذلك بين ما يكون به مجيباً أو مبتدئاً، وذلك سرّ ما تركتْه هذه الرّسائل من أَثَرٍ، ومن فعلٍ نفسيٍّ وفكريٍّ لدى الذين كانوا الطّرف الآخَر فيها. من ذلك رسالته للشّيخ الباقوريّ وزير الأوقاف المصريّ آنذاك، يقول له: «آن لنا أن نستيقنَ أنَّ حُجُباً فرّقت بيننا في الصّورة، لا تَقوى على أنْ تُباعِدَ ما بيننا في الجوهر، ولا تشجّع أنْ تخالف ما بيننا في الرّوح، ولا تملك شيئاً من ذلك ولن تملكه أبداً ما دامت ضالّتُنا الهدى، وما دام قائدُنا الرّسول الكريم صلّى الله عليه وآله، ورائدُنا القرآن العظيم».

مؤلّفاته

ألفَّ الشّيخ محمّد أمين زين الدّين عدداً من الكُتُب المهمّة موضوعاً، ومنهجاً، وأسلوباً، أوضح فيها الرّؤية والتّصوّر الإسلاميَّين في أكثر المسائل النّظريّة والعلميّة القائمة في واقع الحياة والفكر الإنسانيّ، وبعض هذه المؤلّفات فرضتْه ظروفُ بروز الفكر الماركسيّ، فكان المؤمنون يتوجّهون إليه بالأسئلة الّتي يحتاجون إلى أجوبتها في ردودهم على الطّروحات الوافدة،

فصارت تلك الأجوبة مادّةَ بعض كُتُبه الّتي صدرت في مرحلة ما قبل تَصدّيه لشؤون المرجعيّة.

*** ومؤلّفاته غير الفقهيّة المطبوعة، هي:**

١- (الأخلاق عند الإمام الصّادق عليه السّلام).

٢- (مع الدّكتور أحمد أمين في حديث المهديّ والمهدويّة).

٣- (العفاف بين السّلب والإيجاب).

٤- (الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته).

٥- (إلى الطّليعة المؤمنة). وهي مجموعةُ رسائل أجاب فيها عن أسئلةٍ شتّى في مختلف القضايا والمفاهيم الإسلاميّة العامّة [انظر: «قراءة في كتاب» من هذا العدد].

٦- (رسالات السّماء). وهي رسالة مفتوحة إلى شابٍّ مسيحيٍّ كان يراسله، فانقطع عن المراسلة، وكتب إليه هذه الرّسالة عسى أن تقع في يديه.

٧- (من أشعّة القرآن) القسم الأوّل والثّاني. وفيهما أجاب عن العديد من الأسئلة الّتي وُجّهت إليه بشكلٍ يختلف عن أسلوبه في الرّسائل الّتي طُبعت في كتاب (إلى الطّليعة المؤمنة).

٨- (من أشعّة القرآن) القسم الثّالث. وهو مجموعة محاضراته وكلماته في مختلف المناسبات الإسلاميّة.

*** أمّا مؤلّفاته المخطوطة ما قبل المرجعيّة، فهي:**

١- (مجموعة خُطَبه في الجمعات).

٢- ديوانه (أمالي الحياة)، وبعض ما وُجد من شعره في المناسبات المختلفة.

٣- (تقريرات بحث أستاذه الشّيخ ضياء العراقيّ في الأصول). وهي دورة كاملة.

٤- (تقريرات متفرّقة لدروس أستاذه الشّيخ محمّد حسين الأصفهانيّ) في الفقه.

٥- (تقريرات دروسه في الفلسفة).

*** وأمّا مؤلّفاته بعد المرجعيّة فهي:**

١- (تعليقة على الرّسالة الصّلاتيّة)، للفقيه الشّيخ يوسف البحرانيّ (صاحب الحدائق).

٢- (تعليقة على العروة الوثقى) للفقيه السّيّد محمّد كاظم اليزديّ الطّباطبائيّ.

٣- رسالته العمليّة (كلمة التّقوى) في تسعة أجزاء.

٤- (المسائل المُستحدَثة).

٥ – (بين المكلّف والفقيه). وهي مجموعة ممّا ورد إليه من استفتاءات مع إجاباته عليها.

وفاتُه وأصداؤها

يقول السّيّد الجلاليّ في (فهرس التّراث): «بَلَغني وفاته قدّس سرّه، في النّجف الأشرف في ٢٩ صفر ١٤١٩ هجريّة، في ظروفٍ غامضةٍ، حيث توالت اغتيالاتُ العلماء في النّجف». ويقول تلميذه محرّر التّرجمة: «وقد تلقّت الحوزة الدّينيّة والمؤمنون في أنحاء العالم نبأ وفاته بأسفٍ وحزنٍ صادقَين، وهرعَ النّاس –على اختلاف طبقاتهم– لتشييع الجثمان الطّاهر صباح يوم الخميس الثّلاثين من شهر صفر، بعفويّةٍ وكثافةٍ، حتّى وُرِيَ الثّرى في داره الواقعة في محلّة العمارة، في شارع السّور مقابل مقبرة وادي السّلام، وأقيمت الفواتح في داخل العراق وخارجه على روحه الطّاهرة».

ورَثى الشّيخ محمّد أمين زين الدّين عددٌ من المحبّين من أهل الفضل والأدب، اتّفقوا على نعته بـ«نموذج رجل العلم، والمفكّر والمرجع». وممّا قيل في تأريخ وفاته شعراً:

أودى الـرّدى بفقيـه أمّة أحمد ... ومـنارِ حجـّتها وليثِ عرينها

وعدا على مَن تستنيرُ برأيه الـ ... ـوضّاءِ فكراً في شـرائع دينها

علمِ الهـدى الورعِ الأمين محمّد ... صمـصام أرباب التّقى ويمنيها

فأبو (ضياء الدّين) (أظلم) بعدَه ... ربع المكارم واكتست بدجونها

وبكتبه دنيا المكرمات وكيف لا ... تبكي ابن بجدتها بفيض شؤونها

وبفقده طُويـت صحائفُ سيرة ... عبقت محافلـنا (بنشر) متونها

والدّين قُوّض صرحه أرّخ (كـما ... فُجعت شرائع ديننا بأمينـها)

* من ترجمةٍ وافيةٍ للشّيخ، كتبها أحد تلامذته بعنوان: «آية الله العظمى الشّيخ محمّد أمين زين الدّين قدّس سرّه، تأشيراتٌ في حياته، وآفاقِ فكرِه وعملِه».

الأمرُ بالمعروف والنَّهي عن المنكر

قِوامُ الشّريعة*

إعداد: «شعائر»

إنَّ الإسلام ليس مجرَّد تفكيرٍ وتدبُّرٍ وخشوعٍ يتحرَّك في داخل العقول والقلوب، وإنَّما هو منهجُ حياةٍ واقعيٍّ، يدعو إلى استنهاض الهمَم والعزائم وتقوية الإرادة لتنطلق في الواقع مجسِّدةً المفاهيم والقيَم الإلهيّة بصورةٍ عمليّةٍ، وهو يدعو إلى النّهوض بالتّكاليف الإلهيّة في عالم الضّمير وعالم الواقع على حدٍّ سواء، والاستقامة على ضوئها.

وبما أنَّ الإنسان يحملُ في جوانحه الاستعدادات المختلفة للخير والشّرّ، وللفضيلة والفجور، ويتأثّر بالعوامل الخارجيّة كالمُغرَيات والمُثيرات المتنوِّعة، إضافةً إلى دور الشّيطان في الوسوسة والإغراء، فهو بحاجة إلى مَن يَهديه ويُرشده ويُقوِّم له تصوُّراته وعواطفه وممارساته العمليّة، لتكون موصولةً بالعقيدة والشّريعة الإسلاميّة، ولهذا شرَّعَ الإسلامُ **الأمرَ بالمعروف والنّهيَ عن المُنكَر**، ليَقومَ به الإنسانُ المسلم إيقاظاً للقلوب البشريّة الغافلة، وتحريكاً للإرادات الضّعيفة، لِتَستقيمَ على أساسِ المفاهيم والموازين الإلهيّة.

والأمرُ بالمعروف والنّهي عن المنكر يَستتبعُ جميع مقوِّمات الشّخصيّة الإنسانيّة في الفكر والعاطفة والسُّلوك، لتكونَ مُنسجمةً مع المنهج الإلهيّ في الحياة، وتكون هذه المقوِّمات متطابقةً مع بعضها، فلا ازدواجيّة بين الفكر والعاطفة، ولا بينهما وبين السُّلوك، وهي وحدةٌ واحدةٌ يكون فيها الولاءُ والممارسةُ العمليّة للهِ وحده، ولِمنهجِ التّوحيد الّذي دعا إليه في جميع مفاهيمه وقِيَمِه.

فقد أَوجَبَ سبحانه وتعالى الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المُنكَر، وجَعلَه من التّكاليف الأساسيّة، لأنَّه غايةُ الدِّين، كما يُعلّمنا الإمام أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «**غايةُ الدِّينِ الأمرُ بالمعروف، والنَّهيُ عن المنكر، وإقامةُ الحدود**». وقال عليه السّلام: «**قِوامُ الشّريعةِ الأمرُ بالمعروف، والنّهيُ عن المنكر، وإقامةُ الحدود**».

مواردُ الأمر والنّهي

لا يختصّ الأمرُ بالمعروف والنّهيُ عن المنكَر بموردٍ من الموارد، ولا مجالٍ من المجالات، بل هو شاملٌ لجميع ما جاء به الإسلام من مفاهيم وقِيَم، فهو يشملُ التّصوُّرات والمبادئ الّتي تقوم على أساسها العقيدة الإسلاميّة، ويشملُ الموازين والقيم الإسلاميّة الّتي تحكم العلاقات الإنسانيّة، وشاملٌ للشّرائع والقوانين، وللأوضاع والتّقاليد، وبعبارةٍ أخرى هو دعوةٌ إلى الإسلام عقيدةً ومنهجاً وسلوكاً، وذلك بتحويل الشُّعور الباطنيّ بالعقيدة إلى حركةٍ سلوكيّةٍ واقعيّةٍ، وتحويل هذه الحركة إلى عادةٍ ثابتةٍ متفاعلةٍ ومتّصلةٍ مع الأوامر والإرشادات الإسلاميّة، ومنكمشةٍ ومنفصلةٍ عن مقتضيات النّواهي الإسلاميّة.

وقد تجلّت هذه الشّموليّة بوصيّة رسولِ الله صلى الله عليه وآله لِمعاذ بن جبل حينما أوفدَه إلى اليمَن: «**يا معاذ، علِّمْهم كتابَ الله وأَحسِنْ أدَبَهم على الأخلاق الصّالحة، وأَنْزِلِ النّاسَ منازلهم - خيرهم وشرّهم - وأنفِذ فيهم أمرَ الله**"..." **وأمِتْ أمرَ الجاهليّة إلّا ما سَنَّهُ الإسلامُ، وأَظهِرْ أمرَ الإسلام كلّه، صغيره وكبيره، وَلْيَكُن أكثرُ همّك الصّلاة، فإنَّها رأسُ الإسلام بعد الإقرار بالدِّين، وذكِّر النّاسَ بالله واليومِ الآخِر، واتَّبِع الموعظة**».

وقد بيَّن الإمام الحسين عليه السلام مواردَ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، قائلاً: «..**فَبدأَ اللهُ بالأمرِ بالمعروف، والنّهيِ عن المنكر فريضةً منه، لِعلمِه بأنّها إذا أُدِّيَت وأُقيمَت استقامت الفرائضُ كلُّها، هيِّنُها وصَعْبُها، وذلك أنَّ الأمرَ بالمعروف والنّهيَ عن المنكر دعاءٌ إلى الإسلام، مع ردِّ المَظالم ومخالفة الظّالم، وقسمة الفيْء والغنائم، وأَخْذِ الصّدقاتِ من مواضعِها، ووضعِها في حقِّها**..».

* نقلاً عن كتاب (الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر) من إعداد «مركز الرّسالة» في قمّ المقدّسة

وصيّة للفقيه الحكيم الشّيخ محمّد مؤمن الشّيرازيّ*

القلبُ رئيسُ الجَوارح، وبأمره تتوجّه إلى المفاسد والمَصالح

عليكم بالصّمت، وكَظْم الغَيظ، وبرِّ الوالدَين

إعداد: ياور أميري

وصيّة أخلاقيّة مقتبسة من كتاب (مجالس الأخيار) للفقيه الحكيم الشّيخ محمّد مؤمن بن محمّد قاسم الشّيرازيّ الجزائريّ، المتوفّى سنة ١١٣٠ للهجرة، والمدفون في الهند. وكتاب (المجالس) في سبعة فصول، خصّص الحكيم الشّيرازيّ الخامسَ منها لترجمة نفسه، وسمّاه (زهرة الحياة الدّنيا)، وفي آخره أورد هذه الوصيّة.

عدّه السّيّد محسن الأمين في (أعيان الشّيعة) من العلماء العُرَفاء، ومن أعاظم نبلاء عصر العلّامة المجلسيّ الثّاني، وذكرَ من كُتُبه (مقامات العارفين في شرح منازل السّالكين)، و(خزانة الخيال) وغيرهما.

يا إخواني المؤمنين والشّركاء في طلبِ اليقين، أُوصيكُم بتهذيب النّفس فإنّه فرضٌ واجبٌ، وجهادُها أمرٌ (لازمٌ)، ولا يكونُ ذلك إلّا بالاعتناء بملاحظتِها ومواظبتِها على الخَير، ومحافظتها ورَدْعِها عن الضَّير، ومزيد التّوجُّه إلى تَقْواها عن المعاصي والمحرّمات، وتَرْكِ الرّذائل والمُستقبحات، وتَحليَتها بعد تلك التّخلية بالأعمال الصّالحات، والتّخلّق بالمكارمِ ومحاسنِ الصّفات، وصرفِ الأفكار عمّا يُوجبُ الخزْيَ والنّار.

فإنّ القلبَ رئيسُ الجوارح وبأمرِه تتوجّه إلى المفاسد والمصالح، فإذا كَثُرَ الفكرُ في شيءٍ نَطَقَ به اللّسانُ، وإذا كَثُرَ القولُ في شيءٍ توجّه إليه الأعضاءُ والأركانُ، فالسّعيدُ مَن صَرَفَها في مصالحه، وتوجّه إلى المثوبات بقلبِه وجوارحه.

١- فعليكم بالتّقوى! بالتّقوى! بالتّقوى! والوَرَع والزُّهد والعمل للأُخرى:

فقد قال اللهُ تعالى: ﴿..إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ..﴾. و﴿..ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ..﴾. و﴿..فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ..﴾. و﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ..﴾. ﴿.. فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. و﴿..أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

وقال اللهُ تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقال رسولُ الله ﷺ: «تُوبُوا إلى اللهِ قبلَ أنْ تَموتُوا، وبادِرُوا بالأعْمالِ الصّالِحةِ قبلَ أنْ تُشْغَلُوا، وأَصْلِحُوا الّذي بَينَكُم وبينَ رَبِّكُم تَسْعَدوا».

٢- وعليكُم بِحُسْنِ الخُلُق:

فهو الّذي وَصَفَ به اللهُ سبحانه نبيَّه الكريم، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم:٤.

وقال رسولُ الله ﷺ: «أَحَبُّكُم إلى اللهِ أَحْسَنُكُم خُلُقاً».

وقال صلّى الله عليه وآله: «الخُلُقُ السّيِّئ يُفسِدُ العَملَ كَما يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ».

٣- وعليكُم بالمواظَبة على السُّنّةِ النَّبويَّةِ والنَّوافل، لا سِيَّما قيام اللّيل:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

٤- وعليكُم بِصِلَةِ الرَّحِم:

قال سبحانه: ﴿..قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ..﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى خَيْرِ أَخْلاقِ أهلِ الدُّنْيا والآخِرَةِ؛ مَنْ عَفَى عَمَّن ظَلَمَهُ، أوْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ، أوْ أَعْطَى مَنْ حَرَمَهُ».

٥- وعليكم بصِلة السّادات:

قال اللهُ تعالى: ﴿..قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ..﴾.

وقال رسولُ الله ﷺ: «إنّي شافعٌ يومَ القيامةِ لأربعةِ أصنافٍ ولَو جاؤوا بذنوبِ أهلِ الدّنيا: رجلٌ نصرَ ذرّيّتي، ورجلٌ بذلَ مالَه لذُرّيّتي عند المَضيق، ورجلٌ أَحَبَّ ذرّيّتي باللّسانِ وبالقلب، ورجلٌ يَسعى في حوائجِ ذرّيّتي إذا طُرِدوا أو شُرِّدوا».

٦- وعليكُم ببرِّ الوالدَين:

قال اللهُ تعالى: ﴿..لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا..﴾.

* نقلاً عن كتابه (أربعون رسالة عرفانية)

وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَن أَحَبَّ أن يكونَ أطولَ النّاس عُمراً، فَلْيَبرَّ والديه، وَلْيَصِلْ رَحِمَه، وَلْيُحْسِنْ إلى جَارِه».

وقال ﷺ: «مَن يضمنْ لي برَّ الوالدَين وصِلَةَ الرَّحِم، أَضمنْ له كَثرةَ المال، وزيادةَ العمر، والمحبَّةَ في العَشيرة».

وقال ﷺ: «ما مِنْ ولَدٍ بارٍّ يَنظُرُ إلى والدَيْه نَظرَةَ رَحمَةٍ، إلّا كانَ لَهُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ حِجَّةٌ مَبْرُورَةٌ».

٧- وعليكم بحبِّ الفقراء ومواساتهم:

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا..﴾.

وقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ..﴾.

وقال رسولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أحْيِني مِسكيناً، وأمِتْني مِسكيناً، واحْشُرْني في زُمْرَةِ المَساكين».

وقال رسولُ الله ﷺ: «الفَقْرُ فَخْري وبِهِ أفْتَخِرُ».

٨- وعليكُم بالدُّعاءِ والابتهالِ إلى الله تعالى:

قال سبحانه: ﴿..ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ..﴾. ﴿..فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ..﴾. ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ..﴾.

وقال رسولُ الله ﷺ: «الدُّعاءُ سِلاحُ المُؤمن».

وقال صلّى الله عليه وآله: «ما مِن مُسلِمٍ يَدعو اللهَ بدعاءٍ إلّا يَستَجيبُ لَهُ، فإمّا أنْ يُعجِّلَ في الدُّنيا، وإمّا أنْ يُدَّخَرَ للآخرةِ، وإمّا أنْ يُكفِّرَ مِن ذُنوبِهِ».

٩- وعليكُم بالصَّبرِ على كلِّ حالٍ:

فقد قال اللهُ سبحانه: ﴿..إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. ﴿..وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. ﴿..وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيُّها النَّاسُ عَلَيْكُم بالصَّبْرِ، فَإنَّهُ لا دِينَ لِمَنْ لا صَبْرَ لَهُ».

١٠- وعليكم بالإخلاص في الأعمال والصّدق في الأقوال:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ..﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «الصِّدْقُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ».

وقال صلّى الله عليه وآله: «إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

١١- وعليكم بالتَّوكُّل على الله في جميع الأمور:

قال الله تعالى: ﴿..وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾. ﴿..وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «مَنْ أحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ».

وقال أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: «مَنْ وَثَقَ باللهِ أَرَاهُ السُّرُورَ، ومَنْ تَوَكَّلَ عَلَيه كَفَاهُ الأُمُورَ».

١٢- وعليكُم بإعانةِ المُؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿..وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَكْرَمَ غَرِيباً في غُرْبَتِهِ، أو نَفَّسَ عنهُ أو أَطْعَمَهُ أوْ سَقَاهُ شَرْبَةً، أوْ ضَحِكَ في وَجْهِهِ، فَلَهُ الجَنَّة».

١٣- وعليكم بالعدلِ عند الأحكام:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. ﴿..وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ..﴾. ﴿..وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ..﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «عَدْلُ ساعَةٍ خَيرٌ مِنْ عبادةِ سَبعينَ سنةٍ».

١٤- وعليكم بالصَّلاة على النّبيّ ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً، لَمْ تَبْقَ مِن ذُنُوبِهِ ذَرَّةٌ».

وقال صلّى الله عليه وآله: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً، فَتَحَ اللهُ عليه باباً مِنَ العَافِيَةِ». "..."

فهذه موعظةٌ كافيةٌ شافيةٌ، ونصيحةٌ مُنجيَةٌ وافيةٌ، بها يَتَّعِظُ مَنِ اهتَدى، والسَّلامُ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدى.

التّكفيريّون يُعلنون الحربَ على الإسلام

مجنّدون في نظامٍ عالميٍّ لحماية الرّبا، والمادّيّة، والصّهيونيّة

إعداد: «شعائر»

*** هذا النّصّ للمفكّر والأستاذ الجامعيّ الأميركيّ كيفين جيمس باريت، الّذي شغلَ أيضاً منصب عضو في الفريق العلميّ الحكوميّ للتّحقيق حول أحداث الحادي عشر من أيلول سنة ٢٠٠١م.**

*** في العام ٢٠٠٦م، بدأ باريت بتدريس فصلٍ تمهيديٍّ بعنوان «الإسلام: الدّين والثّقافة»، ولاحقاً أثارت مواقفُه من أحداث الحادي عشر من أيلول ضجّةً في الولايات المتّحدة، حيث أصرّ على وجود مؤامرة داخليّة سهّلت للمهاجمين عملهم، فنُشر اسمُه ضمن قوائم المعادين للسّاميّة.**

*** المقال نقلاً عن الموقع الإلكترونيّ لقناة «برس تي في»، ترجمَه إلى العربيّة محمود عسكر.**

النّظامُ العالميّ مثل كمّاشة صُمّمت لإضعاف الإسلام، وجَعْلِ العالم مكاناً آمناً للرّبا، والصّهيونيّة، والمادّيّة.

بالمعاملة الوحشيّة ضدّ المدنيّين وارتكاب جرائم حرب، ينتهك التّكفيريّون المتطرّفون في سورية أبسطَ مبادئ الشّريعة الّتي يدّعون أنّهم يحاربون من أجل تطبيقها.

يوم الخميس، الموافق ١٦ كانون الثّاني/ يناير ٢٠١٤، أعلن مسؤولون في الأمم المتّحدة أنّ التّكفيريّين يقومون بتنفيذ عددٍ من الإعدامات تدخل ضمن تصنيف «جرائم حرب». وقد أعلنت وكالة «الأسوشييتيد برس» الآتي:

«أعلنَت مفوّضةُ حقوق الإنسان في الأمم المتّحدة، نافي بلاي، أنَّ مكتبها استلَم خلال الأسبوعين الماضيَين تقارير عن إعداماتٍ متوالية للمدنيّين والمقاتلين الّذين امتَنعوا عن مواصلة القتال في حلب، وإدلب، والرّقّة، على أيدي مقاتلين متطرّفين في سورية، وعلى الأخصّ على أيدي مقاتلي دولة الإسلام في الشّام والعراق المرتبطة بالقاعدة».

وبادّعائهم أنّهم يحاربون لإقامة «دولةٍ إسلاميّةٍ»، بينما يرتكبون جرائم حرب فظيعة، فإنّهم في الحقيقة يشنّون حرباً ضدّ الإسلام!

مؤخّراً، كنتُ أحاور «مايكل بارينتي»، وهو شخصٌ علمانيٌّ ناقدٌ لجميع الأديان، في برنامجي الإذاعيّ. وحينما أشرتُ إلى حقيقةٍ مفادها أنّ الإسلام أكثرُ دينٍ متسامحٍ من بين الأديان الإبراهيميّة الثّلاثة، ومقدّماً أمثلة تاريخيّة عن حماية المسلمين لتعدّد الأديان، ردّ عليَّ «بارنتي» قائلاً: «نعم، ربّما كان هذا صحيحاً في الماضي، ولكن انظُر إلى المسلمين الآن! انظر إلى ما يقومون به في سورية»!

يزعم التّكفيريون أنّهم يقاتلون لإقامة دولة إسلاميّة، لكنّ أفعالَهم تنتهكُ أبسطَ قواعد الشّريعة.

حاولتُ أن أوضّح أنّ التّكفيريّين المتطرّفين في سورية لا يمثّلون العالم الإسلاميّ. ولكنّ طالما أنّ التّكفيريّين يسيئون استخدام صفة «إسلاميّ»، ويحصلون على الدّعم من العربيّة السّعوديّة، القيّمة على الحرمَين الشّريفَين، فأفراد من شاكلة «مايكل بارينتي» يستخدمون التّكفيريّين كأمثلةٍ على التّطرّف المزعوم في الإسلام.

ما هو الإسلام الّذي يؤيّد نزعَ قلبِ عدوٍّ ميتٍ، وقضمَه أمام الكاميرا؟ ما هو الإسلام الّذي يسمح بتجميع النّساء وإهانتهنّ؟ ما هو الإسلام الّذي يتغاضى عن الإعدامات الجماعيّة للمدنيّين بسبب كوْنهم مسيحيّين أو مسلمين معتدلين؟

رغم أنّ الحربَ دمويّةٌ وعملٌ غير مُستساغٍ ومقبولٍ، إلّا أنّ القادة والجنود المسلمين معروفون تاريخيّاً بفروسيّتهم وعطفهم وسيطرتهم على تصرّفاتهم. حينما دخل النّبيّ محمّد [صلّى الله عليه وآله] مكّة، وواجه أعداءه الّذين اضطهدوه هو ومؤيّديه بشدّة، ابتعد عن الانتقام وأمر بالرّأفة. فقد كان دخولُ مكّة بمنزلة فتحٍ دون إراقة دماءٍ، لا مثيلَ له في تاريخ الحروب.

فأنموذج النّبيّ محمّد [صلّى الله عليه وآله] تحوّل إلى مصدر إلهامٍ للعديد من الأمثلة للبطولة الإسلاميّة، أو ما يسمّى بـ«الفتوّة» في التّاريخ. في الواقع، فقد كانت فتوّة المحاربين المسلمين في إسبانيا عبارة عن كياسةٍ وإنكارِ الذّات والعطف، هؤلاء الفرسان الّذين استطاعوا عن طريق تعاملهم الطّيّب وخُلُقهم الدّمث أنْ يَنتشرَ صيتُهم في أوروبا، ما ساهم في نشر البطولة والرّجولة واللّطف في قارّة أوروبا.

وعلى النّقيض، فقد كانت هند، زوجة أبي سفيان، ألدّ أعداء الإسلام، وهي الّتي قطّعت كبدَ حمزة، وأكلَت من القطع في أرض المعركة. والتّكفيريّ، آكِل لحوم البشر، الّذي أكل قلبَ جنديٍّ سوريٍّ كان يُعلن للعالم أجمع بطريقةٍ رمزيّةٍ أنّه عدوٌّ للإسلام، كما فَعلت هند في صدر الإسلام.

أغلبُ المسلمين يعلمون هذه الحقيقة. لكنّ غير المسلمين في أرجاء العالم الّذين يتابعون مثل هذه الفظاعات والأعمال الوحشيّة، ربّما يعزونها إلى الإسلام دون قصدٍ، أو إلى التّطرّف الإسلاميّ.

يَرتكبُ التكفيريّون المزيدَ والمزيدَ من الفظائع، ليس ضدّ القوّات الحكوميّة السّوريّة والمسيحيّين والمسلمين المعتدِلين فحسب، ولكن ضدّ بعضهم البعض أيضاً. وفقاً للتّقارير الخبريّة، فإنّ الاقتتال الدّاخليّ بين «داعش» والمجموعات التّكفيريّة الأخرى ومعارضي الحكومة، أدّى إلى مقتل المئات من الأفراد خلال الأسبوعَين المُنصرمَين.

اعتاد التّكفيريُون على إعدام الأشخاص الّذين لا يشاركونهم تفسيرهم المتطرّف الخاطئ عن الإسلام. هذا العمل لا يمتّ إلى الإسلام بِصِلةٍ. فعبر التّاريخ، استمتع المسلمون بحماية أتباعِ الدّيانات الأخرى.

مثالٌ يستحقّ الإشارة: حينما قرّر المسيحيّ المتعصّب القدّيس فرانسيس، الّذي يحمل اسمَه البابا الحاليّ للفاتيكان، أنْ يصبحَ شهيداً، سافر إلى أراضٍ إسلاميّةٍ كي يدعوَ إلى المسيحيّة، ويساجل ضدّ الإسلام! توقّع فرانسيس أن يقوم المسلمون بقتله، كما كان المسيحيّون سيقتلون أيّ مسلم يهاجم المسيحيّة على أراضيهم، ولكنّ لم ينجح القدّيس فرانسيس في إثارة غضب المسلمين كي يَجْنَحوا للعنف، بل على العكس دخل في حواراتٍ ونقاشاتٍ مطوّلةٍ حول الإسلام والمسيحيّة مع أحد القادة المسلمين لعدّة ليالٍ، وفي النّهاية، فشل كلٌّ منهما في إقناع الآخر بالتّحوّل إلى دين الآخر.

أمّا اليوم، فإنّ الصّفحات الأولى للصّحف ونشرات الأخبار، مغطّاة بأخبار مَن هم على شاكلة القاعدة الّذين يدّعون أنّهم يدافعون عن الإسلام، ولكنّ في الحقيقة ما يقومون به هو هجمة مضادّة على الإسلام.

والمسلمون العاديّون وقعوا في وسط المعمعة بين مَن يسمّون بـ«المسلمين الإرهابيّين»، وبين مَن يسمُّون أنفسهم بـ«المسلمين المعتدلين»، الّذين هم على استعداد لبيع إيمانهم ومعتقداتهم والسُّكوت على الحرب القائمة ضدّ الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر ٢٠٠١.

إنّه نظامٌ عالميٌّ مثل كمّاشة صُمّمت لإضعاف الإسلام، وجعل العالم مكاناً آمناً للرّبا، والصّهيونيّة، والمادّيّة.

لحسن الحظّ، فإنّ مسلمي العالم يتحدّثون جهاراً ضدّ التكفيريّين بصفةٍ عامّةٍ، واضطهاد المسيحيّين بصفةٍ خاصّة. «..»

الإسلامُ الأصيلُ معتدلٌ، ويتلاقى مع الجميع في منتصف الطّريق، وليس متطرّفاً وغير متسامحٍ، أو أنّه دينٌ عنيفٌ وقاسٍ. فالحقيقة هي دفاعُ الإسلام الأصيل ضدّ التّكفيريّين ومموّليهم الجُدُد من قادة النّظام العالميّ الجديد. وكما قال النّبيّ محمّد [صلّى الله عليه وآله]: «**أفضلُ الجِهادِ كَلمَةُ حقٍّ عندَ سُلطانٍ جائرٍ**».

«الشَّذَراتُ العامليّة»

كتاب فقهيّ استدلاليّ لآية اللّه الشّيخ يوسف الفقيه العامليّ رحمه الله

«مركز الفقيه العامليّ لإحياء التّراث»

* الصّورتان الأولى والثّانية لورقتَين من مخطوط (الشَّذَرات العامليّة) لآية الله الشّيخ يوسف الفقيه العامليّ الحاريصيّ (ت: ١٣٧٧ للهجرة)، والد آية الله الشّيخ محمّد تقي الفقيه رحمة الله عليهما.

* الورقة الثّالثة هي بخطّ آية الله الشّيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء، الّذي قرأ المخطوطة عند مروره بمدينة بيروت في طريقه إلى بيت المقدس، ويُثني فيها على غزارة علم المؤلِّف، وقوّة استنباطه واجتهاده، مؤرّخة في ٢٣ شعبان سنة ١٣٥٠ للهجرة. [١٩٣٠م]

* الورقة الرّابعة هي بخط نجل المؤلّف، الشّيخ محمّد تقي الفقيه، مؤرّخة في الحادي عشر من ربيع الثّاني سنة ١٣٧٩ للهجرة، مشيراً فيها إلى خلوّ الكتاب من تاريخ البدء والفراغ، وأنّه «يتضمّن مشكلات المسائل الفقهيّة العامّةِ الابتلاء..»

* وفي الذّريعة للشّيخ الطّهرانيّ، معرِّفاً بالكتاب: «(**الشّذَرات العامليّة**): في خمسين مسألة مهمّة من غير العبادات، أوّلُها مسألةُ جواز التّزويج، وهو استدلاليٌّ مبسوط، للعلّامة الشّيخ يوسف بن عليّ بن محمّد العامليّ الحاريصيّ، المعروف بالفقيه، المتوفّى بعد سنة ١٣٧٠ للهجرة. ومرّ له (حقائق الإيمان)..»

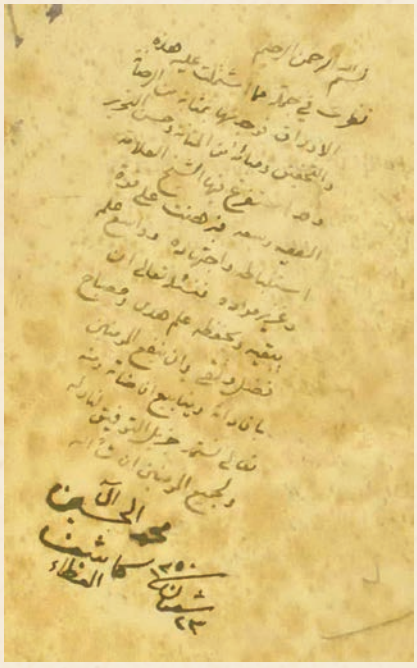

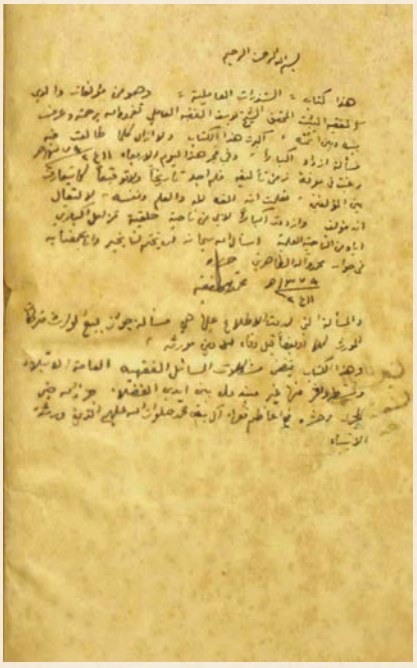

من مخطوطات
مركز الفقيه العاملي لاحياء التراث
www.alameleya.org

موقف	شرح حديث (معرفة النّفس)	المحدّث الحرّ العامليّ
فرائد	عند العمل تُسكَبُ العبرات	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	«إلى الطّليعة المؤمنة»	قراءة: سلام ياسين
بصائر	كلامٌ في الرِّقّ والاستعباد	العلّامة السّيّد الطّباطبائيّ
مصطلحات	الكبـائـر	«مركز المعجم الفقهيّ»
مصطلحات	العمــل	الشّيخ حسن المصطفويّ
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة

«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»

معرفتُها بصفات النّقص، ومعرفتُه تعالى بصفات الكمال

الفقيه المحدّث الحرّ العامليّ قدس سره

في كتابه (الفوائد الطّوسيّة)، عرض المحدّث الفقيه الشّيخ الحرّ العامليّ قدس سره، لوجوه اثني عشر في تفسير الحديث المعروف بـ «حديث النّفس»، والمرويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»، وهذه الوجوه نكاتٌ لطيفةٌ تفطّنَ هو إلى بعضها، ونقل بعضها عمّن تقدّمه، فهذا الحديث لأهمّيّته — كان وما يزال — مدار عددٍ كبيرٍ من الرّسائل والكُتب في شرحه وبيان مقاصده.

قد خطر ببالي اثنا عشر وجهاً، وقد ذكر العلماءُ بعضها.

الأوّل: لمّا حرّكت النّفسُ البدنَ، والرُّوحُ الجسدَ، لزم مِن معرفةِ ذلك له معرفةُ أنَّ للعالَم مدبِّراً، وللسُّكون محرِّكاً، فمعرفةُ النّفس من جملة الأدلّة الموصِلة إلى معرفة الرّبّ.

الثّاني: إنَّ مَن عرَف أنَّ نفسَه واحدةٌ، وأنّها لو كانت اثنتَين لأمكن التّعارضُ والممانعةُ، عرف أنَّ الرَّبَّ واحدٌ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا..﴾ الأنبياء:٢٢.

الثّالث: مَن عَرَف أنَّ النّفسَ تُحرِّكُ الجسدَ بإرادتها، عَلِمَ أنَّه لا بدَّ للعالَم مِن محرِّكٍ مُختارٍ، للقطعِ بوجوبِ كمال الخالق وتَنزُّهِه عن النّقص، وللعلمِ بامتناع الحركة والتّأثير ممَّن عُدِمَت نفسُه وفارقت بَدَنَه.

الرّابع: مَن عَرَف أنَّه لا يَخفى على النَّفس أحوالُ الجَسد، علم أنَّه لا يَعزبُ عن الباري مثقالُ ذرّةٍ في الأرض ولا في السّماء، لامتناعِ علمِ المخلوق وجَهلِ الخالقِ تعالى.

الخامس: مَن عَرَف أنَّ النَّفس ليست إلى شيءٍ من الجسد أقرب منها إلى شيءٍ منه، عَلِمَ أنَّ نسبةَ الأشياء كلِّها إلى قدرةِ الله تعالى وعلمِهِ على السّواء.

السّادس: مَن عرف أنَّ النّفس موجودةٌ قبل البدنِ، باقيةٌ بعدَه، عرف أنَّ رَبَّه كان موجوداً قبل المخلوقات وهو باقٍ بعدها، لمْ يَزَلْ ولا يزال.

السّابع: مَنْ عَرَفَ أنَّ نَفْسَهُ لا يُعرَف كُنْهُ ذاتِها وحقيقتها، عرف أنَّ ربَّه كذلك بطريقٍ أَوْلى.

الثّامن: مَنْ عَرَفَ أنَّ نفسَهُ لا يُعرَف لها مكانٌ ولا يُعلَم لها أينيّة، عرف أنَّ ربَّه مُنزَّهٌ عن المكان والأينيّة.

مَن عرف أنَّ النّفس موجودةٌ قبل البدنِ، باقيةٌ بعدَه، عرف أنَّ رَبَّه لمْ يَزَلْ ولا يزال.

التّاسع: من عرف أنَّ النّفس لا تُحَسّ ولا تُمَسّ، ولا تُدْرَك بالحواسِّ الظّاهرة، عَرَف أنَّ الله سبحانه كذلك.

العاشر: مَنْ عَرَفَ نفسَهُ عَلِمَ أنّها أمّارةٌ بالسُّوء، فاشتَغلَ بمجاهدتِها وبعبادة ربِّه، ومَنْ عَبَدَ الله وأطاعَهُ كانت معرفتُه صحيحةً، ومَنْ عصاهُ فكأنَّه لم يَعرفهُ، إذ لم ينتفعْ بمعرفتِه، فهو أسوأُ حالاً ممَّن لم يعرفهُ، فكأنَّه قال مَن عَرَفَ نفسَهُ جاهدَها وعَبَدَ ربَّه، ومَنْ عَبَدَهُ فقد عَرَفَهُ حقَّ المعرفة وحصل له ثمرةُ العلمِ به، وهذا ما خطر بخاطري ولم يذكره أحدٌ في ما أعلم.

مَنْ عَرَفَ أنَّ نَفْسَهُ لا يُعرَف كُنْهُ ذاتِها وحقيقتُها، عرف أنَّ ربَّه كذلك بطريقٍ أَوْلى.

الحادي عشر: مَنْ عَرَفَ نَفسَهُ بِصفاتِ النَّقصِ عَرَفَ رَبَّهُ بصفات الكمال، إذ النّقصُ دلَّ على الحدوث، فيلزم ملازمة الكمال المقدّم.

الثّاني عشر: إنَّه علَّقَ مُحالاً على محالٍ، أي كما لا يُمكن معرفة حقيقةِ النّفس، كذلك لا يُمكن معرفةُ حقيقة الرّبّ، فيجب أن يوصف بما وَصَف نفسَه تعالى، والله أعلم.

فرائد

عَديُّ بن حاتم ومعاوية

ذُكر أنَّ عَديّ بن حاتم الطّائيّ دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما فَعلت الطّرفات؟ [يعني أولادك]، قال: قُتلوا مع عليّ، قال: ما أَنْصَفَكَ عَليٌّ، قتلَ أولادك وبَقّى أولادَه.

فقال عديّ: ما أَنْصَفْتُ عليّاً إذ قُتِلَ وبقيتُ بعدَه.

فقال معاوية: أما إنّه قد بَقِيَتْ قطرةٌ من دمِ عثمان، ما يمحوها إلّا دمُ شريفٍ من أشراف اليمن. فقال عَديّ: واللهِ إنَّ قلوبنا الّتي أبغضناك بها لَفي صدورِنا، وإنَّ أسيافَنا الّتي قاتلناك بها لَعلَى عواتقنا، ولَئِن أَدْنَيْتَ إلينا من الغَدر فِتْراً [الفِتر: المسافة ما بين طرف السَّبّابة والإبهام إذا فتحتَهما]، لَنُدْنِيَنَّ إليك من الشّرّ شِبراً، **وإنَّ حَزَّ الحلقوم وحشرجةَ الحيزوم** [أي الصَّدْر] **لأَهْوَنُ علينا من أنْ نسمعَ المساءةَ في عليّ**، فَسَلُّ السّيفِ يا معاوية باعثُ سَلِّ السّيف.

فقال معاوية: هذه كلماتُ حِكَمٍ فاكتبوها، وأقبل على عديّ محدِّثاً له كأنّه ما خاطبه بشيءٍ.

(المسعوديّ، مروج الذّهب)

إقامةُ الإمام السّجّاد عليه السلام في البادية بعد كربلاء

قال السّيّد ابن طاوس: عن جابر بن يزيد الجُعْفيّ، عن أبي جعفر [الباقر] محمّد بن عليٍّ عليه السلام، قال: «**كان أبي - عليّ بن الحسين عليهما السّلام - قد اتَّخذَ منزلَه من بعد مقتلِ أبيه الحُسين بن عليّ عليهما السّلام بيتاً من شَعر، وأقام بالباديةِ فلبثَ بها عدّةَ سنين كراهيةً لِمخالطتِه النّاس، وملابَستِهم، وكان يصيرُ** [يسير] **من البادية بمقامِه بها إلى العراق زائراً لأبيه وجدِّه عليهما السّلام، ولا يُشْعر بذلك من فعلِه..**».

(موسوعة شهادة المعصومين عليهم السّلام)

للخلاص من السِّجن

أمّا أدعية المسجون، فمن ذلك: أن يُكثر المسجونُ من قول: «**أَللّهُمَّ إنّي أسألُكَ العفوَ والعافيةَ والمُعافاة في الدُّنيا والآخرة**».

(الشّيخ الكفعميّ، المصباح)

عند العمل تُسْكَبُ العبرات

لا إخلاصَ إلّا بالخلوص من شوائب العُجب والرّياء، والتّجرُّدِ عن حبِّ المَدح والثّناء، وتطهيرِ العبادات الدّينيّة عن التّلويث بالمقاصد الدّنيويّة، ولا يكونُ ذلك إلّا بإخراجِ حبِّ الدّنيا من القلب، وقَصْرِ حبِّه على حبِّ الله تعالى، ويكون ذلك هو الدّاعي إلى العمل، وهو مِلاكُ الأمرِ ومدارُ الفضلِ. والطّريقُ العلميُّ إليه واضحٌ مكشوف، ولكنْ عند العملِ تُسْكَبُ العَبَراتُ وتكثُرُ العثراتُ. ولِاستدامةِ الفِكر في أحوال الدّنيا ومآلها، ومزاولةِ علم الأخلاقِ، الّذي هو طبُّ النّفس وعلاجُها، نفعٌ بيّنٌ في ذلك وتأثيرٌ ظاهرٌ، واللهُ الموفّق.

(الفقيه الشّيخ الجواهريّ، جواهر الكلام)

التَقَمَ أُذني فذَهَبَ بها..

في (مروج الذّهب) للمؤرّخ الشّهير المسعوديّ:

«رُئِيَ بالبصرة رجلٌ مصطلمُ [أي مقطوع] الأُذنِ، فسُئِلَ عن قصّته، فذَكَر أنّه خرجَ يوم الجَمل يَنظرُ إلى القَتلى، فنَظر إلى رجلٍ منهم يخفضُ رأسَه ويرفعُه، وهو يقول:

لقد أوردَتْنا حومةَ الموتِ أُمُّنا ... فلَم ننصرفْ إلّا ونحنُ رِواءُ

إلى أن قال: فصاحَ بي: أُدن منّي لقّنّي الشّهادة. فصرتُ إليه فلمّا قربتُ منه استدناني، ثمّ التَقَم أُذني فذهَبَ بها فجعلتُ ألعنُهُ، فقال: إذا صرْتَ إلى أُمّك فقالت: مَن فعل بك هذا؟ فَقُل: فَعَلَه بي مخدوعُ المرأةِ الّتي أرادت أن تكون أميرَ المؤمنين».

(التّستريّ، قاموس الرّجال)

«إلى الطّليعة المؤمنة»
رسائلُ في العقيدة والسّلوك

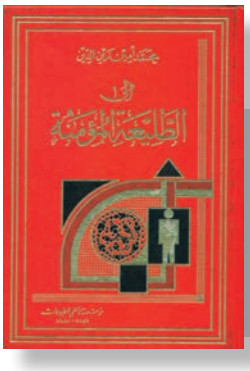

قراءة: سلام ياسين

الكتاب: إلى الطّليعة المؤمنة.
المؤلّف: المرجع الدّينيّ الشّيخ محمّد أمين زين الدّين (١٣٣٣- ١٤١٩ هجريّة).
النّاشر: «مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات»، بيروت ١٤٠٥ هجريّة.

(إلى الطّليعة المؤمنة) واحدٌ من كُتُب المرجع الرّاحل الشّيخ محمّد أمين زين الدّين رحمه الله، الّتي اهتمّ من خلالها بتربية الجيل الواعد، خصوصاً الّذين عصفَت بهم رياحُ التّغرُّب، وأظلمتْ أفكارَهم سُحُبُ المدِّ الإلحاديّ الماركسيّ في سبعينات وثمانينات القرن الرّابع عشر الهجريّ، الخمسينات والسّتّينات من القرن العشرين الميلاديّ.

وكتابُه هذا مجموعةٌ من الرّسائل كتبها ردّاً على تساؤلاتٍ كان يطرحُها عليه الشّباب المؤمن – بالمراسلة – خصوصاً الجامعيّين منهم، وبعضُها طلباً للإرشاد لِما ينبغي أن يواجهوا به زملاءَهم من ذوي النّزعات المادّيّة، فجاءت مادّةُ الكتاب مؤرِّخةً للواقع الفكريّ في تلك الحقبة، غنيّةً بالاستدلالات على أصول العقيدة وفروعِها، طافحةً بالتّوجيهات الأخلاقيّة، نابضةً بحنوّ الأبوّة ورعايتها. وكان الكتاب قد صدر عن مطبعة الآداب بالنّجف الأشرف سنة ١٣٨٧ هجريّة.

وإحدى ميزات الكتاب هي الأسلوبُ البيانيّ الّذي كُتِبَت مادّته فيه، حتّى أضحى وثيقةً مهمّةً في أدب الرّسائل. يقول أحدُ عارفي المؤلّف، وهو مَن تصدّى لكتابة ترجمةٍ له [انظر: أعلام من هذا العدد]: «إنّ رسائلَ شيخنا قدّس اللهُ نفسَه، تُمثّل أنموذجاً عالياً فريداً في آداب المراسلة، وهي تعبّر – كما لا يعبّر غيرُها – عن إمكانيّاته المتميّزة في الأدب الإنشائيّ الفنّيّ، وتعبّر – في الوقت نفسه – عن أسلوبه في الحوار العلميّ، وعن خُلُقه، وعرفانه».

وعن البُعد الوجدانيّ والعاطفيّ عند المؤلّف، يقول: «إنّ مَن يقرأ رسائله، رحمه الله، يجد لأوّل وهلةٍ أنّه يُلاشي الحواجزَ والمسافاتِ بينَه وبين مَن يراسلُه أو يحاوره، فهو أبٌ حانٍ حريصٌ بالنّسبة إلى البعض، وأخٌ صميمٌ صادقُ الصّلةِ والمحبّةِ بالنّسبة إلى البعض الآخر، لا فرقَ في ذلك بين ما يكون به مُجيباً أو مُبتدئاً، وذلك سرُّ ما تركته هذه الرّسائل من أثر، ومن فعلٍ نفسيٍّ وفكريٍّ لدى مَن كانوا الطّرف الآخَر فيها».

وجاء في نعي المؤلّف مِن قِبَل بعض عارفيه، وهو السّيّد محمّد الموسويّ: «وكم انتشلتْ كتاباتُه، وخصوصاً كتابه الرّائع (إلى الطّليعة المؤمنة) الّذي أجدُ فيه دواءً ناجعاً لداء الضّياع الّذي يعاني منه كثيرٌ من شباب اليوم، الّذين لم يتذوّقوا طعمَ الطّمأنينة القلبيّة، الّتي لا تنشأُ إلّا بذكر الله..».

الكتاب في نظر مؤلّفه

أمّا المؤلّف نفسه قدّس سرّه، فيقول معرّفاً بالكتاب: «هذه آثارٌ متفرّقةٌ، شاء الأدبُ أن يقاربَ ما بينها في لونٍ، وشاء الإسلامُ أن يجمع ما بينها في غايةٍ، وشاء واجبُ التّربية أن يشدَّها في إطارٍ وأن يضمّها في منهجٍ، وتآزرت هذه العواملُ فكان منها هذا المجهود الّذي أضعُه بين أيديكم اليوم».

وعن طبيعة مادّة الكتاب، يقول المؤلّف: «آثار متفرّقة حُرِّرتْ أجوبةً خاصّةً لبعض الأعزّاء من شباب الجيل، ثمّ حُذفتْ منها المخصّصات والمعيّنات، لتُقدَّم بحوثاً عامّة إلى الشّباب المؤمنين

برسالتهم، المتمسّكين بدينهم، لعلّها تؤدّي أمانة، وتفي بحقّ، وتُسهمَ في بناءٍ..».

وفي أولى رسائله الموجّهة إلى ولده «ضياء الدّين»، ثَمَّن المؤلّفُ فكرةَ ابنِه في جمع أجوبة رسائل الشّباب إليه في كتاب، يقول: «بنيّ! هذه إضمامةٌ من أحاديث العاطفة المؤمنة، ومن بلاغ الفكر المؤمن، كنتَ أنتَ السّبب في لمّها يوم بدأتْ تَرِدُ عليَّ رسائلُ إخوانك، يطلبون فيها أجوبةً لبعض المسائل وحلولاً لبعض المشاكل، فكنتَ تطلبُ منّي أن أحتفظَ بصورةٍ من كلّ جواب، لتُدوَّنَ في مجموعة، ثمّ تُنشَر في كتاب».

من الكتاب

*** في الرّسالة الأولى الّتي كتبها المؤلّف لولده، يقول متحدّثاً عن صلة العاطفة بالايمان:**

«بعد أن ينظرَ الفكرُ المجرَّدُ في ما يقدّمه الإسلام من أدلّةٍ ومُثبتات، ويقتنعَ اقتناعاً كاملاً بأنّ النّتائجَ الّتي دلّت عليها تلك الأدلّةُ حقٌّ لا ريبَ فيه «..» يأتي دورُ الإيمان بهذه النّتائج، وهي عمليّةٌ يشتركُ فيها العقلُ والنّفس «..» وتؤمنُ العاطفةُ وتؤمنُ المشاعرُ، كما يؤمنُ الفكرُ والقلبُ، ومعنى إيمانِ العاطفة أن تخضعَ لقيادة الإيمان ورقابتِه، فلا تنبسطَ لأحدٍ من النّاس، ولا تنقبضَ عنه إلّا وفقَ مقاييس الإيمان، وفي ضمن حدوده».

*** وجاء في جوابٍ له عن سؤالٍ حول رأي العلم الحديث بيوم القيامة، وقدرته على التّنبّؤ بها:**

«ولدي! إنّ حديثَ القيامة ونشر الأجساد.. غَيبٌ من الغيوب، وليس من مجالات العلم الحديث ليُحكمَ فيه أو يُتنبّأَ عنه، فقد عرفتَ وعرفَ كلُّ مطّلعٍ أنّ مجالَ العلم الحديث إنّما هو الأمور المادّيّة الّتي يُدركُها الحسّ، وتبلغُها الآلة، ولا تنالها التّجربة، وتقع عليها الملاحظة، وبديهيٌّ أنّ القيامةَ وشؤونَها وأحوالَها ليس من ذلك في شيء، فهي ليست من مجالات العلم المادّيّ ليقولَ قولتَه فيها بنفيٍ أو إثبات».

*** ويقول في جوابه لشابٍّ آخَر يشكو من جَهالة المجتمع ونزوعه نحو المادّيّة:**

«إنّ السّببَ هو الجهل، ومصدرُ الجهل هو تقصيرُنا نحن في تقديم الغذاء النّافع لأبنائنا، والدّواءُ النّاجع لأدوائهم - إلى أن يقول: ليعمل كلٌّ منّا في هذا السّبيل قدرَ طاقته ومبلغَ جهده وحسبَ اختصاصه، ليُثبتِ العالِمُ منّا أنّ العلمَ الكونيّ يُناصرُ الإسلامَ في كلّ خطوةٍ يخطوها، وفي كلّ نظرةٍ ينظرُها، وَلْيَقُلِ الطّبيبُ إنّ الطّبّ الحديث يُفلسفُ شريعةَ الإسلام في أحكامها، وليُعلن القانونيّ أنّ قانونَ الله تعالى أوفر ضماناً بتحقيق العدل، وأعظم رعايةً بالحقوق، وأدقّ ملاحظةً للحدود».

*** وفي الرّسالة نفسها الّتي يبدو أنّ المَعنيّ بها من الشّباب الدُّعاة، يقول:**

«والدّاعيةُ المسلمُ لا بدّ له من أن يستشعرَ الحبَّ في الله لِمَن يدعوه، والإخلاص في الدّعوة لنجاته، والثّقة الكاملة بالله في نُصحه وإرشاده».

*** وفي رسالةٍ يُجيب فيها شابّاً يشكو قلقَ أصحابه ممّن تراودُهم الشّكوك في أمور العقيدة، يقول:**

«علينا أن نستقبلَهم بابتسامة العطف، ونُشير لهم إلى مواضع الأمن، إنّهم قلقون خائفون أيّها الحبيب، وإنْ كانت سؤالاتُهم ومظاهرُهم تدلُّ على غير ذلك، فهل تَعِدُني أن تكونَ صلةً بين مَن تعرفهُ منهم وبين الموجّهين في النّجف أو في غير النّجف؟ و«**لئنْ يَهدِي اللهُ بكَ رجلاً واحداً، خَيْرٌ لكَ مِمّا طَلَعَت عليه الشّمسُ**».

***

كتاب (إلى الطّليعة المؤمنة) للمرجع الدّينيّ الرّاحل الشّيخ محمّد أمين زين الدّين، جديرٌ - لَمتانة محتواه وروعة سبْكِه - بأن يُترجَمَ إلى اللّغات الحيّة الأخرى، كي يستفيدَ منه شبابُ المسلمين الّذين لا يقرأون العربيّة أوّلاً، وعمومُ النّاس الباحثين عن الاستقرار النّفسيّ في عالمٍ لا يفتقرُ إلى شيءٍ، كما يفتقرُ إلى الاستقرار النّفسيّ والطّمأنينة.

كلامٌ في الرّقّ والاستعباد
حتّى العُصاة عبيدٌ لله تعالى..

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله

في سياق تفسيره للآية الثّامنة عشرة بعد المائة من سورة (المائدة)، وهي قولُه تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، يعقدُ العلّامة السّيّد الطّباطبائيّ في (تفسير الميزان) فصلاً مُسهباً للكلام على معنى الرّقّ والعبوديّة، يتناول فيه عناوين مهمّة مثل: قراءة تاريخيّة واجتماعيّة لنشوء الاستعباد، وسيرة الإسلام في العبيد والإماء،.. .

وقد استهلّ العلّامة الطّباطبائيّ بحثَه هذا، بالحديث عن مفهوم العبوديّة لله تعالى على ضوء الآيات القرآنيّة، فقال:

قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المائدة:١١٨، كلامٌ مُنبئٌ عن معنى الرِّقّ والعبوديّة. والآياتُ المتضمّنة لهذا المعنى، وإن كانت كثيرةً في القرآن الكريم، غير أنَّ هذه الآية مشتملةٌ على التّعليل العقليّ الكاشف عن أنّه لو كان هناك عبدٌ، كان من المُسَلَّم عند العقل أنَّ لِمولاه أنْ يتصرَّف فيه بالعذاب، لأنّه مولاه المالِكُ له.

والعقل لا يُحِقُّ الحكمَ بجواز التّعذيب، وتسويغ التّصرّف الّذي يشقّه [يشقّ على العبد] إلّا بعد حكمه بإباحة سائر التّصرّفات غير الشّاقّة؛ فللمولى أن يتصرَّفَ في عبده كيف شاء وبما شاء، وإنّما استثنى العقلُ التّصرّفات الّتي يستهجنُها بما أنّها تصرُّفاتٌ شنيعةٌ مُستهجَنةٌ، لا بما أنَّ العبدَ عبدٌ.

ولازمُ ذلك أيضاً أنَّ على العبد أنْ يطيعَ مولاه في ما كلَّفهُ به، وأن يَتبعَه في ما أراد، وليس له أن يستقلَّ بشيءٍ من العمل إنْ لم يرضَ به مولاه، كما يشير إلى ذلك بعض الإشارة قوله تعالى: ﴿..بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ الأنبياء:٢٦-٢٧، وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ..﴾ النّحل:٧٥. "..."

العبوديّة والرّقّ لله عزّ وجلّ في القرآن الشّريف

في القرآن الكريم آياتٌ كثيرةٌ جدّاً تعدّ النّاس عباداً لله سبحانه، وعلى ذلك يُبنَى أصلُ الدّعوة الدّينيّة: «**النّاسُ عبيدٌ واللهُ مولاهُم الحقّ**». بل ربّما تعدّى ذلك وأخذ كلّ مَن في السّماوات والأرض موسوماً بِسِمة العبوديّة، كالحقيقة المسمّاة بـ«المَلَك» على كَثرتها، والحقيقة الأخرى الّتي يسميّها القرآن الشّريف بـ«الجنّ». قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ مريم:٩٣.

ولا ريبَ في أنَّ اعتبار العبوديّة لله سبحانه أمرٌ مأخوذٌ بالتّحليل: وهو تحليل معنى العبوديّة إلى أجزائها الأصليّة، ثمّ الحكم بثبوت حقيقته بعد طرح خصوصيّاته الزّائدة الطّارئة على أصل المعنى في أُوْلِي العقل من

الخليقة. فهناك أفرادٌ من النّاس يُسمّى الواحد منهم عبداً، ولا يُسمّى به إلّا لأنَّ نفسَه مملوكةٌ لغيره مُلكاً يسوِّغ لذلك الغَير - الّذي هو مالكه ومولاه - أنْ يتصرَّف فيه كيف يشاء وبما أراد، ويسلبَ عن العبد استقلال الإرادة مطلقاً.

والتّأمُّل في هذا المعنى يُوجِب الحكمَ بأنَّ الإنسان - وإنْ شئتَ وسَّعت وقلتَ: كلُّ ذي شعورٍ وإرادةٍ - عبدٌ لله سبحانه بحقيقة معنى العبوديّة، فإنَّ اللهَ سبحانه مالكُ كلّ ما يُسمَّى شيئاً بحقيقة معنى المُلك؛ فلا يملكُ شيءٌ من نفسه ولا من غيره شيئاً من ضرٍّ ولا نفعٍ ولا موتٍ ولا حياةٍ ولا نشورٍ، ولا يستقلُّ أمرٌ في الوجود بذاتٍ ولا وصفٍ ولا فعلٍ، اللّهمّ إلا ما ملَّكَه اللهُ ذلك تمليكاً لا يُبطِلُ بذلك مُلكه تعالى، ولا ينتقلُ به المُلك عنه إلى غيره، بل هو المالكُ لِما ملّكَهم، والقادرُ على ما عليه أقدرَهم، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وبكلِّ شيءٍ محيطٌ.

وهذه السُّلطة الحقيقيّة والمُلك الواقعيّ هي المنشأُ لوجوب انقيادهم لما يريدُه منهم بإرادته التّشريعيّة، ولِمَا يصنعُ لهم من شرائع الدِّين وقوانين الشّريعة ممّا يُصلِحُ به أمرَهم، وتُحاز به سعادتُهم في الدّارَين.

والحاصلُ: أنّه تعالى هو المالكُ لهم مُلكاً تكوينيّاً يكونون به عبيدَه الدّاخرين [خاضعين لا حَوْلَ لهم ولا قوّة] لقضائه، سواء عرفوه أم جهلوه، أَطاعوه في تكاليفه أم عَصوه، وهو المالكُ لهم ملكاً تشريعيّاً يوجب له عليهم السَّمعَ والطّاعة، ويحكم عليهم بالتّقوى والعبادة.

ويتميَّز هذا المُلكُ والمولويّة بحسب الحكم عن المُلك والمولويّة الدّائر بين النّاس - وكذا العبوديّة المقابلة له - بأنَّ الله سبحانه لمّا كان مالكاً تكويناً على الإطلاق، لا مالكَ سواه، لم يَجُزْ في مرحلة العبوديّة التّشريعيّة اتِّخاذُ مولًى سواه ولا عبادةُ أحدٍ غيره، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ الإسراء:٢٣، بخلاف المَوالي من النّاس، فإنَّ المُلكَ هناك لِمَن غَلَب بسببٍ من أسبابِ الغَلَبة.

وأيضاً لمّا لم يكن في عبيده تعالى المملوكين شيءٌ غيرُ مملوكٍ له تعالى، ولم ينقسموا في وجودهم إلى مملوكٍ وغيرِ مملوكٍ، بل كانوا من حيث ذواتهم وأوصافهم وأحوالهم وأعمالهم مملوكين له تكويناً، تبع ذلك التّشريعُ، فحكمَ فيهم بدوام العبوديّة واستيعابها لجميع ما يرجعُ إليهم بوجهٍ من الوجوه، فلا يسَعُهم أن يعبدوا اللهَ من جهة بعض ما يرجعُ إليهم دون بعض، مثل أنْ يعبدوه باللّسان دونَ اليد. كما لا يسعُهم أن يجعلوا بعضَ عبادتِهم لله تعالى وبعضَها لغيره. وهذا بخلاف المولويّة الدّائرة بين النّاس، فلا يسعُ المولى - عقلاً - أن يفعلَ ما يشاء، تأمَّل فيه!

وهذا هو الّذي يدلّ على إطلاق أمثال قوله تعالى: ﴿..مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ..﴾ السّجدة:٤، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ..﴾ القصص:٧٠، وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ التّغابن:١.

اللّهُ تعالى هو المالكُ للعباد مُلكاً تكوينيّاً، سواء عرفوه أم جهلوه، أَطاعوه في تكاليفه أم عَصوه، وهو المالكُ لهم مُلكاً تشريعيّاً يوجبُ له عليهم السَّمعَ والطّاعة.

الكبائر

وصفُ الذّنوب بالصِّغَر إضافيّ

إعداد: «مركز المعجم الفقهيّ»

قيل في المعنى اللّغويّ لكلمة «الكبائر»، إنّها جمعُ كبيرة، مؤنّث كبير، ويُقابلها الصّغيرة. وقد يُرادُ بها ما يصعبُ ويشقُّ على النّفس.

واصطلاحاً، يُرادُ بها:

* المعصية الكبيرة، وهي كلُّ ما أوجبَ الحدَّ كالزّنا وشُرْب الخمر، وكلُّ شيءٍ نهى اللهُ عنه كالرّبا وشهادة الزّور وعقوق الوالدَين، وبعبارةٍ أخرى هي كلّ ما أَوعدَ اللهُ عليه النّار بخصوصه. هكذا في (معجم ألفاظ الفقه الجعفريّ).

* وفي (مجمع البحرين): الكبيرة هي كلُّ ذنبٍ جعلَ الشّارعُ له حدّاً، أو صرّح فيه بالوعيد، والصّغيرةُ ما عداه. وقيل كلُّ ذنبٍ عُلم حُرمَتُه بدليلٍ قاطعٍ.

* وفي (معجم لغة الفقهاء) نحو ما تقدّم.

مع الشّهيد الثّاني

يتطرّقُ الشّهيد الثّاني في كتابه (مسالك الأفهام) الذي هو شرحٌ لكتاب (شرائع الإسلام) للمحقّق الحلّيّ لمفهوم «**الكبائر من الذّنوب**»، فيقول:

«..وإنّما الكلام في أنَّ الذّنوب هل هي كلُّها كبائر، أم تنقسمُ إلى كبائر وصغائر؟ وقد اختَلَف الأصحابُ وغيرُهم في ذلك؛ فذهب جماعةٌ، منهم المفيد، وابنُ البرّاج، وأبو الصّلاح، وابنُ إدريس، والطّبرسيّ - بل نسبه في التّفسير إلى أصحابنا مطلقاً - إلى الأوّل [أي كلّها كبائر]، نظراً إلى اشتراكهما في مخالفة أمرِه تعالى ونَهيِه، وجعلوا الوصفَ بالكِبَر والصّغر إضافيّاً "..." [فـ] غصبُ الدّرهم كبيرةٌ بالنّسبة إلى غَصْبِ اللّقمة، وصغيرةٌ بالإضافة إلى غصبِ الدّينار، وهكذا..

وذهب المصنّف [المحقّق الحلّيّ] وأكثرُ المتأخّرين إلى الثّاني [أي أنّ الذّنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر]، عملاً بظاهر قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ..﴾ النّساء:٣١، دلّ بمفهومه على أنّ اجتناب بعض الذّنوب، وهي الكبائر، يكفِّر السّيّئات، وهو يَقتضي كَوْنها [أي كون المكفَّر عنها] غير كبائر. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ..﴾ النّجم:٣٢، مَدَحهم على اجتناب الكبائر من غير أن يضايقهم في الصّغائر. وفي الحديث: **إنّ الأعمال الصّالحة تُكفِّرُ الصّغائر**.

ثمّ على القول بالفرق بين الكبائر والصّغائر، فَللعلماء في تفسير الكبيرة وجوهٌ:

أحدُها: أنّها المعصيةُ الموجبةُ للحَدّ.

والثّاني: أنّها الّتي يلحقُ صاحبَها الوعيدُ الشّديدُ في الكتاب أو السُّنّة.

والثّالث: أنّها الذّنبُ الّذي توعَّد اللهُ عليه بالنّار؛ وعلى هذا القول دلَّ خبرُ ابن أبي يعفور عن الإمام الصّادق عليه السّلام، حيث سأله: بِمَ تُعرَفُ عدالةُ الرَّجُل بين المسلمين؟ [فذكرَ عليه السّلام جملةَ أمورٍ، ثمّ قال]: (..**وتُعرَفُ باجْتِنَابِ الكَبائِرِ الّتي أَوْعَدَ اللهُ عليها النّار**..).

ورُوي أنّها [أي الكبائر] سبعٌ، ورُوي [أنّها] إلى السّبعين أقرب.

إذا تقرَّر ذلك، فعلى القول الأوّل يقدحُ في العدالة مواقعةُ أيّ معصيةٍ كانت، ولا يَخفى ما في هذا من الحَرَج والضِّيق، لأنَّ غير المعصوم لا ينفكُّ عن ذلك، وقد قال تعالى: ﴿..وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ..﴾ الحجّ:٧٨. وأجاب ابنُ إدريس بأنَّ الحرجَ ينتفي بالتّوبة. وأُجيبَ بأنّ التّوبةَ تُسقِطُ الكبائرَ والصّغائر، ولا يكفي في الحكم بالتّوبة مُطلَقُ الاستغفار وإظهارُ النّدم، حتّى يُعلَم من حاله ذلك، وهذا قد يؤدّي إلى زمانٍ طويلٍ يفوتُ معه الغرَضُ من الشّهادة ونحوها، فيبقى الحرَج.

وعلى الثّاني، يعتبَر [في عدالة الرّجُل] اجتنابُ الكبائر كلِّها وعدمُ الإصرار على الصّغائر، فإنّ الإصرارَ عليها يُلحِقُها بالكبيرة، ومن ثمّ ورد: (**لا صغيرةَ مع الإصرار، ولا كبيرةَ مع الاستغفار**)، والمُرادُ بالإصرار الإكثارُ منها، سواء كانت من نوعٍ واحدٍ أم من أنواعٍ مختلفة، وقيل المداومةُ على نوعٍ واحدٍ منها. ولعلَّ الإصرار يتحقَّقُ بكُلٍّ منهما، وفي حكمِه العزمُ على فعلها ثانياً، وإنْ لم يفعَل..».

العمل

كلُّ فعلٍ مقصودٍ تحقّقَ في الخارج

الشّيخ حسن المصطفويّ*

العمل: هو إيجادُ الأثرِ في الشيّء، يُقال: فلانٌ يعملُ الطّينَ خزَفاً، ويعملُ الخُوصَ زنبيلاً [الخُوص ورق النّخيل، والزّنبيل السّلّة]، ولا يُقال: يفعلُ ذلك، لأنّ فعلَ ذلك الشيّء هو إيجادُه. هكذا في (الفروق اللّغويّة).

وفي (مفردات الرّاغب): إنّ العملَ هو كلُّ فعلٍ يكون من الحيوان بقصدٍ، فهو أخصُّ من الفعل، لأنّ الفعل قد يُنسَب إلى الحيوانات الّتي يقع منها فعلٌ بغير قصدٍ، وقد يُنسَب إلى الجمادات، والعمل قلّما يُنسَب إلى ذلك، ولم يُستعمَل العمل في الحيوانات إلّا في قولهم: «البقر العوامل».

والتّحقيق أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يتظاهرُ من الفعل في الخارج. وسبق في الشّأن: إنّ الإفاضات والإظهارات الخارجيّة باقتضاء الحالات الباطنيّة، من جهة أنّها منتسبةٌ إلى الفاعل وبلحاظ الصّدور: يطلَق عليها الشّأن، وإذا لوحظت منتسبةً إلى جانب الوقوع والتّحقّق في الخارج، يُطلَق عليها العمل.

فالعمل: ما يكون واقعاً في الخارج من الفعل، إذا لوحظ من حيث هو واقعٌ ومتحقّقٌ. وهو أيضاً عبارة عن صدور الفعل باختيار، وإيجادِه عن قصد، وهو مخصوصٌ بالإنسان وكلِّ من الحيوان في مورد قدرته واختياره.

أنواعُ العمل

من أنواع العمل:

* **العملُ من الله عزّ وجلّ**: هو إيجادُه تعالى أمراً بمقتضى المورد والمقام، كما في قوله سبحانه: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ هود:١٢١-١٢٢.
* **العمل الصّالح**: كما في الآية: ﴿..وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء:٩.
* **العمل السّيّئ**: كما في الآية: ﴿..فَلَا يُجْزَىٰٓ ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ القصص:٨٤.
* **مطلَق العمل**: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ..﴾ هود:١١١. ﴿..وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ..﴾ البقرة:١٣٩.

فالعمل، إذاً، هو ما يتكوّن ويتحصّل من الفعل الاختياريّ، من حيوانٍ، أو إنسانٍ، أو جنٍّ، أو شيطانٍ؛ فإنّ الاختيار هو من آثار القدرة. وكلُّ عملٍ - صالحاً كان أو سيّئاً - فله أثرٌ طبيعيّ، وأثرٌ جزائيٌّ وإلهيّ.

***

والعملُ الصّالح **مرحلةٌ أوّليّةٌ** من مرحلتَي الكمال والسّعادة الإنسانيّة، ويُوجب صفاءً ونقاءً وطهارةً في الحواسّ والأعضاء الظّاهريّة.

﴿.. فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ الكهف:١١٠.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ..﴾ الجاثية:٣٠.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً..﴾ النّحل:٩٧.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ الفرقان:٧١.

والمرحلة الثّانية: خلوصُ الباطن وإخلاصُ القلب وتزكيةُ النّفس، وهو المرادُ بقوله تعالى: ﴿..وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ الكهف:١١٠.

وأمّا العملُ السّيّئ: فهو يمنع عن التّوبة والتّوجّه إلى الله تعالى، ويبقى صاحبُه في درجة البهائم محروماً عن التّوجّهات والألطاف الرّوحانيّة، وما له من الحياة إلّا حياةٌ حيوانيّةٌ ماديّة، وعيشٌ ظاهريٌّ بدَنيّ. ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا..﴾ العنكبوت:٤.

﴿..إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ يونس:٨١.

نعم، إنّ العمل السّيّئ لا يزيد صاحبه إلّا بعداً وخساراً، ولا يُجزَى إلّا بمثلها، كما قال تعالى:

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ الزلزلة:٨.

﴿..كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ..﴾ البقرة:١٦٧.

* من كتابه: (التّحقيق في كلمات القرآن الكريم) بتصرّف بسيط

حِكَم

من مواعظ النّبيّ إدريس عليه السّلام

* موعظتُه عليه السّلام في التّقوى:

«واعمَلُوا واستَيقِنُوا أنّ تقوى الله هي الحكمةُ الكُبرى، والنِّعمةُ العظمى، والسَّببُ الدّاعي إلى الخير، والفاتحُ لأبوابِ الخَيرِ والفهمِ والعقلِ».

* مواعظُه عليه السّلام في الصّلاة:

«إذا دخلتُم في الصَّلاة فاصْرِفُوا لها خَواطرَكُم، وأفكارَكُم، وادْعُوا اللهَ دعاءً طاهراً متفرّغاً، وسَلُوهُ مَصالحَكُم، ومَنافِعَكُم، بِخُضوعٍ، وخُشوعٍ، وطاعةٍ، واسْتِكَانةٍ، وإذا بركتُم وسَجَدْتُم فابعدُوا عن نفوسِكُم أفْكَارَ الدُّنيا وهَوَاجِسَ السُّوءِ، وأفعالَ الشّرّ، واعتِقادَ المَكْرِ، وأكلَ السُّحْتِ والعُدْوانِ والأحْقَاد، واطْرَحُوا بينكُم ذلكَ كُلِّه».

* مواعظُه عليه السّلام في الدّعاء:

«ادْعُوا اللهَ في أكثرِ أوقاتِكُم، مُقاصِدينَ مُتألِّهينَ في دُعائِكُم، فإنّه إنْ يَعلم منكُم التّظافُرَ والتّوازُرَ يُجيبُ دعاءَكُم، ويَقضي حاجاتِكُم، ويُبلِّغكُم آمالَكُم، ويُفْضِي عَطاياهُ عليكُم مِن خَزائِنِهِ الّتي لا تَفْنَى».

* مواعظه عليه السّلام في الموت:

«وكلُّ عمرٍ وإنْ طالَ فَعَن قليلٍ يَفْنَى، لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ لِوقتٍ معلومٍ».

«فاعتَبِرْ بالموتِ يا ابنَ آدم، واعْلَم أيُّها الإنسانُ أنَّ أشدَّ الموتِ ما قَبْله، والموتُ أَهْوَنُ مِمَّا بعده من شدَّةِ أهوالِ يومِ القيامة».

(السّيّد ابن طاوس، سعد السُّعود)

لغة

كلل

* **الْكَلَالَةُ**: أَن يَمُوت الْمَرْء وَلَيْسَ لَهُ وَالِدٌ أَو ولدٌ يَرِثهُ، بل يَرِثهُ ذَوُو قَرَابَته؛ وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ...﴾ النّساء: ١٧٦.

قال ابن بَرّيّ: اعلم أَن الكَلالة في الأَصل هي مصدر كَلَّ الميتُ يَكِلُّ كَلاًّ وكَلالةً، فهو كَلٌّ إِذا لم يخلّف ولداً ولا والداً يرثانه، هذا أَصلُها. وقال ابن الأَثير: الأَب والابن طرَفان للرّجُل فإِذا مات ولم يخلِّفهما فقد مات عن ذهاب طَرَفَيْه، فَسُمّي ذهابُ الطّرَفين كَلالةً، وقيل: كلُّ ما احْتَفَّ بالشيء من جوانبه فهو إِكْلِيل، وبه سُمِّيت لأَنّ الوُرَّاث يُحيطون به من جوانبه.

* **الإِكْلِيلُ**: شبهُ عِصابةٍ مزيَّنةٍ بالجواهر، والجمع أَكاليلُ على القياس، ويُسمّى التّاجُ إِكْلِيلاً، من التَّكَلُّلِ وهو الإِحاطة. والإِكْلِيلُ: منزِلٌ من منازلِ القمر. وإِكْلِيلُ المَلِكِ: نبتٌ يُتداوَى به.

* **الكَلُّ**: اليتيم؛ يُقال: أَكُولٌ لمالِ الكَلِّ قَبْلَ شَبابِه. **والكَلُّ** الذي هو عِيالٌ وثِقْلٌ على صاحبه؛ قال الله تعالى: ﴿...وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ...﴾ النّحل: ٧٦، أَي عِيالٌ. وأَصبح فلانٌ مُكِلّاً إِذا صار ذوو قَرابته كَلّاً عليه، أَي عِيالاً، والكَلُّ: العَيِّلُ والثِّقْلُ، الذّكَر والأُنثى في ذلك سواء. ورجلٌ كَلٌّ: ثقيل لا خيرَ فيه.

* **الكالُّ**: المُعْيي. وكَلَّ الرّجلُ إِذا تَعِبَ، يَكِلُّ كَلالاً وكَلالةً.

* **كَلَّلَ عن الأَمر**: أَحْجَم. وكَلَّلَ عليه بالسّيفِ وكَلَّل السّبعُ: حَمَلَ، والكِلَّةُ مصدر قولك: سيفٌ كَلِيلٌ بيّنُ الكِلَّةِ. ويقال ثَقُلَ سمعُهُ وكَلَّ بصرُه وذَرَأَ سِنُّهُ.

(لسان العرب، بتصرّف)

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسيّة

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ..﴾

قال الأصمعيّ: دخلتُ على الرَّشيد، وكنت غِبْتُ عنه حولَين بالبصرة، فأومأَ إليّ بالجلوس قريباً منه، فجلستُ قليلاً، ثمّ نهضتُ، فأوْمَأ إليَّ أن اجلس، فجلستُ، حتّى خفَّ النّاس.

ثمّ قال لي: يا أصمعيّ، ألا تحبُّ أن ترى محمّداً وعبد الله؟ [يقصد ابنَيه الأمين والمأمون]

قلت: بلى "..." إنّي لَأُحِبُّ ذلك، وما أردتُ القيامَ إلّا إليهما، لأُسلِّم عليهما.

قال: تُكفى. ثمّ قال: عليَّ بمحمدٍ وعبد الله. "..." فأقبلا "..." فسلَّما عليه بالخلافة، وأومأَ إليهما، فدنيَا منه، فأَجلسَ محمّداً عن يمينه، وعبدَ الله عن شماله. ثمّ أمرَني بمطارحتِهما، فكنتُ لا أُلقي عليهما شيئاً من فنون الأدب إلّا أجابا فيه وأصابا. فقال: كيف ترى أدبهُما؟

قلت: "..." ما رأيتُ مثلَهما في ذكائهما وجودة ذهنهما «..» فضمَّهما إلى صدره، وسبقته عبرتُه حتّى تحدَّرت دموعُه. ثمّ أَذِنَ لهما، حتّى إذا نهضَا وخرجَا، قال: كيف بك إذا ظهرَ تعاديهما وبَدا تباغضُهما، ووقع بأسُهما بينهما حتّى تُسفكَ الدِّماء، ويودّ كثيرٌ من الأحياء أنّهم كانوا موتى؟

فقلت: "..." هذا شيءٌ قضى به المنجِّمون عندَ مولدِهما، أو شيءٌ أثرته العلماءُ في أمرهما؟

قال: بل شيءٌ أثرته العلماءُ عن الأوصياءِ عن الأنبياءِ في أمرهما.

قالوا: فكان المأمونُ يقول في خلافته: «قد كان الرّشيد سمعَ جميعَ ما جرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمّد، فلذلك قالَ ما قال».

(الدّينوريّ، الأخبار الطّوال - مختصَر)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

بنت جبيل

تقع مدينةُ بنت جبيل جنوب لبنان على حدود فلسطين، وترتفع عن سطح البحر ٧٧٠ متراً. هي مركز قضاء بنت جبيل لمحافظة النّبطيّة. تبعد عن صيدا ٨٣ كلم، وعن بيروت ١٢٢ كلم، وتبعد عن النّبطيّة حوالي ٩٠ كلم. مساحة أراضيها ٣٢٠ هكتاراً.

بنت جبيل تعني بيت شمس، أو بيت صناعة الخزف، ويقال بأنّ إحدى الأميرات نزحت إليها نتيجة ظرفٍ ما، فعُرفت بـ«بنت جبيل».

كانت مركز النّاحية أيّام أمراء آل عليّ الصّغير. بنى بها الشّيخ حسين السّلمان سرايا (دار إمارة) سكنها هو وابناه سلمان وتامر. ثمّ أُلحقت بنت جبيل بمرجعيون، ثمّ بصور بعد الاحتلال الفرنسيّ.

في عام ١٣٠٠ للهجرة، بنى الحاجّ سليمان البزّيّ جامعاً كبيراً، وفي سنة ١٣٥٠ للهجرة عُبّدت طريقها الرّئيس.

من علمائها: الشّيخ موسى بن أمين شرارة، أنشأ فيها مدرسةً دينيّةً بعدما حضر إليها من العراق سنة ١٢٩٨ للهجرة. ربّى في مدرسته جماعةً من العلماء، ووعظَ وأفاد، ونشرَ إقامةَ عزاء سيّد الشّهداء عليه السلام على طرازٍ أحسن من السّابق، مقتبَسٍ من طريقة أهل العراق، وهذّب الأدب العامليّ.

ومنهم: ولدُه الشّيخ عبد الكريم، وولداه الشّيخ محسن والشّيخ موسى (الّذي قطنَ في الهرمل).

ومنهم: السّيّد مهديّ الحكيم النّجفيّ، والشّيخ عبد الله البزّيّ، والشّيخ حسين البزّي، والشّيخ عليّ شرارة.

وكان لها بعثاتُها العلميّة إلى النّجف الأشرف، وقد افتتحَ بعضُ شبابها النّاهض مكتبةً للقرّاء مجّاناً.

(السّيّد محسن الأمين، خُطط جبل عامل - بتصرّف)

وَهذِّبِ النَّفْسَ بِحُسْنِ الخُلُقِ

❖ شعر: السّيّد حسن اللّواسانيّ

أبيات شعريّة للسّيّد حسن اللّواسانيّ أوردَها في كتابه (نور الأفهام في علم الكلام) يخاطبُ بها ابنَه، واعظاً إيّاه بالابتعاد عن الحسَد والخيانة، وعن السّفهاء والجهلَة وأهل الهوى، وداعياً إيّاه إلى الإسراع إلى التّوبة، والاقتراب من أهل العلم والنّصح والتّقوى، وغير ذلك من النّصائح التي تظهر في تلك الأبيات.

وَلا تَكُنْ بِحاسِدٍ فمَنْ حَسَدْ ... أَوْهَنَ دينَهُ وَأَنْحَلَ الجَسَدْ
فَإنَّهُ في أَلَمٍ وَفي كَمَدْ ... وَعُرْضَةٌ لِمَقْتِ رَبِّهِ الأَحَدْ
وَإنْ شَمَمْتَ حَسَداً فَسارِعِ ... في نَقْضِ مُقْتَضاهُ بِالتَّواضُعِ
وإن حُسِدْتَ فَدَعِ الّذي حَسَدْ ... مُبْتَلياً بِما بِهِ مِنَ الكَمَدْ
وَلا تَخُنْ خائِنَكَ الّذي ائْتُمِنْ ... وَقابِلِ القَبيحَ مِنْهُ بِالحَسَنْ
وإنْ تُقارِفْ سَيِّئاً فَعَجِّلِ ... في مَحْوِهِ وَتُبْ إلى اللهِ العَلِيْ
وَلا تُشاوِرْ غَيْرَ مَنْ قَدْ هَذَّبَهْ ... عِلْمٌ، وَنُصْحٌ، وَتُقًى، وَتَجْرِبَةْ
وَلا تُقابِلِ السَّفيهَ وَاعْتَزِلْ ... أَهْلَ الهَوى وَلا تُخاطِبْ مَنْ جَهِلْ
وَإنْ يُخاطِبْكَ فَقُلْ: سَلاما ... وَاخْفِضْ وَلِيِّنْ مَعَهُ الكَلاما
وَسائِسِ السَّفيهَ بِالإعْراضِ ... عَنْ فِعْلِهِ وَتَرْكِ الاعْتِراضِ
وَلا يَغُرَّنَّكَ أَبْناءُ الهَوى ... وَمَنْ لِدُنْياهُ تَمَطّى وَغَوى
فَلَيْسَتِ الدُّنْيا بِدارِ نَجْعَةِ ... بَلْ هِيَ دارُ فُرْقَةٍ وَقَرْعَةِ
دارُ عَياءٍ وَلُغوبٍ وَنَصَبْ ... وَبَيْتُ ذُلٍّ وَافْتِقارٍ وَتَعَبْ
لَمْ يَكُ لِلرّاحَةِ فيها مِنْ أَثَرْ ... كَيْفَ؟ وَصَفْوُها مَشوبٌ بِالكَدَرْ!
قَدِ اقْتَفى إدْبارُها إقْبالَها ... وَإنْ أَتَتْ عَفْواً فَلا جَدْوى لَها
بُنَيَّ! إنَّ العَيْشَ في الدُّنْيا نَكَدْ ... وَإنْ طَلَبْتَ الصَّفْوَ مِنْهُ لَمْ تَجِدْ
وَإنْ وَجَدْتَهُ فَلا أَهْلاً وَلا ... سَهْلاً بِهِ إنْ صَدَّ عَنْ نَيْلِ العُلا "..."
وَكُنْ إذا رُمْتَ النَّجاةَ وَرِعا ... في الأَجْوَفَيْنِ: الفَمِ وَالفَرْجِ مَعا
فَقَيِّدِ اللِّسانَ بِالصَّمْتِ وَلا ... تَنْطِقْ إذا لَمْ تُكْثِرِ التَّأَمُّلا
وَفِهْ بِما فيهِ رِضا الرَّبِّ ... فَغَيْرُهُ مُسَوِّدٌ لِلْقَلْبِ
وَهَذِّبِ النَّفْسَ بِحُسْنِ الخُلُقِ ... وَالصَّفْحِ وَالحِلْمِ وَلِينِ المَنْطِقِ
فَإنَّ حُسْنَ الخُلُقِ في الإنْسانِ ... أَثْقَلُ ما يوزَنُ بِالمِيزانِ
وَحَلِّها بِالعِلْمِ مِيراثِ النَّبِيِّ ... وَزَيِّنِ العِلْمَ بِحُسْنِ الأَدَبِ "..."
وَاجْهَدْ وَلَكِنْ لا تَكُنْ مُؤَمِّلا ... غَيْرَ رِضا اللهِ عَنْها بَدَلا
وَنَوِّرِ القَلْبَ بِنورِهِ، وَفِ ... بِحَقِّهِ مِنْ نَشْرِهِ في الصُّحُفِ
وَبُثَّهُ فيمَنْ تَراهُ أَهْلا ... مَنْ إنْ تَوَلّاهُ فَلَنْ يَزِلّا
وَاطْلُبْ بِهِ الدِّينَ وَصَفَّ النِّيَّةْ ... مِنْ خَطَراتِ نَفْسِكَ الدَّنِيَّةْ

إصدارات عربية

الكتاب: القصّة الكاملة للاستشهاديّين في لبنان

المؤلِّف: حميد داوود آبادي

ترجمة: موسى قصير

النّاشر: «الدّار الإسلاميّة»، بيروت ٢٠٠٨م

كتاب «القصّة الكاملة للاستشهاديّين في لبنان» للمؤلِّف حميد داوود آبادي، صدر باللّغة الفارسيّة، وترجمَه إلى العربيّة وعلّق عليه موسى قصير، وصدر عن «الدّار الإسلاميّة» في بيروت عام ٢٠٠٨م. الكتاب هو – كما يقول المؤلّف: ثمرةُ حبِّه للشّهادة والاستشهاديّين، ما دفعه إلى التّردّد إلى لبنان مراراً وتكراراً، لجمع المعلومات عن تاريخ العمليّات الاستشهاديّة خلال فترة الاحتلال الصّهيونيّ لجبل عامل. يقول المؤلِّف داوود آبادي في مقدّمة كتابه: «في ربيع عام ١٩٨٣م، شاهدتُ لبنان لأوّل مرّة، ووقعت في عشقه دون إرادة.. إنّ ما تقرؤونه هو ثمرةٌ لسفراتي العديدة إلى تلك الدّيار الصّغيرةِ مساحةً، العظيمةِ قيمةً وقدراً، تلك الدّيار الّتي شُغِفتُ بها، فشغلَني حبُّها لسنواتٍ طوال، وكانت معلوماتي خلالها تزدادُ شيئاً فشيئاً، فتزدانُ بزنابق الشّهادة الحمراء، حتّى بلغتْ ما أقدّمُه الآن بين أيديكم». يعرض الكتاب المرحلة الممتدّة بين الاجتياح الصّهيونيّ للبنان سنة ١٩٨٢م، بدءاً من عمليّة الاستشهاديّ الأوّل أحمد قصير في ١١/ ١١/ ١٩٨٢، وصولاً إلى العمليّة الاستشهاديّة الأخيرة الّتي سبقت اندحارَ الجيش الصّهيونيّ عن الأراضي اللّبنانية عام ٢٠٠٠م، والّتي كان بطلُها الشّهيد عمّار حمّود في ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٩. كما يوثّق الكتاب لـ «مجزرة صبرا وشاتيلا»، وحوادث أُخَر جرتْ في مطلع ثمانينيّات القرن الماضي، والأجواء المرافقة لتلك الأحداث. وفي رحاب الاستشهاديّين أنفسِهم، فقد حرص المؤلّف على زيارة عوائلهم وأقاربهم وأماكن استشهادهم، وسرْدِ اللّحظات الأخيرة من حياتهم، والتّركيز على روحيّتهم العالية، وتصميمِهم على نيل مرتبة الشّهادة. هذا، ويتضمّنُ الكتاب أبرزَ التّصريحات السّياسيّة الّتي أعقبت الأحداثَ المذكورة كما وردتْ في الصّحف المحلّيّة والعالميّة، وهو مدعّمٌ بمجموعةٍ كبيرةٍ من الصّور والوثائق.

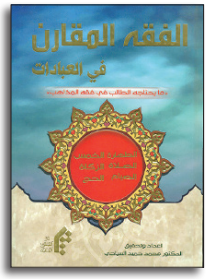

الكتاب: الفقه المقارن في العبادات

إعداد وتحقيق: الشّيخ د. محمّد حميد السّياحي

النّاشر: «دار المصطفى العالميّة»، بيروت ٢٠١١م

كتاب (الفقه المقارن في العبادات) هو عبارة عن تلخيص لكتاب (الفقه على المذاهب الخمسة) للعلّامة الشيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله، وبهامشه آراء لفقهاء متأخّرين. والكتاب في ستّة فصول: الطّهارة، والصّلاة، والصّيام، والخُمس، والزّكاة، والحجّ.

قدّمَ له سماحة العلّامة الشيخ محمّد يزبك، معرّفاً بالمؤلِّف وبالكتاب.

الكتاب: العرفُ الورديّ في أخبار المهديّ عليه السّلام

المؤلِّف: جلال الدّين السّيوطيّ الشّافعيّ

تحقيق: الدّكتور مهدي أكبر نجاد

النّاشر: «هستى نما»، طهران ٢٠٠٩م

كتاب «العُرف الورديّ في أخبار المهديّ» رسالةٌ لجلال الدّين السّيوطيّ (ت: ٩١١ للهجرة)، قام بتحقيقها وتصحيحها والتّعليق عليها الدّكتور مهدي أكبر نجاد. يقول المحقّق في مقدّمة الكتاب، بعد أن أورد ثبتاً بالمصادر المعتبَرة لأهل السّنّة الّتي تناولت روايات الظّهور وأكّدتها: «ومن المؤلّفات المهدويّة، الرّسالة القيّمة لجلال الدّين السّيوطيّ بعنوان (العُرف الورديّ في أخبار المهديّ)، وتعتبَر في حدّ ذاتها من الرّسائل القيّمة حول المهدويّة .. وقد خطر ببالي أن أقوم بتصحيح وتحقيق هذه الرّسالة الثّمينة..».

يتضمّن الكتاب ٢٥٣ حديثاً، قال السّيوطيّ إنّه لخّصَ فيها الأحاديث والآثار الواردة في الإمام المهديّ عليه السلام، وهي الأحاديث الّتي جمعها الحافظ أبو نعيم الإصبهانيّ (ت: ٤٣٠ للهجرة) في كتابه (أربعون حديثاً في المهديّ)، وزاد عليها ما فاته.

الكتاب: مقباسُ المصابيح در تعقيبات نماز وآثار آن (مقباس المصابيح في تعقيبات الصّلاة، وآثارها)

المؤلِّف: العلّامة المجلسيّ الثّاني

تحقيق: قاسم تركي؛ والسّيّد مصطفى الموسويّ

النّاشر: «الحوزة العلميّة في أصفهان»، أصفهان ٢٠١٢م

(مقباس المصابيح) كتابٌ في الأدعية الواردة في تعقيبات الصّلوات وغيرها، للمحدّث الشّيخ محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسيّ الأصفهانيّ، (مؤلّف بحار الأنوار)، المتوفّى سنة ١١١١ للهجرة.

الكتاب - وهو على نسَق (مفتاح الفلاح) للشّيخ البهائيّ العامليّ - في عشرة فصول. الأوّل في فضيلة التّعقيب وشرائطه وآدابه. الثّاني في التّعقيبات العامّة بعد الصّلوات كافّة. والفصول الخمسة التّالية في التّعقيبات الخاصّة بكلّ الفرائض، بدءاً بالظّهر وانتهاءً بالصّبح. الفصل الثّامن في فضيلة سجدة الشّكر وكيفيّتها، والفصلان الأخيران في أدعية الصّباح والمساء والسّاعات.

يقول العلّامة المجلسيّ في مقدّمة (المقباس)، إنّ نصوصه وردت متفرّقةً في (بحار الأنوار)، لكنّه ارتأى جمعَها في مصنَّفٍ واحدٍ، وترجمة أحاديثها إلى الفارسيّة، مع الإشارة إلى صحّة كلّ حديثٍ وقوّته من حيث السّند، تسهيلاً على القارئ والدّاعي في اختياره من بينها.

ولمّا كانت الأحاديث والأدعية «مقتبسةً» من كُتب المتقدّمين و«مصابيحهم» كـ (مصباح المتهجّد)، و(مصباح الكفعميّ)، وغيرهما، فقد سمّاه (مقباس المصابيح)، كما صرّح رضوان الله عليه.

يُشار إلى أنّ التّرجمة إلى الفارسيّة اقتصرت على الرّوايات والأسانيد والتّعريفات بالأعمال والأدعية دون متونها.

الكتاب: عالم ذر (عالم الذّرّ)

المؤلِّف: محمّد عليّ سليمانيّ

النّاشر: «مؤسّسة الفكر والثّقافة الدّينيّة»، قمّ ٢٠٠٦م

يتناول هذا الكتاب حقيقة (عالَم الذّرّ) على ضوء الآيات القرآنيّة، وما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام، ويهدف - كما ورد في تمهيد المؤلّف - إلى تحقيق ثلاثة أغراض:

١- الإحاطة بالأهداف التّربويّة القرآنيّة من ورود هذا المبحث في الكتاب العزيز.

٢- إحياء إحدى التّعاليم القرآنيّة المهجورة.

٣- الإجابة على مجموعة أسئلةٍ حول أسرار خلق البشر والعالم.

الكتاب: چهل نامه عرفانى (أربعون رسالة عرفانيّة)

إعداد: ياور أميري

النّاشر: «انتشارات تشيع»، قمّ ٢٠٠٨م

هذا الكتاب وكما يظهر من اسمه، يتضمّن نصوص أربعين رسالة، هي توجيهاتٌ علميّة وأخلاقيّة وعباديّة، حرّرها على مرّ العصور جمعٌ من الفقهاء والعلماء الأبرار، بعضُها عامٌّ ورد في مطاوي كتُبهم، وبعضها الآخر خاصٌّ عنوا بها شخصاً بعينه.

أقدمُ هذه الوصايا هي للفقيه ابن حمزة الطّوسيّ (القرن الهجريّ السّادس)، تليها وصيّة المحقّق الحلّيّ (القرن السّابع)، فالشّهيد الأول - وصيّتان - والعلّامة الحلّيّ (القرن الثّامن)، ثمّ الشّهيد الثّاني (القرن العاشر)، وصولاً إلى القرن الخامس عشر الحاليّ، ومجموعة من الوصايا للإمام الخمينيّ، وآية الله الشّيخ بهجت، رضوان الله عليهما.

وفي الفترة المتوسّطة، تظهر رسائل وتوجيهات أعلام كبار مثل الفيض الكاشانيّ، المجلسيّ الأوّل، السّيّد أحمد الكربلائيّ، السّيّد عليّ القاضي، الشّيخ حسين قلي الهمدانيّ، الشّيخ الشّاه آباديّ، العلّامة الطّباطبائيّ وغيرهم.

«كتاب شيعة» (٤)

صدر عن (مؤسسه كتابشناسى شيعه) في مدينة قمّ المقدّسة، العدد الرّابع من المجلّة المرجعيّة نصف السّنويّة (كتاب شيعه)، وتُعنى بالدّراسات الببليوغرافيّة للمصنّفات الإماميّة، والتّراجم، والتّعريف بالرّسائل الرّجاليّة، والمخطوطات، والمستدركات الحديثة على الكُتُب المتقدّمة.

خُصّص القسم الأكبر من العدد الجديد للحديث عن (صاحب العروة) السّيّد محمّد كاظم اليزديّ، وتحت هذا العنوان مجموعة من الدّراسات المهمّة، منها على سبيل المثال:

- «تقرير عن قضايا (الثّورة الدّستوريّة) في النّجف الأشرف وموقف السّيّد اليزديّ منها»، بقلم السّيّد هبة الدّين الشّهرستانيّ.
- «مقال عن رسائل السّيّد اليزديّ وإجازاته».
- قراءة في (العروة الوثقى)، للشّيخ رضا مختاريّ.
- «السّيّد اليزديّ وأوضاع الحوزة العلميّة في النّجف الأشرف».

وجاءت سائر المواضيع، بحسب الأبواب كما يلي:

*** تراجم بأقلام أصحابها:**

- «ترجمة آية الله محمّد تقي الآمليّ».
- «ما حكاه الإمام الخمينيّ عن حياته».

*** الوثائق والوصايا:**

- «وثيقة ذرّيّة السّيّد محسن الأمين بخطّه»، بقلم د. يوسف طباجة.

*** الإجازات والتّقريظات:**

- «إجازات الفاضل الأردكانيّ»، بقلم علي فاضلي.
- «تقريظ آية الله الآمليّ على حاشية الرّسائل للسّيّد الأردبيليّ».

*** نقد الكتُب والتّعريف بها:**

- «حواشي المحقّق الطّباطبائيّ على كتاب المُجدي في أنساب الطالبيّين».
- «مجرّد إشارة إلى الدّكتور محمّد عمارة».

*** ضروريّات التّحقيق**

- «مدخل إلى المصطلحات العاشورائيّة»، بقلم محمّد رضا فخر روحانيّ.

*** فرائد من المخطوطات**

- «وصيّة أخلاقيّة - عقائديّة للميرزا أبي الفضل نجم آباديّ».

يُشار إلى أنّ (مؤسسه كتابشناسى شيعه) تأسّست سنة ٢٠٠٦م في مدينة قمّ المقدّسة، بهدف «رصد التّراث الشّيعيّ المخطوط، والتّعريف به وبأصحابه تعريفاً دقيقاً وعلميّاً ومتقناً وشاملاً»، وقد وضعت المؤسّسة نصبَ عينها تحقيق إنجازَين اثنَين:

١- إعداد (موسوعة تاريخ التّراث الشّيعيّ) في أربعين مجلّداً.

٢- إعداد (موسوعة أعلام الشّيعة) في مائة وعشرة مجلّدات.

للمزيد من المعلومات، متابعة الرّابط التّالي: www.al-athar.ir

«نور الإسلام» (١٦٧-١٦٨)

في العدد الجديد من مجلّة «نور الإسلام» الّتي تصدر عن «مؤسّسة الإمام الحسين عليه السلام الخيريّة الثّقافيّة»، نقرأ مواضيع متعدّدة، منها حسب الأبواب:

- **أحيوا أمرنا:** «الإمام الحسين عليه السلام: ثباتُ مبادئ ووضوحُ نهضة» للعلّامة المحقّق السّيّد علي الميلاني.
- **عقيدة وقرآنيّات:** «معرفة الصّفات في سورة الإخلاص» لمرتضى السّيّد حيدر شرف الدّين.
- **أعلام وشخصيّات:** «العبّاس بن عبد المطّلب، ساقي الحجيج» للسّيّد صدر الدّين شرف الدّين.
- **من سِيَر الأطهار:** «جميلاً رأتْ» للدّكتور أنطوان بارا.
- **قضيّة ورأي:** «قال إنّي عبد الله» للسّيّد باسم الصّافي.
- **أسرة ومجتمع:** «التّدخّل بخصوصيّات الآخرين» للسّيّد حسين نجيب محمّد.

كما يتضمّن العدد مجموعة من المواضيع الأُسَريّة والثّقافيّة، وترجمة إنكليزيّة لعددٍ من الأبواب.

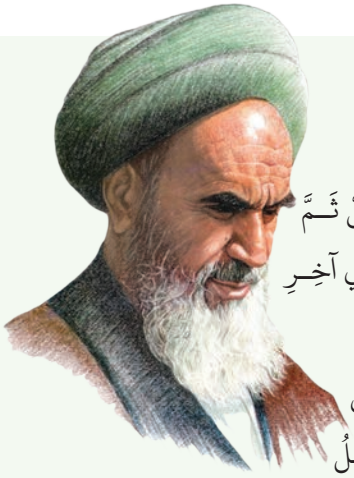

لا تَظلِم النّبيَّ الأعظمَ بسوءِ فِعْلِك، وقبيحِ عملِك

إنَّكَ بِمُتابَعَتِكَ هوًى واحداً مِنْ أَهْواءِ النَّفْسِ، توقِعُها في عَدَدٍ مِنَ المَفاسِدِ، وَمِنْ ثَمَّ سَوْفَ تُبْتَلى بِآلافِ المَهالِكِ، حَتّى تَنْغَلِقَ، لا سَمَحَ اللهُ، جَميعُ طُرُقِ الحَقِّ بِوَجْهِكَ في آخِرِ لَحَظاتِ حَياتِكَ، كَما أَخْبَرَ اللهُ تَعالى بِذَلِكَ في نَصِّ كِتابِهِ الكَريمِ. "..."

لَوْ سارَ الإنْسانُ في مِثْلِ هَذِهِ الطَّريقِ المَخُوفَةِ، المَحْفوفَةِ بِالمَخاطِرِ، مِمّا قَدْ يُلْقي بِهِ إلى هُوَّةِ الفَناءِ وَيَجْعَلُهُ مَوْضِعَ عُقوقِ أَبيهِ الحَقيقيِّ، أَيِ النَّبِيِّ الكَريمِ ﷺ، وَيَجْعَلُ نَبِيَّهُ، الّذي هُوَ رَحْمَةٌ لِلْعالَمينَ، ساخِطاً عَلَيْهِ. فَما أَشَدَّ تَعاسَتَهُ، وَما أَكْثَرَ المَصائِبَ وَالبَلايا الّتي يُجَنِّبُها لَهُ الغَيْبُ! فَإِذا كُنْتَ عَلى صِلَةٍ بِرَسولِ اللهِ ﷺ، وَإِذا كُنْتَ تُحِبُّ أَميرَ المُؤْمِنينَ عليه السلام، وَإِذا كُنْتَ مِنْ مُحِبّي أَولادِهِما الطّاهِرينَ، فَاسْعَ لِكَيْ تُزيلَ عَنْ قُلوبِهِمُ المُبارَكَةِ القَلَقَ وَالاضْطِرابَ.

جاءَ في القُرْآنِ الكَريمِ: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ..﴾ هود:١١٢. وَجاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قالَ: «**شَيَّبَتْني سُورَةُ هُودٍ**»، لِمَكانِ هَذِهِ الآيَةِ.

يَقولُ الشَّيْخُ العارِفُ الكامِلُ السّاهُ آبادِيُّ، روحي فِداهُ: «هَذا، عَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ قَدْ جاءَتْ في سورَةِ (الشّورى) أَيْضاً، وَلَكِن مِنْ دون ﴿..وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾، إلّا أَنَّ النَّبِيَّ خَصَّ سورةَ (هود) بِالذِّكْرِ، وَالسَّبَبُ أَنَّ اللهَ تَعالَى طَلَبَ مِنْهُ اسْتِقامَةَ الأُمَّةِ أَيْضاً، فَكانَ يَخْشى ألّا يَتَحَقَّقَ ذَلِكَ الطَّلَبُ، وَإلّا فَإِنَّهُ بِذاتِهِ كانَ أَشَدَّ ما يَكونُ اسْتِقامَةً، بَلْ لَقَدْ كانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِثالَ العَدْلِ وَالاسْتِقامَةِ».

إذاً، يا أَخي، إذا كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ مِنْ أَتْباعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتُريدُ أَنْ تُحَقِّقَ هَدَفَهُ، فَاعْمَلْ عَلى أَنْ لا تُخْجِلَهُ بِقَبيحِ عَمَلِكَ، وَسوءِ فِعْلِكَ. أَلا تَرى أَنَّهُ إذا كانَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلادِكَ أَو مِنَ المُقَرَّبينَ إِلَيْكَ يَعْمَلُ القَبيحَ وَغَيْرَ المُناسِبِ مِنَ الأَعْمالِ الّتي تَتَعارَضُ وَشَأْنَكَ، فَكَمْ سَيَكونُ ذَلِكَ مَدْعاةً لِخَجَلِكَ مِنَ النّاسِ، وَسَبَباً في طَأْطَأَةِ رَأْسِكَ أَمامَهُمْ؟ وَلا بُدَّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ رَسولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله، وَعَلِيّاً عليه السلام، هُما أَبَوا هَذِهِ الأُمَّةِ بِنَصِّ ما قالَهُ النَّبِيُّ الكَريمُ: «**أَنا وَعَلِيٌّ أَبَوا هَذِهِ الأُمَّةِ**».

فَلَوْ أُحْضِرْنا في حَضْرَةِ رَبِّ العالَمينَ يَوْمَ الحِسابِ، وَأَمامَ نَبِيِّنا وَأَئِمَّتِنا، وَلَمْ يَكُنْ في كِتابِ أَعْمالِنا سِوى القَبيحِ مِنَ الأَعْمالِ، فَإِنَّ ذَلِكَ سَوْفَ يَصْعُبُ عَلَيْهِمْ، وَلَسَوْفَ يَشْعُرونَ بِالخَجَلِ في حَضْرَةِ اللهِ تَعالَى وَالمَلائِكَةِ وَالأَنْبِياءِ. وَهَذا هُوَ الظُّلْمُ العَظيمُ الّذي نَكونُ قَدِ ارْتَكَبْناهُ بِحَقِّهِمْ، وَإِنَّها لَمُصيبَةٌ عُظْمى نُبْتَلى بِها، وَلا نَعْلَمُ ما الَّذي سَيَفْعَلُهُ اللهُ بِنا؟

فَيا أَيُّها الإنْسانُ الظَّلومُ الجَهولُ، يا مَنْ تَظْلِمُ نَفْسَكَ! كَيْفَ تُكافِئُ أَوْلِياءَكَ الّذينَ بَذَلوا أَمْوالَهُمْ وَأَرْواحَهُمْ في سَبيلِ هِدايَتِكَ، وَتَحَمَّلوا أَشَدَّ المَصائِبِ، وَأَفْظَعَ القَتْلِ، وَأَقْسى السَّبْيِ لِنِسائِهِمْ وَأَطْفالِهِمْ مِنْ أَجْلِ إِرْشادِكَ وَنَجاتِكَ؟ فَبَدَلاً مِنْ أَنْ تَشْكُرَهُمْ عَلى ما فَعَلوا، وَتَحْفَظَ لَهُمْ أَيادِيَهُمُ البَيْضاءَ نَحْوَكَ، تَقومُ بِظُلْمِهِمْ ظَنّاً مِنْكَ أَنَّكَ إِنَّما تَظْلِمُ نَفْسَكَ وَحْدَها! اسْتَيْقِظْ مِنْ نَوْمِ الغَفْلَةِ، وَاخْجَلْ مِنْ نَفْسِكَ، وَاتْرُكْهُمْ يُعانونَ الظُّلْمَ الّذي تَحَمَّلوهُ مِنْ أَعْداءِ الدّينِ، مِنْ دونِ أَنْ تُضيفَ عَلى ظُلامَتِهِمْ ظُلامَةً أُخْرى، لِأَنَّ الظُّلْمَ مِنَ المُحِبِّ أَشَدُّ أَلَماً وَأَكْثَرُ قُبْحاً!